دار الكتب المصرية

كتاب



تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيّ
المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان — كتاب الحرب — كتاب السؤدد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م

فهرس

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

الجزء الثـاني ــ كتاب الحرب

الجزء الثالث ــ كتاب السؤدُد



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورى رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعجز بَلاؤُه صفة الواصفين وتفوت آلاؤُه عددَ العادِّين وتسع رحمته ذنوب المسرفين، والحمد لله الذى لا تُحجَب عنه دعوة ولا تخِيب لديه طِلْبة ولا يضل عنده سعى، الذى رضى عن عظيم النعم بقليل الشكر وغفر بعَقْد الندم كبير الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين، والحمد لله الذى ٱبتعث فينا البشير النذير السراج المنير هاديا الى رضاه وداعيا الى محابِّه[1] ودالّا على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه . صلى الله وملائكتُه المقرَّبون عليه وعلى آله وصحبه أبدا ما طَمَا بحر وذرَّ شارِق وعلى جميع النبيين والمرسلين .

أما بعد فان لله فى كل نعمة أنعم بها حقا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة، وزكاة الشرف التواضع، وزكاة الجاه بذله، وزكاة العلم نشره، وخير العلوم أنفعها، وأنفعها أحمدها مَغَبَّة، وأحمدها مغبَّة ما تُعلِّمَ وعُلِّمَ لله وأريد به وجه الله تعالى .

ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفيد مريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آناء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوِّين وأجود المسئولين .

وإنى كنت تكلفت لمُغْفِل التأدب من الكُتَّاب كتابا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبيَّنتُ شُمول النقص ودروسَ العلم وشغلَ السلطان عن إقامة سُوق الأدب

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «محابّه» .

حتى عفا ودرَس، بلغتُ به فيه همّة النفس وثلَج الفؤاد وقيّدتُ عليه به ما أطرفنى الآله[1] ليوم الإدالة، وشرطتُ عليه مع تعلّم ذلك تحفُّظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره[2] متمثلا إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتنى الهمة الى كفايته وخشيت إن وَكَلْتُه فيما بقى الى نفسه وعوّلتُ له على اختياره أن تستمرّ مَرِيرتُه على التهاون ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأوّل، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكَلال من الحدّ فيلحقه خَوَر الطباع وسآمة الكلفة. فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له فى ذلك عمل مَنْ طَبَّ لمن حَبَّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعوّلت على الله فى الجزاء والأجر.

فان هذا الكتاب، وإن لم يكن فى القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالٌّ على معالى الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعِمارة الأرض وليس الطريق الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا فى تهجد الليل وسَرْد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.

وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفِل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومَسُوسهم مؤدّبا وللملوك مستراحًا[3] [من كدّ الجدّ والتعب] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) فى النسخة الألمانية: «ما أضل من الآلة ليوم الإدالة».

(٢) فى النسخة الفتوغرافية: «النظر». (٣) زيادة فى النسخة الالمانية.

وعلى الناشد طلبها، وهى لَقَاح عقول العلماء ونَتَاج[1] أفكار الحكماء وزبدة المَخْض وحِلْية الأدب وأثمار طول النظر والمتخيَّر من كلام البلغاء وفِطَن الشعراء وسِير الملوك وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقوّمها بثِقافها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خَبَثها، وتَرُوضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم، وتصل بها كلامك اذا حاورت وبلاغتك اذا كتبت ، وتستنجح بها حاجتك اذا سألت، وتتلطف فى القول إن شفعت ،وتخرج من اللوم بأحسن العذر اذا اعتذرت، فان الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها فى صحبة سلطانك وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه ، وتعمُر بها مجلسك إذا جدَدْت وأ هزَلت وتوضح بأمثالها حججك وتَبُذّ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَئُونة،وتستولى على الأمد وأنت وادع [وتلحق الطَّريدة[2] ثانيا من عِنَانك وتمشى رويدا وتكون أوّلا] هذا اذا كانت الغريزة مُوَاتيةً والطبيعة قابلة والحس منقادا ، فان لم يكن كذلك ففى هذا الكتاب، لمن أراه عقلُه نقص نفسه فأحسن سياستها وستر بالأناة والروِيّة عيبها ووضع من دواء هذا الكتاب على داء غريزته وسقاها بمائه وقدح فيها بضيائه ، ما نَعَش منها العليل وشحذ الكليل وبعث الوَسْنان وأيقظ الهاجع حتى يُقَارب بعون الله رُتَبَ المطبوعين .

ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقتهم، فوفّيت كل فريق منهم قِسْمه ووفّرت عليه سهمه وأودعته طُرَفا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر فجائعها والزوالِ والانتقال وما يتلاقَوْن به اذا اجتمعوا ويتكاتبون به اذا افترقوا،

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «ونتاج» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفا، ويأطِرُ على التوبة متجانفا، ويردع ظالما ويلين برقائقه قسوة القلوب . ولم أُخْلِه مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهبٌ سلكه السالكون وعَرُوضٌ أخذ فيها القائلون ، ولأروّح بذلك عن القارئ من كَدِّ الجِدّ (1) وإتعاب الحق فإنّ الأذن مَجّاجة وللنفس حَمْضَةٌ، والمَزْح إذا كان حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسبابٍ أوجَبَته [مشاكلا] (2) ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسينتهى بك كتابنا هذا الى باب المِزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما، فاذا مرّ بك أيها المتزمِّتُ حديث تستخفّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به .

واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخّص فيما تشدّدت فيه محتاج اليه ، وإن الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيُهيّأَ على ظاهر محبتك ، ولو وقع فيه تَوَقِّي المتزمّتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يُقبل اليه معك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين ، وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تُصعّر خدّك وتُعرض بوجهك فان أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تَعَزّى بعزاء الجاهلية

(1) في النسخة الفتوغرافية «الجهد» . (2) زيادة في النسخة الألمانية .

فأَعِضُّوه بهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا". وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لبُدَيْل بن وَرْقاء، — حين قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إنّ هؤلاء لو قد مَسَّهم حَزُّ السلاح لأسلموك — : «اعْضَضْ بِبَظْر اللّات، أنحن نُسْلمه!». وقال علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه: «من يَطُلْ أَيْرُ(1) أبيه ينتطق به». وقال الشاعر فى هذا المعنى بعينه:

فلو شاء ربّى كان أيرُ أبيكم * طويلا كأيرِ الحارث بن سَدُوس

قال الأصمعىّ: كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشَّعْبىّ: إن هذا لا يجىء فى القياس، فقال: أَيْرٌ فى القياس، الولد ذكَرٌ. وليس هذا من شكل ما تراه فى شعر جرير والفرزدق لأنّ ذلك تعيير وٱبْتِهَارٌ فى الأخوات والأمهات وقذفٌ للحصنات الغافلات، فتفهَّم الأمرين وٱفرُق بين الجنسين، ولم أترخّص لك فى إرسال اللسان بالرَّفَث على أن تجعله هِجِّيرَاكَ على كل حال ودَيْدَنَك(2) فى كل مقال، بل الترخّص منّى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها، تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحببت أن تجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على السجيّة والرغبة بها عن لِبْسة الرياء والتصنع. ولا تستشعرْ أنّ القوم قارفوا وتنزّهتَ وثلَموا أديانَهم وتورّعتَ. وكذلك اللحْن إن مرّ بك فى حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأنّ الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد(3) المدينى — وقد أكل طعاما كَظَّه: — قِى فقال: ما أقى، أقى نَقًا ولحم جَدْى! مرتى طالق لو وجدت

(1) كذا بالأصل ولسان العرب معزوّا الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. وورد فى مجمع الأمثال للميدانى «مَنْ يَطُلْ هَنُ أبيه ينتطِق به». (2) فى النسخة الألمانية «ودينك».

(3) ورد فى النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (مُزَيد) وكذلك ورد فى الأغانى ج ١٣ ص ١١٧ من غير ضبط وورد فى كتاب البخلاء للجاحظ المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مُزَبِد). وورد فى الأصل الفتوغرافى الذى بين أيدينا هكذا (المزبّد). وفى تاج العروس فى مادة (زبد): ومزبد كمحدّث اسم رجل صاحب النوادر وضبط كمعظّم ووجد بخط الذهبىّ ساكن الزاى مكسور الموحدة.

هـذا قيّاً لأكلته . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفّيت بالإعراب والهمزِ حقوقَها لذهبت طُلاوتها ولاَستبشعها سامعُها وكان أحسن أحوالها أن يكافئَ لطفُ معناها ثقَلَ ألفاظها فيكون مثل الخبرَ عنها ما قال الأوّل

اضربْ نَدَى طلحةِ الخيراتِ إن نخروا * بِبَخْلِ أشعثَ واستثْبِتْ وكن حكمَا
تخرجْ خُزَاعةُ من لؤم ومن كرم * فلا تعُدَّ لها لؤما ولا كرمَا

ولمثل هذا قال مالك بن أسماء فى جارية له

أمُغَطًّى منّى على بصرى للـ * ـحبّ أم أنتِ أكمل الناس حسنا
وحديثٍ ألَذُّه هو ممّا * يشتهى الناعتون يوزَن وزنا
منطقٌ بارعٌ وتلحَن أحيا * نا وأحلى الحديث ما كان لحنا[1]

وإن مرّ بك خبر أو شعر يتّضع عن قدر الكتّاب وما بُنِى عليه فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما قلة ما جاء فى ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن الحسَن إذا وُصل بمثله نقص نُوراهما[2] ولم يتبيَّن فاضل بمفضول . وإذا وُصل بما هو دونه أراك نقصانُ أحدهما من الآخر الرجحانَ ، ومدار الأمر وقوَامُه على واحدةٍ تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهى أن تُحْضر الكلمة موضعَها وتصلها بسببها ولا ترى غبنًا أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فاذا رأيت حالا تُشاكل ماحضرك من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها انتهزتها ، وكان يقال : انتهزوا فرصَ القول فان للقول ساعات يضرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : ربَّ كلمةٍ تقول : دعنى .

(١) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تُعوص فى حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون ، ثم قال «وخير الحديث ما كان لحنا» أى خير الحديث ما فهمه صاحبك الذى تحب إفهامه وحده وخفى على غيره اه نقلا عن أمالى القالى . وقيل تلحن أحيانا أى تخطئ فى الإعراب ، وذلك أنه يستملح من الجوارى ذلك إذا كان خفيفا ويستثقل منهنّ لزوم حاقّ الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وسياق الكلام يأتلف معه . ولعله عنى باللحن فى المصراع الأوّل الخطأ فى الإعراب وباللحن فى المصراع الثانى المعنى الذى ذهب اليه ابن دريد أو اللحن بمعنى التوقيع . (٢) فى النسخة الفتوغرافية : «نوارهما» .

وإن وقفتَ على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبَعا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفّح الكتب كلها، فانه ربَّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيــه على مواضعه، كالتلطف فى القول يقع فى كتاب السلطان ويقع فى كتاب الحوائج ويقع فى باب البيان، وكالاعتــذار يقع فى كتاب السلطان وفى كتاب الاخوان، وكالبخل يقع فى كتاب الطبائع وفى كتاب الطعام، وكالكبَر والمشيب يقع فى كتاب الزهد ويقع فى كتاب النساء .

واعلم أنّا لم نزل نتلقّط هذه الأحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السنّ والمعرفة وعن جلسائنــا وإخواننا ومن كتب الأعاجِم وسـيرهم وبلاغات الكتّاب فى فصول من كتبهم وعمّن هو دوننا غيرَ مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنًّا لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته ولا عن الأمَة الوَكْعاء لجهلها فضــلًا عن غيرها ، فان العلم ضالّة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزْرِىَ بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبطَ من الكاشحين، ولا تَضيرُ الحسناءَ أطمارُها ولا بناتِ الأصداف أصــدافُها ولا الذهبَ الإبريزَ مَخْرجُه مِنْ كِبَا (*)، ومن ترك أخذَ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمرّ مرّ السحاب .

حدثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن سُليمان بن معاذ عن سِماك عن عِكْرمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فانه قد يقول الحكمةَ غيرُ الحكيم وتكون الرَّميَّةُ من غير الرامى » . وهــذا يكون فى مثل كتابنا لأنه فى آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لا يلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فأما علم الدين والحلال والحرام فانمــا هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(*) فى النسخة الألمانية : "لموضعه"، وربما عيبه السياق .

إلا عمّن تراه لك حجة ولا تقدح فى صدرك منه الشكوكُ، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدَثين إذا كان متخيَّر اللفظ لطيف المعنى لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث فى عصره وكل شرف فأوّله خارجيّةٌ (*)، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم المتقدّم وغُفران زلته وبخس المتأخر والتجنِّى عليه، والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

وإنى حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع فى عشرة كتب بعد الذى رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه الى استعماله من الآداب فى صحبته وفى مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به فى اختيار عُمّاله وقضاته وحُجّابه وكُتّابه وعلى الحكام أن يمتثلوه فى أحكامهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثانى "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشاكل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(*) فى اللسان «الخارجىّ الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم» .

وعن الجُنْد والسلاح والكُرَاع وما جاء فى السفر والمسير والطِّيَرة والفَأْل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحِيَل الحرب وغيرها وشىء من أخبار الدولة والطالبيِّين وأخبار الأمصار وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثالث "كتاب السُّؤْدُد" وفيه الأخبار عن مَخَايل السؤدُد فى الحَدَث وأسبابه فى الكبير وعن الهمة السامية والخِطَار بالنفس لطلب المعالى واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمِزَاح وترك التصنّع والتوسط فى الأشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمُدَايَنة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الرابع "كتاب الطبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدُد فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن تشابه الناس فى الطبائع وذمّهم وعن مساوى الأخلاق من الحسد والغِيبة والسِّعاية والكذب والقِحَة وسوء الخلق وسوء الجوار والسِّباب والبخل والحمق ونوادر الحَمْقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطير والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثَر والكلام فى الدين ووصايا المؤدِّبين والبيان والبلاغة

والتلطف فى الجواب والكلام وحسن التعريض والخُطب والمقامات[1] وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهّاد وكلامهم فى الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكِبَر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودّة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن محاورتهم والتلاقى والزيارة والمعانقة والوَداع والتهادى والعيادة والتعازى والتهانى وذكر شرار الإخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعتب[2] الاخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الاخوان فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجِدّ والهديّة والرشوة ولطيف الكلام ومن يُعتمَد فى الحاجة ومن يُستسعَى لها والإجابة الى الحاجة والردّ عنها والمواعيد وتنجّزها وأحوال المسئولين عند السؤال فى الطّلَاقة والعُبُوس والعادة من المعروف تُقْطَع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب فى قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «المقالات» .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى «وعيب الإخوان ومقاويهم وتعاديهم ...» الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلْواء والسَّويق واللبن والتمر والخبائث منها التى يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأَكَلَة والمَنْهُومين والدعاء الى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحِمْية وشرب الدواء ومضارّ الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونُتَف من طِبِّ العرب والعجم وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب تدعو الأكل والنكاح الأطيبيْن فتقول: قد ذهب منه الأطيبان. تريدهما، فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء فى أخلاقهنّ وخَلْقهنّ وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال فى ذلك والحسن والجمال والقبح والدَّمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمُهُور وخِطَب النكاح ووصايا الأولياء عند الهِدَاء وسياسة النساء ومعاشرتهنّ والدخول بهنّ والجماع والولادات ومساويهن خلا أخبار عُشّاق العرب فانّى رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودِع هذا الكتاب منها إلا شيئا يسيرا ، وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك فى صدر أوّلها لأُعفيك من كَدّ الطلب وتعب التصفّح وطول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودعتُها ولِتَقْصدَ فيما تريد حين تريد الى موضعه فتستخرجَه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فان هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثرُ من أن يُحاط بها أو يُوقَف من ورائها أو تنتهى حتى يُنْتَهى عنها .

وقد خفّفتُ وإن كنتُ أكثرت ، واختصرت وإن كنت أطلت ، وتوقّيتُ فى هذه النوادر والمضاحك ما يتوقّاه مَنْ رضى من الغنيمة فيها بالسلامة ومِنْ بُعد الشُّقة بالإياب ، ولم أجد بُدًّا من مقدار ما أودعتُه الكتابَ منها لتتمّ به الأبواب ، ونحن نسأل الله أن يمحو ببعضٍ بعضا ويغفر بخيرٍ شرًّا وبجِدٍّ هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله ويتغمدنا بعفوه ويعيذنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنّ به والرجاء له من الخيبة والحرمان .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدّثنا محمد بن خالد بن خِداش قال : حدّثنا سَلْم بن قُتَيبة عن آبن أبى ذئب عن المَقْبُرِىّ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحرِصون على الإمارة ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة فنعمتِ المُرضِعةُ وبئستِ الفاطمةُ" .

حدّثنى محمد بن زِياد الزيادى قال حدّثنا عبد العزيز الدَّارَوَرْدِى قال حدّثنا شَريك عن عَطَاء بن يَسَار أن رجلا قال عند النبى صلى الله عليه وسلم : بئس الشىءُ الإمارةُ. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "نعم الشىء الإمارة لمن أخذها بحقّها وحِلّها" .

حدّثنى زيد بن أَخْزَمَ الطائى قال حدّثنا آبن قُتَيبة (*) قال حدّثنا أبو المِنْهال عن عبد العزيز آبن أبى بَكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : آبنته بُوران، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرهم الى آمرأة" .

حدّثنى زيد بن أخزم قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبى قال سمعت أيُّوب يحدّث عن عِكْرمة عن آبن عباس أنه قدم المدينة زمن الحَرّة فقال : من استعمل القومُ؟ قالوا : على قريش عبدَالله بن مُطِيع، وعلى الأنصار عبدَالله بن حَنْظلة بن الراهب فقال : أميران ! هلك والله القوْم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفى النسخة الفتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما لوجودهما معا فى كتب الأنساب .

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام ابن حسّان قال كان الحسن يقول : «أربعة من الاسلام إلى السلطان الحُكْم والفيء والجمعة والجهاد» . وحدّثني محمد قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قِلَابة قال قال كعب : « مَثَلُ الاسلامِ والسلطان والناسِ مَثَلُ الفُسطاطِ والعمودِ والأطنابِ والأوتادِ ، فالفُسطاط الاسلام، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس، لا يصلُح بعضه إلا ببعض » .

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : « السلطان سُوقٌ فما نَفَق عنده أُتِيَ به » . وقرأت في كتاب لابن المقفّع : « الناس على دين السلطان إلا القليلَ فليكنْ للبرّ والمروءة عنده نَفَاقٌ فسيكسُد[1] بذلك الفجورُ والدناءة في آفاق الأرض» . وقرأت فيه أيضا : «المُلْك[2] ثلاثة مُلْك دين ومُلْك حزم ومُلْك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينُهم هو الذي يعطيهم مالهم ويُلْحق بهم ما عليهم، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم . وأما مُلْك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخُّط ولن يضرّه طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودَمَار دهر .

حدّثني يزيد بن عمرو عن عِصْمة بن صُقَير الباهليّ قال حدّثنا اسحق بن نُجَيح عن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لله حُرَّاسا فحُرّاسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الدّيوان» .

---

(١) في الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : الملوك .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى سَعيد بن سَلْم الباهلى قال أخبرنى شُعْبة عن شَرَقِىّ عن عِكْرِمة فى قول الله عز وجل ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ قال : «الجَلاوِزَةُ يحفظون الأمراءَ» .

[وقال الشاعر(*)

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً * خليًّا من اسم الله والبركاتِ

يعنى باسم الله، وفيه قول الله ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ أى بأمر الله] .

وقرأت فى كتاب من كتب الهند : « شرُّ المال ما لا يُنْفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرىء وشر البلاد ما ليس فيه خِصْب ولا أمن » .

وقرأت فيه : «خير السلطان من أشبه النَّسر حوله الجِيَف لا من اشبه الجيفة حولها النسور» وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدّثنى شيخ لنا عن أبى الأَحْوص عن ابن عمّ لأبى وائل عن أبى وائل قال ، قال عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر » .

وأخبرنى أيضا عن أبى قُدامة عن علىّ بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ثلاثٌ من الفَوَاقر : جار مُقامةٍ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها ، وامرأة إن دخلتَ عليها لسَنَتْك وإن غبتَ عنها لم تأمنها ، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك » .

وقرأت فى اليتيمة : «مَثَلُ قليل مضارّ السلطان فى جنب منافعه مثل الغيث الذى هو سُقْيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السَّفْر

(*) زيادة فى النسخة الفتوغرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدِرّ سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج له البحار فتشتدّ البليّة منه على أهله فلا يمنع النـاس، إذا نظروا إلى آثار رحمـة الله فى الأرض التى أحيا والنبـات الذى أخرج والرزق الذى بسط والرحمة التى نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلْغوا ذكر خواصّ البلايا التى دخلت على خواص الخلق. ومثل الرياح التى يرسلها الله نُشُرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لَقَاحا للثمرات وأرواحا (*) للعبـاد يتنسّمون منها ويتقلبون فيهـا وتجرى بها مياههم وتَقِد بها نيرانهم وتسـير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من النـاس فى برهم وبحرهم ويخلُص ذلك الى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهـم الشاكُون ويتأذى بهـا المتأذُّون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التى جعلها الله بها وأمرها الذى سخرها له من قوام عباده وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحَرْث والنسل ونَتاجا للحَب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويحملها] ويخرجها الحرُّ باذن الله ويُنْضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرّ فى حرهما وبردهما وسمائمهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا الى الخير والصلاح . ومن ذلك الليـل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد يستوحش له أخو القَفْر وينازع فيه ذو البليّة والرِّيبة وتعدو فيه السِّباع وتَنْسابُ فيه الهوامّ ويغتنمه أهل السَّرَق والسَّلَّة ولا يُزرِى صغير ضرره بكثير نفعه ولا يُلحِق به ذمّا ولا يضع عن الناس الحقّ فى الشكر لله على ما مَنّ به عليهم منه . ومَثَل النهار الذى جعله الله ضياء ونُشُورا وقد يكون على الناس أذى الحرّ فى قَيْظهم وتُصَبِّحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَب والشُّخُوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه الى الليل وسكونه . ولو أن الدنيا كان شيءٌ من سَرّائها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نَعْماؤها بغير كدر وميسورُها من

(*) فى النسخة الفتوغرافية : رواحا.

غير معسور كانت الدنيا إذًا هى الجنـة التى لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح والتى ليس فيها نصب ولا لُغوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضرُّه خاصةً فهو نعمة عامة وكل شىء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام » .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت فى التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شىء يجلّ وألباب السُّوَق مشغولة بأيسر الشىء ، فالجاهل منهم يعذِر نفسه بدَعَةِ ماهو عليه من الرِّسْلة ولا يعذِر سلطانه مع شدّة ماهو فيه من المئونة ، ومن هناك يعزِّر الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدرى ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان هو السلطان » .

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خِصْب الزمان » .

وروى الهَيْثَم عن ابن عيَّاش عن الشَّعْبى قال : « أقبـل معاوية ذات يوم على بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تحدّثونى عن ادعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا؟ فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتتْ حقا ولا أسَّست ملكا ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ووارثه وساقىَ الحجيج وضامنَ الأيتام أن يطلبها وقد ضمِن له أبو سفيان بنى عبد مناف ، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فان القرابة خَصْلة من خصال الامامة لا تكون الامامة بها وحدها وأنتم تدّعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها من بسط الناسُ أيديهم إليه بالبَيْعة عليها ونقلوا أقدامَهم إليه للرغبة وطارت اليه أهواؤُهم

للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمرٌ (*) تضيق به الصدور، إذا سئلتم عمّن اجتمع عليه من غيركم قلتم حقٌّ . فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحقّ من دعواكم . انظروا : فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم، وإن كانوا أخذوا حقّهم فسلّموا إليهم فانه لا ينفعكم أن تروْا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس ندّعى هذا الأمر بحقٍّ من لولا حقُّه لم تقعد مقعدَك هذا، ونقول كان تركُ الناس أن يرضَوْا بنا ويجتمعوا علينا حقًّا ضيّعوه وحظًّا حُرِمُوه، وقد اجتمعوا على ذى فضل لم يخطئ الوِرْدَ والصَّدَرَ، ولا ينقُص فضلَ ذى فضلٍ فضلُ غيره عليــه . قال الله عز وجل ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فأما الذى منعنَا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعهدٌ منه إلينا قبِلْنا فيه قولَه ودِنَّا بتأويله ولو أمَرَنا أن نأخذه على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعْذَرْنا فيــه، ولا يعاب أحد على ترك حقه إنمــا المعيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارًّا . انتهتِ القضيةُ إلى داود وسليمان فلم يُفَهَّمْها داودُ وفُهِّمها سليمان ولم يضرَّ داودَ . فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهى للمؤمن أنفع؛ قال رســول الله صلى الله عليــه وسلم « أنت عمِّى وصِنْو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوّتى آخر النبوّة » . وقال لأبى طالب عند موته : ياعم قل لا إله إلا الله أشفعْ لك بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

حدّثنا الرياشى عن أحمد بن سلّام مولى ذُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهرٌ جارٍ » .

(*) فى الأصل الفتوغرافى : علها .

وحدّثنا الرياشي قال حدّثنا مُسْلِم بن إبراهيم قال حدّثنا القاسم بن الفضل قال حدّثنا آبن أخت العجاج عن العجاج قال : «قال لى أبو هريرة ممن أنت؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بُقْعانُ(١) الشأم فيأخذوا صدقتك فاذا أتوْك فتلقّهم بها فاذا دخلوها فكن فى أقاصيها وخلّ عنهم وعنها، وإياك وأن تسبّهم فانك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك فى ميزانك يوم القيامة» وفى رواية أخرى أنه قال : «إذا أتاك المصدِّق فقل : خذ الحق ودع الباطل، فان أبى فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعنه إذا أدبر فتكون عاصيا خُفِّفَ عن ظالم» .

وكان يقال : «طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة، والرهبة، والمحبة، والديانة» .

وقرأت فى بعض كتب العجم كتابا لأَرْدَشِيرَ بن بَابَك إلى الرعية، نسخته : «من أردشير المُوبَذ(٢) ذى البهاء ملك الملوك ووارث العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين، والأساورة الذين هم حفظة البَيْضة، والكُتّاب الذين هم زينة المملكة، وذوى الحرث الذين هم عَمَــرة(٣) البلاد . السلام عليكم، فانا بحمد آلله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتاوتَها الموظّفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لاتستشعروا الحقد فَيَدْهَمَكم العدوّ، ولا تحتكروا فيشملَكم القحط، وتزوّجوا فى القرابين فانه أمسّ للرحم وأثبتُ للنسب، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال إلا بها» .

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لبياضهم وسوادهم بالغراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) فى النسخة الألمانية : المؤيد، والموبذ كالمُوبَذَان فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٣) فى النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتابا من أرسطاطاليس إلى الاسكندر وفيه : « املك الرعيــةَ بالإحسان اليها تظفرْ بالمحبة منها فان طلبك ذلك منهـا باحسانك هو أدومُ بقاءً منه باعتسافك، وٱعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها الى القلوب بالمعروف، وٱعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجْهد ألا تقولَ تسلم من أن تفعل » .

وقرأت فى كتاب الآيين[1] أن بعض ملوك العجم قال فى خطبة له : « إنى إنمـا أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر » .

ونحوه قول العجم : « أَسْوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها » .

وقالوا : « لا ينبغى للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالهـا من العامة [كَرْهًا][2] ولكن فى التى يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأى والتدبير » .

حدّثنا الرياشى عن أحمد بن سلّام عن شيخ له قال : « كان أَنُو شَرْوَانُ إذا ولّى رجلا امر الكاتب أن يدع فى العهد موضع أربعــة أسطر ليوقّع فيه بخطه فاذا أُتى بالعهد وقّع فيه : سُسْ خيارَ الناس بالمحبــة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفلَةَ الناس بالإخافة » .

قال المدائنى : « قدم قادم على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرِّبة خبر؟ قال نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينا أنا عليه إذ أَوْرد أعرابى إبلَه فلما شربتْ ضرب على جُنوبها وقال عليك زيادًا. فقلت له : ما أردتَ بهذا؟ قال : هى سُدًى، ما قام لى بها راعٍ مذ ولىَ زياد. فسرَّ ذلك معاوية وكتب به الى زياد» .

(١) الآيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة، ولابن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا عن هذه الكلمة فى كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذى نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الالمانية .

قال عبد الملك بن مروان : «أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرة رعية أبى بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلًّا على كل» .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللّين فى غير ضعف والقوىّ فى غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنى لأُجْمِع أن أُخرِج للسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأُخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فان نفَرت القلوب من هذا سكنت الى هذا» .

قال معاوية : « لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى وبين الناس شعرةً ما انقطعتْ . قيل : وكيف ذاك؟ قال : كنت اذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوْها مددتها » .

ونحو هذا قول الشَّعْبى فيه : « كان معاوية كالجمل الطَّبّ، إذا سُكت عنه تقدّم وإذا رُدّ تأخر» . والجمل الطَّبُّ الحاذق بالمشى وهو الذى لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك فى الغضب ويأخذ ما فوقه(*) من تحته » .

وأَغْلظ له رجل فحَلُمَ عنه فقيل له : أتحلُم عن هذا؟ فقال: «إنى لا أَحُول بين الناس وبين ألسنتهم مالم يَحُولوا بيننا وبين سلطاننا» .

كان يقال: «لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة» .

(*) فى الأصل الفوتوغرافى : من .

قال زياد : «أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سِمَانا ما سَمِنوا» .

وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : «إنى أيقظت رأيى وأَنَمْتُ هواى، فأدنيتُ السيد المطاع فى قومه، وو ليت الحربَ الحازمَ فى أمره، وقلَّدت الخراجَ الموفِّر لأمانتــه ، وقسمت لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظًّا من نظرى ولطيف عنايتى، وصرفت السيف الى النَّطِف المسىء، والثوابَ الى المحسن البرىء فخاف المُرِيب صولةَ العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب» .

وكان يقول لأهل الشام : «[إنمـا](١) أنا لكم كالظَّلِيم الرائح عن فراخه : ينفى عنها القَذَر ويباعد عنها الحجر ويكنُّها من المطر ويحميها من الضِّباب ويحرسها من الذئاب. يا أهل الشأم أنتم الجُنَّة والرداء وأنتم العُدَّة والحِذَاء» .

فخر سُلَيم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : «اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قطّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلسانى» .

وقال الوليــد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : «هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصَّنائع» .

وفى كتب العجم : «قلوب الرعية خزائن ملوكها فمـا أَوْدَعَتْها(٢) من شىء فلتعلم أنه فيها» .

ووصف بعض الملوك سياسته فقــال : «لم أهزِل فى وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب واستكفيت على الجزاء وأثبت على العنـاء لا للهوى، وأودعت القلوب(٣) هيبة لم يشُبْها مقت وودّا لم تشُــبْه جرءة وعمّمت بالقوت ومنعت الفضول» .

(١) زيادة عن النسخة الألمـانية .

(٢) فى الأصل الفوتوغرافى : قلوب الرعية خزائن مكها فا أودعها من شيء فليعلم أنه فيها .

(٣) فى الأصل الفوتوغرافى : القلوب .

وقرأت فى كتاب التاج : قال أَبْرَوِيزُ لابنه شِيرَوَيْه وهو فى حبسه : « لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقنّ عليهم فيضجّوا منك ، أعطِهم عطاء قَصْدًا وآمنعهم منعا جميلا ووسّع عليهم فى الرجاء ولا توسّع عليهم فى العطاء» . ونحوه قول المنصور فى مجلسه لقوّاده : صدق الأعرابى حيث يقول : أَجِعْ كلبك يتْبَعْك . فقام أبو العباس الطُّوسى فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

وكتب عمر الى أبى موسى الأشعرى : «أما بعد، فان للناس نَفْرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياءُ مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله، والآخر للدنيا فآثِرْ نصيبك من الله فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى، وأخيفوا الفسّاق واجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا، وعُدْ مرضَى (*) المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا، وقد بلغنى أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فاياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرّت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمَن وإنما حتفها فى السمن، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيّتُه، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام » .

هشام بن عُرْوة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدّث نفسه . ثم التفت الينا فقال: لا يَبْعُدَنَّ ابن هند! إن كانت فيه لمخارج لانجدها فى أحد بعده أبدا، والله إن كنا لنُفَرِّقُه وما الليث الحَرِبُ على براثنه بأجرأ منه فيَتَفَارَقُ لنا . وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط فى الأصل الفتوغرافى هكذا (مُرَضَى) ويظهر أنه من عمل الناسخ، وفى الأصل الألمانى : مريض . والتصويب عن أشهر مشاهير الاسلام .

فيتخادَعُ لنـا ، والله لوددت أنّا مُتِّعنا به ما دام فى هــذا حجر (وأشار إلى أبى قبيس) لا يَخَوَّنُ له عقل ولا تَنْتَقِص له قوة، قلنا : أَوْحَشَ والله الرجلُ . قال : وكان يَصِلُ بهذا الحديث : كان والله كما قال العُذْرى

رَكـوبُ المنابر وثّابُها * مِعَنٌّ بخطبتـه مِجْهَـرُ
تُرِيعُ إليه هوادى الكلام * إذا خَطِل النـثر المُهْمِرُ(١)

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال حدّثنا جد سُرانٍ(٢) وسُرانُ عمّ الأصمعى قال : « كلم الناس عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب فى أن يَلِينَ لهم فانه قد أخافهم حتى إنه قد أخاف الأبكار فى خدورهنّ . فقال عمر : إنى لا أجد لهم إلا ذلك، إنهم لو يعلمون ما لهم عندى لأخذوا ثوبى عن عاتقى(٣) » .

قال وتقدمت إليه امرأة فقالت : « يا أبا عقر(٤) حفص، الله لك، فقال : مالك أعقرتِ ؟ أى دُهِشتِ فقالت صلعتُ(٥) فرقتَك .

قال أشجعُ السُّلَمِىُّ فى إبراهيم بن عثمان

لا يُصلح السلطانَ إلا شِـدّةٌ * تَغْشَى البرىء بفضل ذنب المجرم
ومن الوُلاة مقحَّمٌ لا يتّـقِى * والسيف تقطر شَفْرتاه من الدم
منعتْ مهابتُك النفوسَ حديثَها * بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

(١) فى التاج مادة هـ م ر: وخطيب مهمر : مُكثر . وأورد هذا البيت . وفى الأصل الفتوغرافى "ممهر" ولم نجده فى القاموس ولا فى اللسان .

(٢) كذا بالأصل الفتوغرافى عاريا عن الضبط، وضبط فى النسخة الألمانية بضم أوله وقد بحثنا عنه فلم نهتد إليه .

(٣) فى الأصل الألمانى : مِنْ على .

(٤) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى ولعله محرّف عن "عمر" وكأنها أرادت أن تناديه بقولها يا أبا حفص عمر، فقالت من دهشتها يا أباعَمْر حُفَص كما قالت فى آخر الحكاية صلعت فرقتك وكأنها أرادت أن تقول فرقْتُ صلعتك .

(٥) فى الأصل الألمانى هلعت وهو تحريف .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القرّاء وشر القرّاء أقربهم من الأمراء» .

كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حِمْص الى عمر : « إن مدينة حمص قد تهدّم حصنُها[(١)]، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه» فكتب اليه عمر «أمّا بعد، فحصنها بالعدل، والسلام » .

ذكر أعرابى أميرا فقال : « كان إذا ولىَ لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج والمسىء خائف » .

كان جعفر بن يحى يقول : «الخراج عمود الملك وما استُغزِر بمثل العدل ولا استُنْزِر بمثل الظلم » .

وفى كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بنى، إن الملك والدين أخوان لاغنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أُسّ والملك حارس، وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتّك لأهل الجهاد وبِشْرك لأهل الدين وسِرّك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول» .

وكان يقال : «مهما كان فى الملِك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس : لاينبغى أن يكون كذابا فانه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يُرْج أو أوعد بشر لم يُخَفْ ، ولا ينبغى أن يكون بخيلا فانه إذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة [ولا[(٢)] ينبغى أن يكون حديدا فانه اذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية] ولا ينبغى أن يكون حسودا فانه اذا كان حسودا لم يشرِّف أحدا ولا يصلح الناس إلا على أشرافهم، ولا ينبغى أن يكون جبانا فانه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره واَجترأ عليه عدوه » .

(١) فى الأصل الفتوغرافى سورها وكتب فوقها كالتفسير لها : حصنها .

(٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل الفتوغرافى من سهو الناسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: واأبتاه، وبكت. فقال معاوية: «يا ابنــة أخى إنّ الناس أعطَوْنا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فان نكَثْنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكونى بنت عمّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكونى امرأة من عُرْض المسلمين».

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن على: «إنّ المسلمين ولّوْك أمرهم بعد علىّ فشمِّر للحرب وجاهد عدوك ودارِ أصحابَك واشــترِ من الضَّنين دينَه بما لا يثلِمُ دينك ووَلِّ أهــل البيوتات والشرف تستصلحْ بهم عشائرهم حتى تكونَ الجمــاعةُ فإن بعض مايكره الناس، ما لم يتعدَّ الحق وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز الدين، خيرٌ من كثير ممــا يحبون إذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووَهْن الدين».

حدّثنى محمد بن عُبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم قال: «كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يَعْرِفُ من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فان قالوا نعم، حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب اليه: أقبِلْ».

اختيــار العمال

رُوى أن أبا بكر الصــديق رضى الله عنه لمّــا حضرته الوفاة كتب عهدا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهِد أبو بكر خليفة رسول الله عنــد آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتّقِى فيها الفاجر: انى استعملت عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك علمى به، وإن جار وبدّل فلا علم

لى بالغيب ، والخيرَ أردتُ ، ولكل امرئ ما اكتسب ﴿ وسيعلم ٱلذين ظلموا أىَّ مُنقَلَب ينقَلِبون ﴾ » .

وفى التاج أن أَبْرَوِيزَ كتب الى ٱبنــه شِيرَوَيْهِ من الحبس : « ليكن من تختاره لولايتــك ٱمرأ [كان](١) فى ضَعَة فرفعتَه ، أو ذا شرف وجدته مهتضَما فٱصطنعتَه ، ولا تجعله ٱمرأ أصبتَه بعقوبة فاتَّضَع عنها ولا ٱمرأ أطاعك بعد ما أذللتَه ولا أحدا ممن يقع فى خَلَدك أن إزالة سلطانك أحبّ(٢) له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضَرَعا غُمْرا كثر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه فى غيره ، ولا كبيرا مُدبِرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السنّ من جسمه » .

وقال لَقِيط فى هذا المعنى

فقــلِّدوا أمركـم لله درُّكـم * رحبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مُتْرَفا إنْ رخاءُ العيش ساعده * ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعا(٣)
ما زال يحلُب درَّ الدهر أشطُرَه * يكون متبِعا يوما ومتَّبَــعا
حتى ٱستمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُه * مستحكِمَ السنِّ لا قَحْما(٤) ولا ضَرَعا

ويقال فى مثَل : « رأى الشيخ خير من مَشهَد الغلام » ومن أمثال العرب أيضا فى المجرِّب « العوانُ لا تُعلَّمُ الخِمرةَ » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : خير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضعا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى "فحما" وكتب تحته كالتفسير له "كبيرا" والصواب "قحما" ومعناه كبير السن جدًّا ونظيره من شعر العرب قوله

له حَكَمَات الدهر من غير كَبْرة * تَشين فلا فانٍ ولا ضَرَع غُمْـر

قال بعض الخلفاء : دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمّنى . قالوا : كيف تريده؟ قال : « إذا كان فى القوم وليس أميرَهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيعَ بن زياد [الحارثى] (١) . قال : صدقتم، هو لها .

وروى الهيثم عن مُجالِد عن الشَّعبى قال ، قال الحجاج : دلونى على رجل للشُّرَط فقيل : أىَّ الرجال تريد؟ فقال : « أريده دائم العُبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يخفق (٢) فى الحق على جرة يهون عليه سِبَالُ الأشراف فى الشفاعة » فقيل له : عليك بعبـد الرحمن بن عبيد التميمى . فأرسـل اليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفينى عيالَك وولدَك وحاشيتَك . قال : ياغلام، نادِ فى الناس : من طلب اليه منهم حاجة فقد برئتْ منه الذمّة . قال الشعبى : فوالله ما رأيت صاحب شرْطة قطّ مثلَه، كان لا يحبس إلا فى دين، وكان إذا أُتى برجل قد نقب على قوم وضع مِنْقَبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره، وإذا أُتى بنبّاش حفر له قبرا فدفنه فيه، وإذا أتى برجل قاتل بحـديدة أو شهر سلاحا قطع يده، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، وإذا أتى برجل يشكُّ فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شىء ضربه ثلثمائة سـوط . قال : فكان ربمـا أقام أربعين ليلة لا يُؤتَى بأحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسخة الألمـانية .

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمـانى وهو تحريف والصواب لا يُحْنق فى الحق على جِرَّة ، يقال ما يُحْنق فلان على جرة وما يكظم على جرة اذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يحنق على جِرَّته » . اهـ . انظر اللسان فى مادة حنق .

وقرأت فى كتاب أبرويز الى ابنــه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة : إما رجلا يُظهر زهــدا فى المــال ويدّعى ورعا فى الدين فانّ من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفّر الخراج واجتهد فى العِمارة، فان هو لم يَرَعْ ولم يَعِفَّ إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حرياً أن يخون قليلا ويوفِّر كثيرا استسراراً بالرياء واكتتاما بالخيانة ، فان ظهرتَ على ذلك منه عاقبتَه على ماخان ولم تحمَدْه على ماوفر، وإن هو جَلَّح فى الخيانة وبارز بالرياء نكّلت به فى العذاب واستنظفتَ ماله مع الحبس . أو رجلا عالمــا بالخراج غنيا فى المــال مأمونا فى العقل فيدعوه علمــه بالخراج الى الاقتصاد فى الحَلْب والعِمارة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا عالمــا بالخراج مأمونا بالأمانة مُقْترا من المــال فتوسِّع عليه فى الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثرَ لفاقته اليسيرَ، ويُزْجى بعلمه الخراجَ، ويَعِفّ بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز فى قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليــك بأهل العُــذْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم وإن قصّروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

قال عدى بن أَرْطاة لإياس بن معاوية : دلَّنى على قوم من القراء أُوَلِّهِم . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدّنيا، فما ظنُّك بهم إذا أنت وليتهم فمكنتهم منهــا ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يَسْتَحْيون لأحسابهم فولِّهم .

أحضر الرشيد رجلا ليولِّيَه القضاء فقال له : إنى لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبــه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العَجَلة ، ومن لم يَعْجَل قلّ خطؤه . وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من نتفقّه به . فولِى فما وجدوا فيه مطعنا .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعى قال حدّثنى صالح بن رُسْتَم أبو عامر الخزّاز قال قال لى إياس بن معاوية المُزَنىّ : أرسل إلىّ عمرُ بن هُبَيرة فأتيتُه فساكتنى فسكتُّ ، فلما أطلتُ قال : إيهٍ . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شيئا ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إنى أريد أن أستعين بك . قلت : إن فىّ ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حَديد ، وأنا عَيٌّ . قال : أما الدمامة فانى لا أريد أن أحاسن بك الناس ، وأمّا العىّ فانى أراك تعبر عن نفسك ، وأمّا سوء الخلق فيقوّمك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولّانى [وأعطانى](*) ألفى درهم فهما أول مال تموّلته .

قرأت فى كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه واطّرحه مخافة ضره ، فعلَ الذى تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمّها فى جسده ، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغَناء يجده عنده كتَكارُه المرء على الدواء البَشِع لنفعه » .

حدّثنى المعلّى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد تضمّن عيبه » .

(*) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلوّنه

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا أبو أُسَامة عن مجالد عن الشّعْبى عن عبد الله بن عباس قال : قال لى أبى : « يا بُنىّ إنى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنى أوصيك بخلال أربع: لا تفشِينّ له سرا، ولا يجرِبنّ عليك كذبا، ولا تغتابنّ عنـده أحدا، ولا تَطْوِ عنه نصيحة » قال الشّعبى قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إى والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا، وإن زادك فزِدْه » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادعُ له ثم اَصفح صفحا جميلا، ولا يرَيَنّ منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : «ينبغى لمن خدم السلطان ألا يغترّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغيرَ لهم اذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمّلوه ولا يلحف فى مسئلتهم » .

وقرأت فى كتاب للهند : « صحبة السلطان على ما فيهـا من العز والثروة عظيمة الخطَار، وإنمـا تشبَّه بالجبل الوَعْر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية، فالارتقاء اليه شديد والمُقام فيه أشدّ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأنّ خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التى لها طلب المزيد، ولا خير فى الشيء الذى فى سلامته مال وجاه وفى نكبته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ واَطّراحٍ للأنفة، وصل الى حاجته» .

وقرأت فيه : «السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرْم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه» .

وكانت العرب تقول : «اذا لم تكن من قُرْبان الأمير فكن من بُعْدانه» .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : «لا تكوننّ صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فان كنت حافظا إذا ولّوْك ، حَذِرا اذا قربوك ، أمينا إذا آئتمنوك ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صَرَمُوك (١) ، راضيا إن أسخطوك ، وإلا فالبعد منهم كلّ البعد والحذر منهم كلّ الحـذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخـدُم (٢) السلطانَ بحقّه يَحُلْ (٣) بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة» .

وقال : «إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة فى غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام المَلَق ولا تكثرنّ له فى الدعاء إلا أن تكلمه على رءوس الناس ولا يكوننّ طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئنّه إن (٤) أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنك تعتدّ عليه ببلاء . وإن استطعت ألاّ يَنْسى حقّك وبلاءك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله فى أوّل صحبتك له فلا تجدَ موضعا للمزيد ولكن دع للمزيد موضعا . وإذا سأل غيرَك فلا تكن المجيب . وآعلم أن آستلابك للكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

---

(١) فى الادب الكبير : ضاموك ، وفى نسخة منه ظلموك .

(٢) فى الادب الكبير : من يأخذ عمل .

(٣) فى الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٤) فى الأصل الفتوغرافى : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجَب بنفسه المستخفّ بسلطانه ؟ » .

وقال : «مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب» .

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدّب ولده بعد أن اختصه لمجالسته ومحادثته : «كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا اعجبك الكلام فاصْمُت وإذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن] (*) لا تساعدنى على ما يقبح بى ولا تردّنّ علىّ الخطأ فى مجلسى ولا تكلّفنى جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودَع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلّمنى بقدر ما استنطقتُك واجعل بدل التقريظ لى حسن الاستماع منى . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتَنى أتحدّث فارِنى فهمَك فى طَرْفك وتوقُّفك ولا تجهد نفسك فى تَطْرية صوابى ولا تستدع الزيادة من كلامى بما تُظهر من استحسان ما يكون منى ، فمن أسوأ حالا ممن يستكدُّ الملوك بالباطل فيدلّ على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلَّ المعجَب بما تَسمع منه وقد أحللتَه محل من لا يُسمع منه؟ وأقل من هذا يُحْبِط إحسانك ويُسقط حقّ حرمةٍ إن كانت لك . إنى جعلتك مؤدّبا بعد أن كنت معلّما وجعلتك جليسا مقرّبا بعد أن كنت مع الصبيان مباعَدا . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبى العباس وعنده أبو جعفر فسلَّم على أبى العباس فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

قال الفضل بن الربيع : « مسـئلة الملوك عن أحوالهم من تحيات النّوكَى، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير، فقل: صبّح الله الأميرَ بالكرامة. وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فان المسئلة توجب الجواب فان لم يجبك اشتدّ عليك وإن أجابك اشتدّ عليه » .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : « جانبِ المسخوطَ عليه والظَّنِينَ عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثْنِ عليه عند أحد ، فاذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده (١) فاعمل فى رضاه عنك (٢) برفق وتلطُّف ، ولا تُسارَّ فى مجلس السلطان أحدا ولا تومئ اليـه بجفنك وعينك فان السِّرَار يخيِّل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصْغَ الى كلامه ولا تَشْغل طَرْفَك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت فى كتاب للهنـد أنه أُهدى لملك الهنـد ثياب وحَلْى فدعا بامرأتين له وخيَّر أحظاهما عنده بين اللباس والحِلْية ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة اليه كالمستشيرة له فغمزها باللباس تَغْضِيناً بعينه ، ولحظه الملك ، فاختارت الحلية لئلا يَفْطَن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تَقِرَّ تلك فى نفس الملك وليظنَّ أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للاخرى [فلما (٣) حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصَّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شىء يسير أربعين سنة] .

قال شَبِيبُ بن شَيْبة : « ينبغى لمن ساير خليفـة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شىء لم يحتجْ الى أن يلتفت : ويكونَ من ناحية إن

(١) فى الأدب الكبير «من الإعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالى» والإعتاب الرجوع عن الاساءة .

(٢) فى الأدب الكبير : عنه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافى .

التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَن الريح التى تؤدّى الغبار الى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن ٱبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء » .

قال ثُمَامة (١) : كان يحيى بن أكثم يمـاشى المأمون يوما فى بسـتان موسى والشمس عن يسار يحيى والمأمون فى الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا فى الطريق التى بدأ فيها فقال ليحيى: كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منـك فكن الآن حيث كنتُ وأتحوّل أنا إلى حيث كنتَ. فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أقيك هَوْل المطلع بنفسى لفعلت . فقـال المأمون : لا والله ما بُدٌّ من أن تأخذ الشمس منى مثـل ما أخذت منك . فتحوّل يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : «أوّل العدل أن يعدل الرجل على بِطَانته ثم على الذين يَلُونَهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى .

المدائنى قال، قال الأحنف: «لا تنقبضوا عن السلطان ولا تَهَالكوا عليه فانه من أشْرَف للسلطان أَذْرَاه (٢) ومن تضرّع له أَحظاه» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى محمد بن عمرو الرومى (٣) [قال حدّثنا زُهير بن معاوية] عن أبى إسحاق عن زيد بن يُثَيْع قال، قال حُذَيْفة بن اليمان : «ما مشى قوم قطّ الى سلطان الله فى الأرض ليُذِلُّوه إلا أذلّهم الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل، وفى العقد الفريد : مؤنسة بنت المهدى .

(٢) هكذا فى الألمـانية، وفى الفتوغرافية أخطاه . وفى العقـد الفريد : ومن تطامن له تخطاه ، قال : شبهوا السلطان بالريح الشديدة التى لا تضر بمـا لان وتمايل معها من الشجر والحشيش، وما استهدف لها قصمته . (٣) زيادة عن النسخة الألمـانية .

وفى أخبار خالد بن صَفْوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنتُ أقربَ النـاس منه فتنفّس ثم قال : يا خالد، لربّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى الىّ حديثا منك. فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدا أَدَلَّ فأَمَلَّ وأَوْجف فأَعْجف ولم يدعْ لراجع مرجعا، على أنه ما سألنى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى . فقال : هيهات

إذا انصرفتْ نفسى عن الشيء لم تكنْ[1] * إليــه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبــل

حدّثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هـذا الحديث ، وببعضه نهيك[2] : اعتل يحيى بن خالد فبعث الى منكه الهندى فقال له : ما ترى فى هذه العلة؟ فقال منكه : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفنّنا[3]. فقال له يحيى : ربمـا ثقل على السمع خَطْرةُ الحقّ به، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منكه : صدقت ولكنى أرى فى الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم فى المعرفة وقد نُبهت، وربمـا كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأمور منصرَف الى العواقب وما حُتم لابد من أن يقع ، والمنعة بمُسالَمة[4] الأيام نُهْزة فاقصد لمـا دعوتك له من هـذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منكه : هى الصفراء مازجتْها مائيةٌ من البلغم فحدث لها بذلك

---

(١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : لم تكدْ .

(٢) ورد هذا الاسم فى النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفى تقريب التهذيب لابن حجر: «نهيك» بوزن عظيم ابن يريم . وفى تحفة ذكرى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : «نهيك» ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفى النسخة الفتوغرافية : "متعقبا" وفى النسخة الألمـانية : "متعينا" وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية : "المتعة" وفى الألمـانية : "المنفعة" وكلاهما محرف .

ما يحدث للهب عند مماسّته رطوبة المـادة من الاشتعال نخـذ ماء رُمّانين (١) فدقّهما بإهْلِيلَجة سوداء تُنهضْك (٢) مجلسا [أو مجلسين] (٣) وتسكّن ذلك التوقد الذى تجد إن شاء الله. فلما كان من حديثهم الذى كان، تلطف منكه حتى دخل على يحيى فى الحبس فوجده جالسا على لِبْد ووجد الفضل بين يديه يَمْهُنُ (٤) أى يخدم فاستعبر منكه وقال: قد كنت ناديت لو أُعِرتُ (٥) الإجابة . قال له يحيى : أتراك علمتَ من ذلك شيئا جهلتُه؟ كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشَّفَق وكان مزايلةُ القـدَر الخطيرِ عبئا قلّما تنهض به الهمة . وبعـدُ فقد كانت نعمٌ ارجو أن يكون أوّلها شكرا وآخرها أجرا . فما تقول فى هذا الداء؟ قال له منكه : ما أرى له دواء أنجع من الصبر، ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيى : قد شكرت لك ما ذكرت فان أمكنك تعهـدنا فافعل . قال منكه : لو أمكننى تخليف الروح عندك ما بخلت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل كان يحيى يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها .

وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للاصحاب وسخاء نفسه عمن فُقد منهم مثل البَغِيِّ والمكتِّب، كلما ذهب واحد جاء آخر» .

والعرب تقول: « السلطان ذو عَدَوَانٍ وذو بَدَوَانٍ وذو تُدْرَأٍ » يريدون أنه سريع الانصراف كثير البَدَوات هَجُوم على الأمور .

---

(١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد : نخذ ماء الرمان فدقّ فيه إهليلَجة الخ .

(٢) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية هكذا "تنقضك" . وفى الألمانية : "تنقصك" وكلاهما تحريف .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد .

(٤) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل

(٥) فى العقد الفريد "أسرعتَ" وفى الأصلين الفتوغرافى والألمانى هكذا "أعرب" ونقل فى هامش النسخة الألمانية أ: "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فنزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن، هات نعلى . فجاء بها، فقال : يا معاذ ضعها فى رجلى . فألبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجّه أبو جعفر يَقْطِينَ بن موسى الى أبى مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعلَها آبنُ سلامةَ الفاعلةِ؟ لا يكنِّى. فقال يقطين : عجّلتَ أيها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرنى أن أحصى الأموال ثم أسلّمَهَا اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطينُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن فى اليوم الذى قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرَفَةَ بِرْذَونه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغنِى المعرفةُ اذا لم يُقدر على دفع المحتوم . ثم قال : جارّة ذيلَها، تدعو ياويلَها، بدجلَة أو حولها، كأنا بعد ساعة، قد صرنا فى دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كنّ فى صدرى شفى الله منها : كتاب أبى مسلم إلىّ وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من السوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية؟ . وضربُ سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط» .

قال المنصور لسَلْم ابن قتيبة : ماترى فى قتل أبى مسلم ؟ فقال سَلْم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يابا أُمَيَّة .

قال أبو دُلَامة

أبا مُجْرم ماغيّر الله نعمة * على عبده حتى يُغيّرها العبد
أفى دولة المَهدىّ حاولتَ غَدْرة * ألا إن أهل الغدر آباؤُك الكُرْدُ
أبا مجرم خوفتنى القتلَ فانتحى * عليك بما خوفتنى الأسدُ الوَرْدُ

قال مرْوان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجتُ إلى أن تصير مع عدوّى وتظهر الغدر بى ، فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى وإلا لم تعجز عن حفظ

حُرمتى بعد وفاتى» فقال عبد الحميد : إن الذى أمرتنى به انفع الأمرين لك وأقبحهما بى وما عندى إلا الصبر(*) حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال

أُسِـــرُّ وفاء ثم أُظهـــر غَدرة * فمن لى بعذرٍ يُوسِعُ الناسَ ظاهرُهْ

المشـاورة والراى

حدّثنا الزِّيادىّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال : «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشيرُ عليه بالشىء فيأخذُ به» .

وقرأت فى التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقـال أحدهم : «لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليـا به ، فانه أَمْوَت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسـلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان إفشاء السر الى رجل واحد أوثق من إفشائه الى اثنين ، وإفشاءه الى ثلاث كإفشائه الى العامّة لأن الواحد رهن بما أُفشى اليه والثانى يطلق عنه ذلك الرهن والثالث عِلَاوة فيه ، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يُظهره رهبةً منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المَعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين بذنبِ واحد ، وإن اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه» .

وقرأت فى كتاب للهنـد أن ملكا استشار وزراء له ، فقال أحدهم : «الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحَزَمةِ كما يزداد البحر بموادّه من الأنهـار ، وينال بالحزم والرأى مالا يناله بالقوّة والجنود ، وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهطُ فيه ، ومنها ما يستعان فيه بقوم ، ومنها ما يستغنى فيـه بواحد . وفى تحصين السر الظَّفَرُ بالحاجة والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشـير ، فانه يزداد برأيه

(*) فى النسخة الفتوغرافية : إلا الصبر معك .

رأيا كما تزداد النار بالسَّليط ضوءا . وإذا كان الملك محصّنا لسره بعيدا من ان يُعرَف ما فى نفسه متخيّرا للوزراء مهيبا فى أنفس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البرىء ولا يأمنه المُريب مقدّرا لمـا يُفيد وينفق، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرّنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به » .

قال أبو محمد : كتبت (*) الى بعض السلاطين كتابا وفى فصل منه : « لم يزل حَزَمَةُ الرجال يستَحْلُون مرارة قول النصحاء ويستَهْدُون العيوب ويستثيرون صواب الرأى من كلّ حتى الأمةِ الوَكْعاء، ومن احتاج الى إقامة دليل على مايدّعيه من مودّته ونقاء طويّته فقد أغنانى الله عن ذلك بمـا أوجبه الاضطرار إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادةَ الحال » .

وفى فصل آخر : « وقد تحملتُ فى هذا الكتاب بعض العتب وخالفتُ ما أعلم إذ عرضت بالرأى ولم أُستشَرْ وأحللت نفسى محل الخواصّ ولم أُحَلّ ونزعتْ بى النفس، حين جاشت وضاقت بمـا تسمع ، عن طريق الصـواب لها الى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوّك منبسطا بمـا يدّعيـه عليك وسهامه نافـذة فيك ، ورأيت وليّك مَعْكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوامّ الناس يخوضون بضروب الأقاويل فى أمرك ، ولا شىء أضرّ على السلطان فى حال ولا أنفع فى حال منهم . وبما يُجريه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفى فصل منه : «وسائسُ الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصـبر واحتمال سوء أدب العامّة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والممنوع ممـا

(*) فى الأصل الفتوغرافى : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة الألمانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يعذِرون بالعذر الواضح فكيف بالعذر الملتبِس، وأخوك من صدقك وأرتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك » .

قال زياد لرجل يشاوره : «لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ،وإن الناس قد ابدَعت بهم خصلتان : إضاعة السر، وإحراج النصيحة . وليس موضع السر الا أحد رجلين : رجل آخرة يرجو ثواب الله، أو رجل دنيا له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه، وقد عجمتهما لك» .

وكتب بعض الكتّاب : «اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره، ومثّل لك الأحوال المخوفة عليك، وخلَط لك الوعر بالسهل من كلامه ومَشُورته ليكون خوفك كفئا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاشّ لك الحاطب عليك من مدّ لك فى الاغترار ووطّأ لك مِهاد الظلم وجرى معك فى عِنانك منقادا لهواك » .

وفى فصل : « إنى وإن كنت ظَنينا عندك فى هذه الحال ففى تدبرك صفحات هذه المشُورة ما دلك على أن مَخرَجها عن صدق وإخلاص» .

إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثى عبيد الله آبن عمر فى أخيه أبى بكر أن يوليه القضاء ، فأشار عليه به، فبعث الى أبى بكر فامتنع عليه، فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على أبى بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لى أن أَلِىَ القضاء ؟ قال: اللهم لا . قال زياد : سبحان الله! استشرتك فأشرت علىّ به ثم أسمعك تنهاه ! قال : أيها الأمير استشرتنى فاجتهدت لك رأيى ونصحتك، واستشارنى فاجتهدت له رأيى ونصحته .

كان نصر آبن مالك على شُرَط أبى مسلم ، فلما جاءه إذنُ أبى جعفر فى القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار اليه : استشارك أبو مسلم فى القدوم علىّ فنهيته؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الامام يحدّث عن أبيه محمد آبن علىّ قال « لا يزال الرجل يزاد فى رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : «لقد كنت ألقَى الرجل من العرب أعلم أن فى قلبه علىّ ضِغنا فأستشيره، فيثير الىّ[1] منه بقدر ما يجده فى نفسه فلا يزال يوسعنى شتما وأوسعه حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيننى وأستنجده فيُنجدنى » .

وقرأت فى كتاب إبرويزَ الى ابنه شيرويه وهو فى حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد فى الرجال من ينضج[2] لك الكَىّ ويحسِم عنك الداء ويخرج لك المستكنّ ولا يدَع لك فى عدوّك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوّك فيك فرصة إلا حصّنها، ولا يمنعك شدّة رأيك فى ظنك ولا علوّ مكانك فى نفسك من أن تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أحمدتَ اجتنيت وإن ذممت[3] نفيت، فان فى ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيَك ازداد رأيك شدّة عندك، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فان رأيته معتليا لما رأيت قبلت، وإن رأيته متضِعا عنه استغنيت، ومنها أنه يجدّد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويمحض لك مودّته وإن قصّر» .

وفى كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشُورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة، أخطأ الرأى وازداد مرضا وحمَل الوزر» .

---

(١) قيل بهامش النسخة الألمانية عن نسخة "فيثور" الخ .

(٢) فى الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية، والمناسب لما قبله "أذممت" يقال أذممته أى وجدته ذميا .

وفى آداب ٱبن المقفع : « لا يُقذفن فى رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك ، فيقطعك ذلك عن المشاورة ، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألبّاء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : «الرأى الفرد كالخيط السَّحيل ، والرأيان كالخيطين المبرَمين ، والثلاثة مِرارٌ (*) لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع

رأىٌ سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ * ما أخّرَ الحزمَ رأىٌ قدم الحذَرا

كتب الحجاج الى المهلَّب يستعجله فى حرب الأزارقة ، فكتب اليه المهلب : «إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسبىّ يوم عقدت له الخوارج : تكلّمْ . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب . وقال أيضا : خمير الرأى خير من فطيره ، ورُبّ شىء غابُّه خير من طريّه ، وتأخيره خير من تقديمه . وقيل لآخر : تكلّمْ . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائتا .

كان ٱبن هبيرة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من صحبة من غايتُه خاصة نفسه والانحطاطُ فى هوى مستشيره ، وممن لا يلتمس خالص مودّتك إلا بالتأتّى لموافقة شهوتك ، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر فى حوادث غدك » . وكان يقال : « من أُعطى أربعا لم يُمنَع أربعا : من أُعطى الشكر لم يُمنع المزيد ، ومن أُعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى المشُورة لم يمنع الصواب ، ومن أُعطىَ الاستخارة لم يُمنع الخيرة » . وكان يقال : لا تستشر معلّما ولا راعى الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

(*) فى النسخة الألمانية مرائر . والمرار : الحبل الذى أُجيد فتله .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخف « ولا لحاقب » وهو الذى يجد رِزًّا فى بطنه . وقالوا أيضا : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَازِبَته فقصّروا فى الرأى دعا الموكَّلين بأرزاقهم فعاقبهم، فيقولون : تخطئ مَرَازِبَتَك وتعاقبنا ! فيقول : نعم، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إنّ النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكة فان الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم . قال الشاعر

وأنفع من شاورتَ من كان ناصحا * شفيقا فأبصرْ بعــدها من تشاور
وليس بشافيك الشــفيقُ ورأيه * غريبولاذواالرأىوالصدرُواغر

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصــيح أو نصيحة حازم
ولاتحسبالشُّورىعليكغَضاضة * فانــ الخَوافى رافدات القَوادم
وخلِّ الهُوَينا للضعيف ولا تكن * نَؤوما فان الحــزم ليس بنــائم
وأدنِ من القربى المقرِّب نفسه * ولا تُشهِد الشُّورى امرأ غير كاتم
وما خير كفّ أمسك الغُلّ أختَها * وما خير ســيف لم يؤيَّد بقائم
فانك لنــ تستطرد الهمّ بالمُنى * ولن تبلغ العليا بغــير المكارم

قال أعرابى : ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومى . قيــل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عَبْس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنا ألفُ حازم . ويقال : «ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توانٍ» .

وقال القطامى فى معصية الناصح

ومعصيةُ الشفيق عليك مما * يزيدك مَرّة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلْتَ منه * وليس بأن تَتَبَّعه اتباعا
كذاك وما رأيتُ الناس إلا * الى ما جرّ غاويهم سِراعا
تراهم يغمزون من آستركوا * ويجتنبون من صدَق المِصاعا

وقال آخر، أنشدنيه الرياشى

ومولًى عصانى وآستبدّ برأيه * كما لم يُطَع بالبَقَّتين قَصير
فلمّا رأى أن غبَّ أمرى وأمره * وولّت بأعجاز الأمور صدورُ
تمنَّى بئيسا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمورُ

وقال سبيع لأهل اليمامة «يا بنى حَنيفة بُعْدا كما بَعُدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأنى أسمع جَرْسه وأبصر غيبه ولكنّكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، وأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديقُ ومن تهمتى الندامةُ، وأصبح فى يدى من هلاككم البكاءُ ومن ذلّكم الجزعُ ، وأصبح ما فات غيرَ مردود وما بقى غير مأمون. وإنى لمّا رأيتكم تتّهمون النصيح وتسفِّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غِرّة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وَهَن الموعوظ وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم» .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : «قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حُلو كلامه بمُرّه وحَزْنه بسهله ويحرّك الاشفاقُ منه ما هو ساكن من غيره ،

وقد وعَيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكّ فى مودته وصافى غيبه، وما زلتَ بحمد الله الى كل خير طريقا منهجا ومَهْيَعا واضحا» .

وكتب عثمان الى علىّ حين أحيط به : «أما بعد فانه قد جاوز المـاء الزُّبى وبلغ الحزام الطُّبْيَين وقد تجاوز الأمر بى قدرَه .

فان كنتُ مأكولا فكن خيرآكل * وإلا فأدركنى ولمَّـا أمزَّق»

وقال أوس بن حَجَر

وقد أُعتِب ٱبنَ العم إن كنتُ ظالمـا * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا
وإن قال لى ماذا ترى؟ يستشيرنى * يجدْنى ٱبن عم مِخْلَط الأمر مِزْيَلا
أقيم بدار الحـــزم ما دام حُزمها * وأحْرِ إذا حالت بأن أتحوّلا
وأستبدل الأمر القوىّ بغـــيره * إذا عَقْـــد مأفون الرجال تحلَّلا

وكان يقال : « أناة فى عواقبها دَرَك، خير من معاجلة فى عواقبها فَوت » . وأنشدنى الرياشى

وعاجِزُ الرأى مضياع لفُرصته * حتى إذا فات أمر عاتَب القَدَرا

وكان يقال : «روِّ بحزم فاذا استوضحت فاعزم» .

الاصابة بالظن والرأى

كان ابن الزبير يقول : « لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه » . وسئل بعض الحكماء : ما العقل؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفةُ ما لم يكن بمـا كان » . وكان يقال: «كفى مُخبِرا عما مضى ما بقى، وكفى عِبرًا لأولى الألباب ما جربوا» . وكان يقال : «كل شىء محتاج الى العقل، والعقل محتاج الى التجارب» . ويقال: «من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حَجَر

الألمعى الذى يظن بك الظّن كأن قد رأى وقد سمعـا

وقال آخر

وأبغى صوابَ الظنّ أعلم أنه * إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مَقادِرهْ

وقال على بن أبى طالب صلوات الله عليه فى عبد الله بن عباس : «إنه لينظر الى الغيب من سِتْرٍ رقيق» . ويقال : «ظنُّ الرجل قطعةٌ من عقله» . ويقال : «الظنون مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتّاب

أصُونك أن أظنَّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكميت

مثلُ التدبر فى الأمر ٱئتنافُكَه (١) * والمرء يعجز فى الأقوام لا الحيل

وقال آخر

وكنتَ متى تُهزَز لخطب تُغَشِّه * ضرائبَ أمضَى من رِقاق المَضارب

تَجلّتَه بالرأى حتى أرَيتَه * به ملءَ عينيه مكانَ العواقب

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يَرى بصواب الرأى ما هو واقع

وقال آخر فى مثله

عليم بأعقاب ٱلأمور برأيه * كأن له فى اليوم عينًا على الغد

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبُه من كل أمر عواقبُهْ

وقال جثامة بن قيس (٢) يهجو قوما

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجاء الرشد أم غابا

---

(١) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله محرف عن الاقدام .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلةً * ولا ترون وقد ولّين أذنابا
وقلّما يفجأ المكروهُ صاحبَه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا

وقال آخر (*)

فلا يحذرون الشرّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبُّرا

ويقال : «ظن العاقل كَهانة» . وفى كتاب للهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحد الحازمين الذى إذا نزل به البلاء لم يبطَر وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم منه العارفُ بالأمر إذا أقبل فيد فعه قبل وقوعه ، والعاجز فى تردّد وتمنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

وإنى لأرجو الله حتى كأنّنى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغِرّةُ مرّةٍ من فعل غِرّ * وغِرّةُ مرّتين فعالُ مُوقِ
فلا تفرح بأمر قد تدنّى * ولا تأيس من ٱلأمر ٱلسّحيق
فان القرب يبعُد بعد قرب * ويدنو البعد بالقَدَر المَسُوق
ومن لم يتق ٱلضَّحْضَاح زلّتْ * به قدماه فى البحر العميق
وما ٱكتسب المحامدَ طالبوها * بمثل البِشْر وٱلوجه ٱلطَّليق

وقال مروان بن الحكم لحُبَيْش بن دَلَجَة : أظنك أحمق . قال: «أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه» . ونقش رجل على خاتمه: «الخاتم خير من الظن» . ومثله : «طِينةٌ خيرمن ظنّة» .

(*) فى النسخة الفتوغرافية وقال جثامة بن قيس . والبيت لجرير كما فى اللسان .

اتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظَّرِب : الرأى نائم والهوى يقْظان، ولذلك يغلِب الرأىَ الهوى . وقال ٱبن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك، ولم يقل غيرَه

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال

وقال بزُرجمهر: «إذا ٱشتبه عليك أمران فلم تدرِ فى أيهما الصواب، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه» .

كان عمرو بن العاص صاحِبَ عُمارة بن الوَليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو ٱمرأته فوقعت فى نفس عمارة فدفع عمرا فى البحر فتعلق بالسفينة وخرج، فلما ورد بلاد الحَبَشة سعى عمرو بعمارة الى النَّجاشيّ وأخبره أنه يُخالِف الى بعض نسائه فدعا النَّجاشِى بالسواحر فنفخن فى إحْليله فهام مع الوحش، وقال عمرو فى ذلك

تعلَّمْ عُمَارًا أن من شرّ شيمة * لمثلك أن يُدعَى ٱبن عم له ٱبنما
وإن كنتَ ذا بُردَين أحوَى مُرَجَّلا * فلست براءٍ لابن عمك مَحْرَما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبّه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يَمَّما
قضى وطَرًا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذُكِرت أمثالُه تملأُ الفما

وقال حاتم طيِّئ فى مثله

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤلَه * وفرجَك نالا مُنتَهى الذمّ أجمعا

وقال آخر

جارَ ٱلجنيد علىَّ مُحتكما * جهلا ولستُ بموضع الظلم
أكلَ الهوى حُجَجى ورُبَّ هوى * مما سيأكل حجَّةَ الخصم

قال اعرابى : «الهوى هوان، ولكن غُلِط باسمه» .

وقال الزبير بن عبد المطّلب

وأَجتنب المقاذِع حيث كانت * وأترك ما هَويتُ لمــا خشيت

وقال البُرَيق الهذلى

أبِن لى ما ترى والمرءُ تأبَى * عزيمَتُـــه ويغلبـــه هواه
فيَعمَى ما يُرَى فيــه عليه * ويحسَــب ما يراه لا يراه

وكان يقال : «أخوك من صَدَقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السِّر وكتمانه وإعلانه

حدّثنى أحمد بن الخليــل قال حدّثنا محمــد بن الحُصَيب قال حدّثنى أوس ابن عبد الله بن بُرَيدة عن أخيه سهل عن بُرَيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "استعينوا على الحوائج بالكتمان فانّ كلّ ذى نِعمة محسُود". وكانت الحكماء تقول: «سِرّك من دمك» . والعرب تقول : «من ارتادَ لسره موضعا فقد أذاعه» .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب عن عمّه الأصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال : دخل ابن أبى مِحْجَن الثقفى على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول

إذا مُتُّ فادفنّى الى أصل كَرْمة * تُروِّى عظامى بعدَ موتى عُروقُها
ولا تدفننِّى فى الفَـــلاة فانّنى * أخاف وراءَ الموت أن لا أذوقُها

فقال ابن أبى مِحجَن : لو شئتَ ذكرتَ أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية : وما ذاك؟ قال قوله

لا تسألى القومَ ما مالى وما حسَبى * وسائلى القومَ ما حَزمى وما خُلُقِى
القومُ أَعلمُ أنى مِن سَرَاتِهم * إذا تطيش يدُ الرِّعديدة الفَرِق
أُعطِى السِّنان غداة الرَّوع حِصَّته * وعاملَ الرُّمح أُرويه من العَـلَق
قد أركَبُ الهولَ مسدولاً عساكِرُه * وأكتم السر فيــه ضربةَ العنق

وأنشدنى للصَّلَتَان العَبْدى

وسرُّك ما كان عند امرئ * وسرُّ الثلاثة غيرُ الخَفِى

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يتمثّل بهذين البيتين

ولا تُفشِ سرَّك إلّا اليك * فانّ لكلّ نصيح نصيحا

فانى رأيت غُواةَ الرجا * لِ لا يتركون أديما صحيحا

وقال الشاعر

ومُراقَبَيْن تكاتَما بهواهما * جعلا القلوبَ لما تُجِنّ قُبورا

يتلاحظان تلاحُظا فكأنّما * يتناسَخان من الجفون سُطورا

وقال مِسْكِين الدَّارِمى

أُواخى رِجالا لست أُطلِع بعضَهم * على سرّ بعض غيرَ أنى جِماعُها

يَظلّون شتّى فى البلاد وسرُّهم * الى صخرة أعيا الرِّجالَ انصِداعُها

وقال (*)

ولو قَدرتُ على نِسيان ما آشتملت * منى الضُّلوعُ من الأسرار والخبر

لكنت أوّلَ من يَنسَى سرائرَه * إذ كنتُ من نشرها يوما على خَطَر

أسرَّ رجل الى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له : أَفهِمت؟ قال : لا، بل نسيتُ .

قيل لأعرابى : كيف كِتمانك للسر؟ قال : «ما قلبى له إلا قبر» . وقيل لمَزيد : أىّ شيء تحت حضنك؟ فقال : يا أحمق لِمَ خبّأتُه . وقال الشاعر

إذا ما ضاق صدرك عن حديث * فأفشته الرجالُ فمَن تلوم

إذا عاتبتُ من أَفشَى حديثى * وسرّى عنده فأنا الظَّلوم

وإنى حين أسأم حمل سرّى * وقد ضمّنتُه صدرى سَؤوم

(*) فى النسخة الألمانية : وقال آخر . على أنا لم نعثر على هذا الشعر لمسكين الدارمى .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر؟ قال: «أجحَد المُخبِر وأحلِف للستخبر». وكان يقال: «من وَهْى الأمر إعلانُه قبل إحكامه» . وقال الشاعر

إذا أنت حمَّلت الخؤونَ أمانة * فانك قد أسندتَها شرَّ مُسنَد

وقال عمرو بن العاص: «ما آستودعتُ رجُلا سرّا فأفشاه فلمتُه، لأنى كنت أضيق صدرا حين آستودعته» . وقال

إذا أنت لم تحفَظ لنفسك سرّها * فسرّك عند الناس أفشَى وأضيعُ

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عُتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرّ الى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدّثك به؟ قال: لا يابنى «إنه من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت: وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال: لا، ولكنى أكره أن تذلّل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : ياوليد ؟ أعتقك أخى من رِقّ الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فانه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكيدة تُحاوَل أو منزِلة تُزاوَل أو سريرة مَدخُولة تُكتم، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شىء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنتَ كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جَميل بن مَعمَر

أموت وألقَى الله يابثْن لم أَبُح * بسرِّكِ والمستخبِرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى

ولما تلاقَينا عرفتُ الذى بها * كمثل الذى بى حَذْوَكَ النعلَ بالنعل

فقالت وأرخت جانب السِّتر إنما * معى فتكلَّم غيرَ ذى رِقبــة أهلى
فقلتُ لهــا ما بى لهم من ترقُّب * ولكنَّ سرِّى ليس يحمـــله مِثلى

يريد أنه ليس يحمله أحد مثلى فى صِيانته وسَتره، أى فلا أُبديه لأحد . وقال زهير

السِّترُ دونَ الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من سِــتر

وقال آخر

فسِرّى كإعلانى وتلك خَليقتى * وظُلمةُ ليلى مثلُ ضوء نهارِيا

وقال آخر لأخ له وحَدَّثه بحديث: اجعل هذا فى وعاء غير سَرِب . والسَّرِب السائل . وكان يقال: «للقائل على السامع جمعُ البال والكتمان و بسطُ العذر» . وكان يقال: «الرِّعاية خير من الاسترعاء» .

أتى رجل عُبَيد الله بن زِياد فأخبره: أن عبد الله بن هَمَّام السَّلُولى سبَّه . فأرسل اليه فأتاه فقال: يابن همام إن هذا يزعم أنك قلت: كذا وكذا . فقال ابن هَمَّام

فأنت آمرؤ إمّا ائتمنتُك خاليــا * فخُنتَ، و إمّا قلتَ قولا بلا علم
و إنك فى الأمر الذى قد أتيتَه * لفى منزل بين الخِيــانة والإثم

وقال آخر

اخفِضِ الصَّوت إن نطقتَ بليل * والتفِتْ بالنهار قبــل الكَلام

وقال بعض الأعراب

ولا أكتُم الأسرارَ لكنْ أنُمُّها * ولا أدَع الأسرار تَغلِى على قلبى
و إنّ قليل العقل من بات ليلَه * تُقلِّبه الأسرارُ جنْبا الى جنب

وقال أبو الشِّيص

لا تأمَنَنّ على سِرّى وسرِّكم * غيرى وغيرَك أوطَىَّ القَراطيس
أو طائرٍ سأُحلِّيــه وأنعَتُــه * ما زال صاحبَ تنقير وتأسيس

سُـــودٍ بَرِاتُه مِيــــلٍ ذَوائبُهُ * صُفرٍ حَمائلُهُ فى الحسن مغموس
قد كان هَمَّ سليمانٌ ليـــذبحه * لولا سعايتُـــه يوما بِبِلْقيس

وقال أيضا

أفضى اليــكَ بسرِّه قلمٌ * لو كان يعرفه بكى قلمُهْ

وقال مُسْلِم بن الوليد فى الكتاب يأتيك فيه السر

الحزمُ تَحْرِيقُهُ إن كنتَ ذا حذَر * و إنما الحزمُ سوء الظنّ بالناس
إذا أتاك وقـــد أدّى أمانتَــه * فاجعل صيانته فى بطن أرْماس

وقال آخر

سأكتُمه سرِّى وأحفَظُ سرَّه * ولا غرّنى أنى عليــه كَرِيم
حَليمٌ فيَنسَى أو جهولٌ يُشيعه * وما النـاسُ إلا جاهل وحليم

الكُتَّاب والكِتابة

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه عن وهب بن جرير عن أبيـه عن يونس بن عبيد[1] عن الحسن عن عمرو بن تَغلِب عن النبيّ صلى الله عليـه وسـلم قال "من أشراط الساعة أن يَفِيض المـال ويظهر القـلم وتفشو التجار" قال عمرو : إن كنا لنلتمس فى الحِوَاء[2] العظيم الكاتبَ، ويبيع الرجلُ البيع فيقول : حتى أستأمِن تاجِرَ بنى فلان .

حدّثنا أحمـد بن الخليل عن إسماعيل بن أبَان عن عَنْبَسة بن عبد الرحمن القُرَشيّ عن محمد بن زَاذَان عن أُمّ سعد عن زيد بن ثابت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُمْلِى فى بعض حوائجه فقال "ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمُمْلِى به".

(١) كذا بالفتوغرافية . وفى الألمانية «عبيد الله» ولعله يونس بن عبيد بن دينار العبدى راوى الحديث كثيرا عن الحسن البصري وغيره . (٢) الحِواء مجتمع بيوت الحي اذا تدانت .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد المُنعِم عن أبيه عن وَهْب قال: «كان إدرِيس النبىّ عليـه السلام أوّلَ مَن خطّ بالقلم وأوّلَ من خاط الثياب ولبِسها وكان من قبلَه يلبَسون الجلودَ» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال : أخبرنا جَرِير عن يَزِيد بن أبى زِياد عن عِياض ابن أبى موسى أن عمر بن الخطّاب قال لأبى موسى : ٱدعُ لى كاتبَك ليقرأ لنا صُحُفا جاءت من الشأم . فقال أبو موسى : إنه لا يدخُل المسجِد. قال عمر: أبِه جَنابةٌ؟ قال : لا، ولكنّه نصْرانى . قال : فرفَع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالكَ ! قاتلك الله ! أمَا سمِعت قول الله عز وجل (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا ٱتخذتَ رجُلا حنيفيا ! فقال أبو موسى : له دِينُه ولى كتابتُه . فقال عمر: «لا أُكرِمهم إذ أهانهم الله ولا أعزّهم إذ أذلهم الله ولا أُدنِيهم إذ أقصاهم الله» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال اخبرنا عيسى بن يونس قال حدّثنا أبو حَيّان التَّيْمى عن أبى زِنْباع عن أبى الدِّهْقانة قال : ذُكِر لعمر ٱبن الخطّاب غلام كاتب حافظ من أهل الحِيرة وكان نصرانيا، فقيل له : لو ٱتخذتَه كاتبا . فقال « لقد ٱتخـذتُ إذًا بطانةً من دون المؤمنين » .

حدّثنى أبو حاتم قال: مُرَامِر بن مَرْوة (*) من اهل الأَنْبار وهو الذى وضع كتابة العَربيّة، ومن الأنبار انتشرت فى الناس .

(*) هكذا فى النسخة الفتوغرافية والألمانية . والذى فى القاموس : ومرامر بن مرة بضمهما أول من وضع الخط العربى . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطاعى ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال : قال ابن برى : الذى ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائنى أنه مرامر بن مَرْوة ،

حدّثنى أبو سهل عن الطَّنَافِسى عن المُنْكَدِر بن محمـد عن أبيه محمد بن المُنْكَدِر قال جاء الزُّبَير بن العوّام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت؟ جعلنى الله فداك ! قال "ما تركتَ أَعْرابيتّك بعد" .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجّهه الى مصر: «تفقَّد كاتبك وحاجبَك وجليسك، فان الغائب يخبّره عنك كاتبُك، والمتوسِّم يعرفك بحاجبك، والداخلُ عليك يعرفك بجليسك» .

ابن أبى الزِّناد عن أبيـه قال : كنت كاتبا لعمر بن عبـد العزيز فكان يكتب الى عبد الحَميـد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فى المَظالم فيراجعُـه ، فكتب اليه : «إنه لَيُخيَّل الى أنى لو كتبتُ اليك أن تُعطِى رجلا شاة لكتبتَ الى : أضَأن أم ماعِز ، ولو كتبتُ اليك باحدهمـا لكتبتَ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ اليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فاذا أتاك كتابى هذا فلا تُراجِعنى فى مَظْلِمة» .

وكتب أبو جعفر الى سَـلْم[1] بن قُتَيبة يأمره بهدم دُورِ مَن خرج مع إبراهيم وعَقْر نخلهم . فكتب اليه : بأى ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدُّور ؟ فكتب اليه أبو جعفر . «أما بعد ، فانى لو أمرتُك بافساد تَمْرهم لكتبتَ الىّ تستأذن فى أيِّه تبدأ أبالبَرْنِىّ أم بالشِّهْرِيز؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : «للكاتب على الملك ثلاثة، رفع الحِجاب عنه، واتِّهام الوشاة عليه، و إفشاء السرّ إليه» .

كانت العَجَم تقول : «من لم يكن عالما باجراء المياه وبحفر فُرَض[2] الماء والمسارب ورَدم المَهاوى ومَجارِى الأيام فى الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووَزْن الموازين

(١) فى الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) فى الفتوغرافية فرض المشارب .

وذَرع المُثلَّث والمُربَّع والمُختلِف الزّوايا ونصْب القناطر والجُسور والدّوالى والنواعير على المياه وحال أدوات الصنّاع ودقائق الحساب كان ناقصا فى حال كتابته» .

قال مَيْمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجةٌ فليكن رسولُك اليه الطمَع» .

وقال : «إذا آخيتَ الوزير فلا تخْش الأمير» .

وفى كتاب للهند : «إذا كان الوزير يُساوى الملكَ فى المال والهَيبة والطاعة من الناس فليصرعْه الملكُ ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدائنى قال : خلا زياد يوما فى أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وابنه عُبيدالله ، فنعس زياد فقال لعبيد الله : تعهَّد هذا لا يكتبْ شيئا . ونام ، فوجد عبيدالله مَسّا من البول فكَره أن يُوقظ أباه وكره أن يُخلِّى الكاتب فشدّ إبهاميه بخيط وختَمه وقام لحاجته .

قال أبو عبّاد الكاتب : ماجلس أحد قط بين يدى إلا تخيَّل الى أنى جالس بين يديه .

وقرأت فى التاج أن أبْرَوَيز قال لكاتبه : «أكتُم السرّ واصدقُ الحديث واجتهد فى النصيحة واحترس بالحذر ، فان لك علىَّ أن لا أعجَل بك حتى أستأنى لك ولا أقبَل عليك قولا حتى أستيقن ولا أُطمع فيك أحدا فيغتالَك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطَّنها وفى ظل مملكة فلا تستزيلنه ، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مُشايَحةً (*) من عدوّك واقصد الى الجميل ٱدِّرَاعًا لغدك وتحصَّن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسَّن عندى بما قدرت عليه من حسن ولا تُشْرِعَنّ الألسنةَ فيك ولا تقبِّحنّ الأحدوثةَ عنك وصُن نفسك صَون الدُّرّة الصافية وأخلِصها إخلاص الفضّة البيضاء وعاتبها معاتبة الحَذِر المُشفق وحصِّنها تحصين المدينة المَنيعة . لا تدعَنّ أن ترفع الىّ الصغير ، فانه يدل على الكبير ولا تكتمَن الكبيرَ فانه ليس شاغلى عن

(*) مشايحة : محاذرة .

الصغير . هذِّب أمورك ثم ٱلقَنى بهـا وأحكم لسانك ثم راجعنى به ولا تجترئنّ علىّ فأمتعِضَ ولا تنقبض منى فأتّهِمَ ولا تُمَرِّضنّ ما تلقانى به ولا تُخْدِجَنّه . و إذا فكرت فلا تعجَل و إذا كتبت فلا تُعْـذِر، ولا تستعينن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تُقَصِّرن عن التحقيق فانها هُجْنَة بالمقالة ولا تَلْبِسنّ كلاما بكلام ولا تباعدنّ معنى عن معنى . أكرِمْ كتابَك عن ثلاث : خضوعٍ يستخفّه، وانتشارٍ يُثَبِّجُه، ومعانٍ تقعد به، وٱجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول، وليكن بَسطةُ كتابك على السُّوقة كبسطة ملك الملوك على الملوك، ولا يكن ماتملك عظيما وما تقول صغيرا فانمـا كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليـا كعلوّه وفائقا كفَوْقه . واعلم أن جُمّـاع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء فهذه الخلال دعائم المقالات إن ٱلتُمِس لها خامس لم يوجد و إن نُقِص منها رابع لم تتم، فاذا أمرت فأحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فأَسْجِحْ واذا أخبرت فحقّق فانك اذا فعلت ذلك أخذت بجَزَامِيرِ القول كله فلم يشتبه عليـك وارده ولم يُعجزك منـه صادرُه . أثبت فى دواوينك ما أدخلت وأَحْصِ فيهـا ما أخرجت وتيقّظ لمـا تأخذ وتجرَّدْ لمـا تعطى ولا يغلبنك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدّم ولا تُخرجنّ وزن قيراط فى غير حقّ ولا تعظّمن إخراج الكثير فى الحق، وليكن ذلك كله عن مؤامرتى » .

قال رجل لبنيـه : « يابنى تَزَيَّوْا بزى الكتّاب فان فيهـم أدب الملوك وتواضع السُّوقة » .

قال الكسائى : «لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال: يا لله! ما رأيت رجلا أقدر، على كلمة الى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها، منك! » .

وقال ابن الأعرابى: «رآنى أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحتف الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة : « جلست الى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم» .

وكتب بعض الكتّاب الى صديق له : «وصل الىّ كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس مُتونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشدّ على كل مفصل حزًّا منه . أنجزتَ فيه عدّة الرأى و بشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

و يقال : «عقول الرجال فى أطراف أقلامها» .

و يقال : «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظَّفَرين و إملاك العجين أحد الرَّيعين وحسن التقدير أحد الكاسبين واللّبَن أحد اللحمين» . وقد يقال : المرق أحد اللحمين .

قيل لبعضهم : إن فلانا لا يكتب ، فقال : تلك الزَّمانة الخفية . وقرأت فى بعض كتب العجم أن موبذان مُوبَذ وصف الكُتّاب فقال : « كُتّاب الملوك عَيْبتُهم المَصُونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظمَ سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب هَلَكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك ،فتُرفَع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادَهم لأنفسهم فلا يتّهم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لأن زوال ألفتهما زوال نعمتهما، وأن التئام أُلفتهما صلاح خاصّتهما» .

وقال

لئن ذهبتُ الى الحجّـاج يقتلنى * إنى لأحمق من تَخْـدِى به العِيرُ
مسـتحقبا صُحُفا تَدمى طوابعُها * وفى الصحائف حيّات مَنَاكيرُ

وقال بعض الشعراء فى القلم

عجبت لذى سِنَّين فى المـاء نبتُه * له أثر فى كل مصرٍ ومعمَرِ

وقال بعض المحدثين فى القلم

ضئيل الرُّواء كبير الغَناء * من البحر فى المنصِبِ الأخضرِ
كمثل أخى العشق فى شخصه * وفى لونه من بنى الأصفر
يمـرّ كهيئة مَرّ الشـجا * ع فى دِعْص مَحْنِيَـةٍ أعفـرِ
إذا رأسُــه صحّ لم ينبعث * وجاز السـبيلَ ولم يبصرِ
وإن مُدِيةٌ صــدَعت رأسه * جرى جرىَ لا هائب مُقصرِ
يقضّى مآربَـــه مقبــلا * ويَحْسِــمها هيئةَ المـــدبِرِ
تجــود بكفٍّ فتى كفُّه * تسـوق الثَّراء إلى المعسر

وقال حبيب الطائى يصف القلم

لك القــلم الأعلى الذى بشَـبَاته * يصابُ من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
لعــابُ الأفاعى القاتلاتِ لعـابُه * وأرْىُ الجَنَى اشـتارته أيدٍ عواسلُ
له ريقــةٌ طَلٌّ ولكنّ وقْعها * بآثاره فى الشرق والغــرب وابـلُ
فصــيح إذا استنطقتَه وهو راكبٌ * وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجلُ
اذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأُفْرِغَتْ * عليــه شِـعابُ الفكر وهى حوافلُ
أطاعته أطــرافُ القنا وتقوّضتْ * لنجــواه تقويضَ الخيام الجحافـلُ
تراه جليلا شأنُه وهـــو مرهَفٌ * ضَنًى وسمينا خطبُـــه وهو ناحلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى يصف القلم

وأسمر طاوى الكشح أخرس ناطقٍ * له ذَمَلانٌ فى بطون المَهارِقِ
إذا استعجلتْه الكفُّ أمطرَ خالُه * بلا صوت إرعادٍ ولا ضوءِ بارق
كأنّ اللآلى والزبرجد نَطْقُه * ونَوْرُ الخُزامى فى بطون الحدائق

وقال بعض المحدَثين يمدح كاتبا

وإذا تألق فى الندىّ كلامه الـ * ـمنظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم انتحتْ * برقت مصابيح الدُّجى فى كتبه
باللفظ يقرُب فهمه فى بُعده * منا ويبعد نيله فى قربه
حكَم فَسَائحها خلال بَنانه * متدفق وقَليبها فى قلبه
كالروض مُؤتلف بحمرة نَوْره * وبياض زَهرته وخضرة عُشبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسان لا ضمير له * كأنه فخذ نيطت الى قدم
يُبدى ضميرَ سواه فى الكلام كما * يُبدى ضميرَ سواه مَنطِق القلم

بعث الطائى الى الحسن بن وهب بدواة أبنوس وكتب اليه

قد بعثنا إليك أمَّ المنايا * والعطايا زَنجيّة الأحساب
فى حَشاها من غير حَرب حِرابٌ * هى أمضى من مرهَفات الحِراب

وقال ابن أبى كريمة يصف الدواة والقلم

ومسودّة الأرجاء قد خضتُ ماءها * ورويت من قعرها غير مُنبَط
خميصَ الحشا يروَى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلَّط

وقال بعض أهل الأدب : إنمـا قيـل "ديوان" لموضع الكتبة والحُسّاب لأنه يقال : للكتّاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمّى موضعهم باسمهم .

وقال آخر: انما قيل لمدبر الأمور عن الملك "وزير" من الوِزْر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمـال ، قال الله عز وجل (وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حليهم، ولهذا قيل للإثم: وزر، شُبِّه بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتبا كتب الغداة يسُبّنى * من ذا يطيق براعة الكتّاب
لم ترض بالإعجام حين سببتنى * حتى شكلت عليه بالإعراب
وأردت إفهامى فقد أفهمتنى * وصدقت فيما قلت غير مُحابِى

وقال آخر

ياكاتبا تنـــثُر أقلامه * من كفّه دُرّا على الأسطر

وقال عَدىّ بن الرِّقاع

صلى الاله على امرئ ودَّعتهُ * وأتم نعمته عليـــه وزادها

ومنه أخذ الكتّاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طيئ فى معنى قولهم مُتُّ قبلك

إذا ما أتى يوم يفــرّق بيننا * بموت فكن أنت الذى تتأخر

وقال جرير فى معناه

رُدّى فؤادى وكونى لى بمنزلتى * يا قبل نفسك لاقى نفسىَ التلَفُ

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتّاب كتابا دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب اليه ذلك الكاتب

أحُلتَ[1] عما عهِدتُ من أدبك * أم نلتَ مُلكا فتِهت فى كتبكْ
أم هل ترى أن فى التواضع للأخوان نقصا عليك فى حسَبك
أم كان ما كان منك عن غضب * فأىُّ شىء أدناك من غضبك
إن جَفاء كتابِ ذى مِقة * يُكتب فى صدره : وأمتع بك

وقال الأصمعى فى البرامكة

إذا ذُكِر الشركُ فى مجلس * أنارت وجوه بنى برْمَك
وإن تُليت عندهم آية * أتوا بالأحاديث عن مروك[2]

وقال آخر

إن الفَراغ دعانى * الى ٱبتناء المساجدْ
وإن رأيِى فيها * كرأْى يحيى بن خالد

مرّ عبد الله بن المقفّع ببيت النار، فقال

يا بيت عاتكة الذى أتعزّل * حذَرَ العدا وبه الفؤاد موكّل

وقال دِعبِل فى أبى عبّاد

أَولَى الأمور بضَيعة وفساد * أمر يدبّره أبو عبّاد
حنِق على جلسائه بدواته * فمرمَّل ومضمَّخ بمداد
وكأنه من دَيرِ هِرْقِلَ مُفلتٌ * حَرِدٌ يجرّ سلاسل الأقياد

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم . أنظر هذا الشعر ورد ابن الزيات عليه فى العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى وهو محرف عن "مزدك" واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج فى أيام قباذ بن فيروز فبدّل شريعة زرادشت واستحلّ المحارم وسوّى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه اه باختصار عن ابن الأثير. وقد ورد البيتان فى البيان والتبيين للجاحظ .

خيانات العمال

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيه قال: ذُكِر لنا أن امرأة من قريش كان بينها و بين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها الى عمر فأهدت المرأة الى عمر فخذ جَزور ثم خاصمته اليه فوجّه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، افصل القضاء بيننا كما يُفْصل فخذ الجزور . فقضى عليها عمر وقال : إياكم والهدايا . وذكر القصة .

قال إسحاق : كان الحجـاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفى على الكوفة فكان يقضى بين الناس، فأهدى اليه رجل سِراجا من شَبَهٍ[1] و بلغ ذلك خصمه فبعث اليه ببغلة. فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رمحت السراج فكسرته .

حدّثنا إسحاق قال حدّثنا رَوْح بن عُبادة قال حدّثنا حمّاد بن سَلَمة عن الجريرى[2] عن أبى نَضْرة عن الربيع بن زياد الحارثى أنه وفد الى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطْعم طيّب ومَلبَس ليّن ومركَب وَطىء لأنت . فضرب رأسه بجريدة وقال : والله ما أردتَ بهذا إلا مقاربتى، و إن كنتُ لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمثَلى ومثَل هؤلاء، إنمـا مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشىء؟ قال الربيع : لا .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن أبى نَجيح قال: لمـا أُتِى عمر بتاج كسرى وسِوَاريه جعـل يقلبه بعود فى يده و يقول : والله إن الذى أدى

---

(١) النحاس الأصفر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط ، ولعله الجريرى بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إياس الجريرى ، فقد جاء فى تهذيب التهذيب وفى الأنساب للسمعانى أن من جملة من روى عنه الحمّادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدّون اليك ما أدّيت الى الله فاذا رتَعت رتَعوا . قال : صدقت .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال : لما أُتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزّان والنقّاد فكوّم كُومةً من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرّى وابيضّى وغُرّى غيرى . وأنشد

هـذا جَنَاىَ وخياره فيه * اذ كل جانٍ يدُه الى فيه

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن إسماعيل بن أبى خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليه أربعا : ألّا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقى ، ولا يتخذ بوابا . ومر ببناء يبنى بحجارة وجَصٍّ فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخْرِج أعناقَها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعْ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يختمون به الذهب ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفَضْل .

حدّثنا محمد بن عبيد عن هَوْذة (١) عن عوف عن ابن سيرين [وإسحاق عن النضر بن شُميل عن ابن عون عن ابن سيرين] (٢) بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدوّ الله وعدوّ كتابه ، أسرقت مال الله؟ قال أبو هريرة لست بعدوّ الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "حميد" والاسمان واردان معا فى تهذيب الكمال فى أسماء الرجال . وليس فى ترجمة أحدهما من يروى عن هَوْذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هى الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدوّ كتابه ولكنى عدوّ من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلى تناسلت وعطائى تلاحق وسهامى تتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين ثم قال لى عمر بعد ذلك : ألا تعمل؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت يوسف نبيّ ابن نبيّ وأنا ابن أُمَيمة(١) أخشى ثلاثا واثنتين . قال فهلا قلت خمسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يُضرب ظهرى ، ويشتم عرضى ، وينزع مالى .

حدّثنا محمد بن داود عن نصر بن قُديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبى بُرْدة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إنى قرأت فى بعض الكتب : «من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصانى ومن أعزّ(٢) ممن أعزّنى . أيا راعى السوء دفعتُ اليـك غنما سمانا سحاحا فأكلتَ اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمْن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع» .

حدّثنى محمد بن شَبَابة عن القاسم بن الحكم العُرَنى القاضى قال حدّثنى اسماعيل ابن عيّاش عن أبى محمد القرشى عن رَجَاء بن حَيْوة عن ابن مَخْرمة(٣) قال : إنى لتحت منبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية حين قام فى النـاس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله . ألا إنه لن يبعِّد من رزق الله ولن يقرِّب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكِّر بعظيم . ألا و إنى ما وجدت صلاح ما ولّانى الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا و إنى ما وجدت

(١) اسم أم أبى هريرة . (٢) فى النسخة الالمانية : ومن أغرّ ممن اغترّبى .

(٣) فى الالمانية : "مخرمة" ولعل الصواب ما فى الفتوغرافية حيث ذُكر فى ترجمة رجاء بن حيوة ان من شيوخه المسور بن مخرمة .

صلاح هذا المـال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى فى حق ، ويمنع من باطل. ألا وإنما أنا فى مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرُّمَ البَهْمة» .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خُنَيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد اذا ولى رجلا قل له : خذ عهدَك وسِرْ الى عملك واعلم أنك مصروفٌ رأسَ سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلّمتك من معرّتنا أمانتــك ، وان وجدناك خائنا قويا استهنّا بقوّتك وأحسنّا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجُرْمين جمعنا عليك المضرّتين ، وإن وجدناك أمينا قويا زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثّرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

قال العتبى : بُعث الى عمر بحلل فقســمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حُلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى اتّزرتُ (*) به هو ثوبك؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمعْ .

بلغنى عن حفص بن عِمران الرازى عن الحسن بن عُمارة عن المِنْهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذكر عليا فتنقّصه فقام شدّاد فقال : «الحمد لله

(*) كذا بالأصــل ، وفى القاموس : واتتزر به وتأزر به ولا تقل اتزر وقد جاء فى بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اهـ . وفى النهاية لابن الاثير انه خطأ لان الهمزة لا تدغم فى التاء . وفى التاج : وقال المطرزى انه لغة عامية ثم نقل عن الصاغانى انه يجوز أن تقول اتزر بالمئزر أيضا فيمن يدغم الهمزة فى التاء كما يقال اتّمنه والأصل ائتمنه .

الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها النـاس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرَض حاضر يأكل منهـا البرّ والفاجر، وإن السامع المطيع لاحجة عليـه وإن السامع العاصى لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالنـاس صلاحا عمّل عليهم صلحاءهم وقضّى بينهم فقهاءهم وجعل المـال فى سُمحائهم ، واذا أراد بالعباد شرا عمّـل عليهم سفهاءهم وقضّى بينهم جهلاءهم وجعل المـال عنـد بخلائهم. وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشّك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمـال ، وقال : ألستُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المســلمين تعمّدتَ جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا ، فنعم . وإن كان مما شاركك فيــه المسلمون فاحتجنتَه دونهم، أصبتَه اقترافا وأنفقته إسرافا ، فان الله عز وجل يقول (إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّ عمرو بن عُبيد بجماعة عُكوف، فقال ما هذا؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله، سارق السر يقطعه سارق العلانية ! .

ومر طارقٌ صاحب شُرْطة خالد القسرى بابن شبرمة ،وطارق فى موكبه فقال ابن شبرمة

أراها وإن كانت تُحَبُّ كأنهـا * سحابةُ صيف عن قريب تَقَشَّعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستُعمل ابن شبرمة بعـد ذلك على القضاء، فقال له ابنه : أتذكر يومَ مرّ بك طارق فى موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنى، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلَهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم .

ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينــة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا اليه فأنشد لدرّاج الضّبابى .

فلا السجن أبكانى ولا القيد شفّنى * ولا أننى من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذا متُّ أن يُعْطوا الذى كنت أمنع

ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكنى أخشى أن يلىَ هذه الوجوه من لا يرعى لها حقها .

ووجدت فى كتاب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ : « إنى أشركتك فى أمانتى ولم يكن رجل من أهلى أوثق منك فى نفسى ، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمك قد كلِب ، والعدوّ قد حَرِب قلبتَ لابن عمك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفتَ ما قدرت عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزلّ داميةَ المِعْزى » وفى الكتاب : « ضَحِّ (*) رويدا فكأنْ قد بلغتَ المدى وعُرِضتْ عليك أعمالك بالمحل الذى به ينادِى المغترّ بالحسرة ويتمنى المضيِّع التوبةَ والظالم الرجعةَ » .

وفى كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدىّ بن أرطاة : « غرّنى منك مجالستُك القرّاءَ وعمامتُك السوداء فلما بلَوْناك وجدناك على خلاف ما أمّلناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون بين القبور! » .

قال ابن أحمر يذكر عمال الصدقة

إن العِياب التى يُخْفون مُشْرَجة * فيها البيان ويُلوَى عندك الخبر
فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخفَ عين على عين ولا أثر
هل فى الثمانى من السبعين مَظْلِمة * وربُّها بكتاب الله مصطبِر

وقال عبد الله بن همّام السّلولى

أقلى علىَّ اللوم يا أم مالك * وذُمّى زمانا ساد فيه الفَلاقِسُ

(*) ضحِّ من ضحّيت الغنم اذا رعيتها فى الضحى ، أى اربع نفسك على مهل فانما أنت على شَرَف الموت .

(*)
وساعٍ مع السلطان ليس بناصح * و"محترس من مثله وهو حارس"

قدم بعض عمـال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحـدّثهم بالكذب ، فقـال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنُّكم بأناس خـــير كُسبهم * مصرّحُ السحتِ سَمَّوْه الإصاباتِ

وقال أبو نواس فى إسماعيل بن صَبِيح

بنيتَ بمـا خنتَ الامام سِقَايةً * فلا شربوا إلا أمرَّ من الصبر
فما كنتَ إلا مثلَ بائعة آستها * تعودُ على المَرْضَى به طلبَ الأجرِ

يريد معنى الحديث أن آمرأة كانت فى بنى إسرائيل تزنى بحَب الرمّان وتتصدّق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

ألست أمينَ الله سـيفك نَقْمة * اذا ماق يوما فى خلافك مائق
فكيف باسماعيل يُسْـلِم مثلُه * عليكَ ولم يُسْـلِم عليكَ منافقُ
أُعيذك بالرحمن من شرّ كاتب * له قـلم زانٍ وآخرُ سارق

وقال فيه أيضا

ألا قلْ لاسماعيل إنك شارب * بكأس بنى ما هانَ ضَرْبةَ لازم
أتُسْمِنُ أولادَ الطريد ورَهطَه * بإهزال آل الله من نسل هاشم
وتخـبرُ من لاقيت أنك صائم * وتغـدو بفرج مُفْطر غير صائم
فإن يَسْرِ إسماعيـلُ فى جَرَاته * فليس أمـير المؤمنين بنـائم

ولى حارثة بن بدر "سُرَّق" فكتب اليه أنس الدؤلى

أحارِ بنَ بدر قد وليتَ ولايةً * فكن جُرَذًا فيهـا تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شىء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما فى لسان العرب .

وبار تميما بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فان جميع الناس إما مكذِّب * يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يحقِّقوا
ولا تَحْقِرَنْ يا حارِ شيئا أصبتَه * فحظُّك من مُلك العراقين سُرُقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعمى عليك الرشد .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن جُوَيرية بن أسماء قال، قال فلان : «إن الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضِّياع خان» .

قرأت فى كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فاذا لم يُطمع منك فى الصغير لم يُجترأ عليك فى الكبير . وأَبْرِد البريد فى الدرهم ينقص من الخراج، ولا تعاقبن على شىء كعقوبتك على كسره ولا ترزقنّ على شىء كرزقك على إزجائه، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن ثوابك عليه حقنَ دم المزجِى وتوفير ماله من غير أن يعلم انك أحمدتَ أمره حين عفّ واعتصم من أن يهلك» .

وقرأت فى التاج أن أبروَيز قال لصاحب بيت المال : «إنى لا أحتملك على خيانة درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم، لأنك إنما تحقِنُ بذلك دمك وتعمُر به أمانتك فانك إن خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أنى لم أجعل أحدا على ذخائر المُلك وعمارة المملكة والعُدّة على العدوّ إلا وأنت آمنُ عندى من موضعه الذى هو فيه وخواتيمه التى هى عليها، فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى، ولا تتعوّض بخير شرا ولا برفعة ضَعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة» . وكان يقال : « كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة » .

قدم معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان، حساب من الله وحساب منكم؟ لا والله لا ألِى لكم عملا أبدا .

ذكر أعرابى رجلا خائنا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقَمًا وإن فلانا يَحْسُوها حَسْوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلا تعمل طويلا وآلزم العفاف يلزمك العمل، وإياك والرُّشَا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضـاء

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بِشْر بن المفضَّل بن لاحق قال حدّثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لاينبغى للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال: يكون عالما قبل أن يستعملَ، مستشيرا لأهل العلم، ملقيا للرَّثَع[(١)]، منصفا للخصم، محتملا[(٢)] للائمة » .

حدّثنى على بن محمد قال حدّثنا اسماعيل بن اسحاق الأنصارى عن عبد الله بن لَهِيعة عن عبد الله بن هُبَيرة عن على عليه السلام أنه قال : «ذمتى رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العِبَرَ ألّا يهلك[(٣)] على التقوى زرعُ قوم ولا يظمأ على التقوى سِنْخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله الى الله رجل قَمَشَ جهلا غارًّا بأَغْباش الفتنة عِميًا بما فى عقد[(٤)] الهدنة سماه أشباهه من الناس عالما ولم يُغْنِ فى العلم يوما سالما . بَكَّر

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتديا بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر فى العقد الفريد وفى البيان والتبيين بما نصه : اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم عن الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاورة أهل الرأى .

(٣) فى النسختين الألمانية والفتوغرافية، «يهيج» والتصويب عن نهج البلاغة .

(٤) فى الاصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر، ما قلّ منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيأ حشوا رثًّا(*) من رأيه، فهو من قَطْع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت. لا يعلم اذا أخطأ، لأنه لا يعلم أأخطأ أم أصاب. خبّاط عَشَوات ركّاب جهالات. لا يعتذر ممـا لا يعلم فيسلم ولا يَعَضّ فى العلم بضرس قاطع. يَذْرو الرواية ذَرْو الريح الهشيمَ، تبكى منه الدماء وتصرُخ منه المواريث ويستحلّ بقضائه الفرج الحرام. لا مَلِيءٌ والله باصدار ما ورد عليه ولا أهلٌ لمـا قُرِّظ به»

قال ابن شبرمة

ما فى القضاء شـفاعة لمخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهونْ علىّ اذا قضيتُ بسـنة * أو بالكتاب برَغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظـائر معـروفة ومعـالم

الهَيْثم عن ابن عيّاش عن الشَّعْبى قال: كان اول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلى، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر واستقضى شُرَحْبيل على المدائن، ثم عزله واستقضى أبا قُرَّة الكندى وهو اسمه فاختط الناس الكوفة وقاضيهم أبوقرة. ثم استقضّى شريحَ بن الحارث الكندى فقضى خمسا وسبعين سـنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه مسروقَ بن الأجدع سـنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة فى زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض فى الفتنة. فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا فى الطريق فقال: يا أبا أمية قضيت والله بجور، قال: وكيف ذاك؟ ويحك! قال: كبِرتْ

(*) فى الأصلين «رأيا» والتصويب عن نهج البلاغة.

سنّك واختلط عقلك وارتشى ابنك، فقال [شريح لا جرم] (*) لا يقولها أحد بعدك . فأتى الحجاج فقال : والله لاأقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفيك أو تبغينى رجلا. فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبى بردة بن أبى موسى . فاستقضاه الحجاج وألزمه سعيدَ بن جُبَيْر كاتبا ووزيرا .

وروى الثورى عن علقمة بن مَرْثَد أنه لقى محاربَ بن دِثَار وكان على القضاء فقال له : يامحارب، الى كم تردّد الخصوم؟ فقال له : إنى والخصوم كما قال الأعشى

أرقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّق * وما بى من سقم وما بى مَعْشَق
ولكن أرانى لا أزال بحادث * أغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأطرَقُ

حدّثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة فطوّل فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفُتْيا فعليك بالحسن معلمى ومعلم أبى ، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يَعْلَى — وكان على قضاء البصرة يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بحُمَيد الطويل، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك : حطّ شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى نصلح بينكما ، وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السَّدُوسى ، وتدرى مايقول لك ؟ يقول لك : اجحد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادّع ما ليس لك وادّع بيِّنةً غُيَّبًا .

قرأت فى الآيين : « ينبغى للحاكم أن يعرف القضاء الحقَّ العدل والقضاءَ العدل غير الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بتثبُّت وروية ويتحفَّظ من الشبهة» . والقضاء الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد، والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ فقيل : وما يكون خيرا من الحق؟ قال : التحاطّ والهَضْم فان أخذ الحق كله مُرٌّ .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في شيء فحكّما رجلا له في المخطئ هوى، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثرُ .

الهيثم بن عدي قال : تقدّمت كُلْثُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد الى عبد الملك بن عُمَير وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يُرمى بها فقضى لها، فقال هُذَيل الأشجعي

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما ادّعتْ من صامت المال والخَوَلْ
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقّه * وكان وليد ذا مراء وذا جَدَلْ
ففتّنت القبطيَّ حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السُّوَر الطُّوَلْ
فلو كان من في القصر يعلم علمَه * لما استُعمِل القبطيُّ فينا على عملْ
له حين يقضي للنساء تَخَاوُصٌ * وكان وما منه التخاوصُ والحَوَلْ
إذا ذاتُ دلٍّ كلّمته لحاجة * فهمَّ بأن يقضي تنحنح أو سَعَلْ
[وبرّق عينيه ولاك لسانَه * يرى كل شيء ما خلا شخصَها جَلَلْ][1]

فكان عبد الملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتني السعلة أو التنحنح وأنا في المتوضّأ فأكفّ عن ذلك .

وقال ابن مناذر[2] في خالد بن طَليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذي * من هاشم في سرِّها واللبابْ

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في القاموس : وابن مناذر ويضم فيصرف شاعر بصري لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر. وفي الأغاني أنه اذا قيل له ابن مناذر بفتح الميم يغضب ثم يقول أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . انما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّخْطة عاقبتنا * بخالد فهو أشدّ العقابْ
كان قضاةُ الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذابْ
ياعجبًا من خالد كيف لا * يخطئ فُتْيَا مرةً بالصوابْ

وقال فيه

جُعل الحاكم يا للنّـ*ـاس من آل طَليق
ضُحْكَةً يحكم فى النا * س برأى الجاثَليق[1]
أىُّ قاض أنت فى النقـ*ـص وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيثم ما أنـ*ـت لهذا بخليقِ
لا ولا أنت لما حُمِّـ*ـلتَ منه بمُطيقِ

أراد عدىُّ بن أرطاة بكرَ بن عبد الله المزنى على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فان كنتُ كاذبا أو صادقا فما يحلّ لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عُزل ابن شُبرُمة عن القضاء قال له والى اليمن : اختر لنا رجلا نوليه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه . فذُكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل اليه فجاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدرى لم دُعيت؟ قال : لا . قال : إنك قد دعيت لأمر عظيم، للقضاء . قال: ما أيسر القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شىء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ماتقول فى رجل ضرب بطنَ شاة حامل فألقت مافى بطنها ؟ فسكت الرجل، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك[2] فما وجدنا عندك شيئا . فقيل له : ما القضاء فيها؟ قال ابن شبرمة] تُقوَّم حاملا وتُقوَّم حائلا ويغرم قدرَ مابينهما .

(١) فى القاموس : الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى فى بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقنفذ . (٢) زيادة فى النسخة الالمانية .

حدّثنى عبـد الله (*) بن محمد الخَلَنجى قال : كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول فى رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمّه فوُلد لكل واحد من امرأته ولد ، ماقرابةُ مابين الولدين؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عمٌّ الآخر لأمه .

ودخل رجل من أهل الشأم على عبد الملك بن مروان فقال : إنى تزوجت امرأة وزوجت ابنى أمّها ولا غنى بنا عن رِفدك . فقال له عبد الملك : إن أخبرتنى ماقرابةُ مابين أولادكما اذا أَولدتُما ، فعلتُ . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلدتَه سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فان أصاب لزمنى الحِرمان ، وإن أخطأ اتّسع لى العذر . فدعا بالبحدلى فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرّماح ، أحدهما عمٌّ الآخر والآخر خاله .

قال ابن سيرين : كنّا عند أبى عبيدة بن أبى حذيفة فى قُبّـة له وبين يديه كانُون له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فِراشه فسارّه بشىء لا ندرى ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضَع لى إصبعك فى هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرنى أن أضع لك أصبعى فى هـذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علىّ بأصبع من أصابعك فى نار الدنيا وتسئلنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه الى القضاء .

كان يقال : «ثلاث إذا كنّ فى القاضى فليس بكامل : إذا كره اللوائم ، وأَحبَّ المحامد ، وكره العزلَ . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالمـا ، ولا يسمع شكيّة من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم» .

(*) فى النسخة الفتوغرافية : «عبد الرحمن» وفى أنساب السمعانى ما يؤيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضى الى العـــدل فى لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .

قال الشـعبى : حضرت شُرَيحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكتْ فقلت : ياأبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : ياشعبى ، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاء يبكون .

بلغنى عن كَثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أُدلى اليك فانه لا ينفع تكلُّم بحق لا نفاذَ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمَع شريف فى حَيْفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا ، ولا يمنعنّك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهُديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شىء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، واعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عنـد ذلك ثم اعمَد لأحبّها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادّعى حقا غائبا أمدا ينتهى اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه و إلا استحللتَ عليه القضاء . والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلودا فى حدّ أو مجرَّبا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو قرابة . إن الله تولّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات . و إياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر و يحسن الذخر ، فانه من صلَحتْ سريرته فيما بينه و بين الله أصلح الله ما بينه و بين الناس ، ومن تزيّن للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه اللهُ ، والسلام » .

وقال سَلَمة بن الخُرْشُب لسُبَيع التغلَبي في شأن الرُّهن التي وضعت على يديه في قتلى عَبْس وذُبْيان .

أبلغ سُبَيعا وأنت سيدنا * قِدْما وأوفى رجالنا ذمما
أن بَغيضًا وأن إخوتها * ذُبْيَان قدضرّمواالذى اضطرما
نُبِّئتُ أن حكّموك بينهم * فلا تقولنّ بئس ما حكما
إن كنت ذا عِرْفة بشأنهم * تعرفُ ذا حقِّهم ومن ظَلَما
وتُنزل الأمر فى منازله * حكما وعلما وتحضر الفهَمَا
فاحكم فأنت الحكيم بينهم * لن يعدَموا الحقّ باردا صَتَمَا
وآصدعْ أديمَ السواء بينهم * على رضا من رضِى ومن رَغِما
إن كان مالا فمثل عِدّته * مالٌ بمال وإن دمًا فدَمَا
هذا وإن لم تُطِق حكومتَهم * فانبذْ اليهم أمورَهم سَلَمَا

وأنشد عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبى سلمى، فلما بلغ قوله

فان الحق مقطعُه ثلاث * يمينٌ أونفارٌ أوجلاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من إحدى ثلاث إما يمين أو محاكمةٌ أو حجةٌ .

وقال ابن أبي ليلى الفقيه فى عبد الله بن شبرمة

وكيف ترجّى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم فى نفسكا
وتزعم أنك لابن الجُلَاح * وهيهات دعواك من أصلكا

عبد الله بن صالح العِجْلى قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخَيْزُران وقد أقبلت تريد الحج، فأتى، "شاهِىَ" فأقام بها ثلاثا ولم تُوَافِ فخفّ زاده وما كان معه من الخبز فجعل يبلّه بالماء ويأكله بالملح، فقال العَلَاء بن المِنْهال الغَنَوى

فان كان الذى قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مُوضِعًا فى كل يوم * تَلَقَّ من يحجُّ من النساء
مقيما فى قرى شَاهِى ثلاثا * بلا زاد سوى كِسَرٍ وماء
يزيد الناسُ خيرا كلّ يوم * فترجع ياشريك الى وراء

وقال فيه أيضا

فليت أبا شريك كان حيا * فيُقْصِر حين يبصره شريكُ
ويترك من تدرِّيه علينا * اذا قلنا له هـذا أبوكَ[(١)]

وأنشد لبعض الشعراء فى بعض الحكام

أبكى وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكّام
إن الحوادث ماعلمتُ كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى القاسم بن الفضل قال حدّثنى رجل من بنى جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا الى سَوَّار بن عبد الله فقضى على الجريرى، فمر سَوَّار ببنى جرير فقام اليه الجريرى فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيتُ أحلاما فعبَّرتُها * وكنتُ للأحلام عبَّارا
رأيتُنى أخنق ضبًّا على * جُحْر وكان الضبُّ سَوَّارا

فى الشهادات

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال لى أيوب[(٢)] : إن من أصحابى من أرجو دَعْوته ولا أُجيز شهادته . قال وقال سَوَّار : ما أعلم أحدا أفضل من عَطَاء السُّلَمى، ولوشهد عندى على فَلْسَين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأى ليس بالحازم،

(١) فى هذا الشعر الإقواء، وهو المخالفة بين القوافى فى حركة الإعراب، وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين فى جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) فى النسخة الألمانية «أبو أيوب» .

لا أنه يطعن عليه ى دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوّار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنـه ؟ قال : كما أعلم أنك سَوّار بن عبد الله ابن عَنْزة بن نَقْب . قال : وشهد رجل عنـد سوار فى دار قد ادّعاها رجل قال : أشهد أنها له من المـاء الى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أىَّ شىء أكتب؟ فقال : كلَّ شىء يُخْرِج الدار من يد هذا ويجعلها فى ملك هذا فاكتبه . [قال(١) أبو حاتم بلغنى أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدّب . قال : فانا لا نجيز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إنى أُكرهت على القضاء . قال : يا هذا، القضاءُ أُكرهت عليه فهل أُكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلمّ شهادتَك. فأجازها. قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبى فراس، وزيدونا. فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفتُ ألف مُحْصَنة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبى ليلى فقال فى مجلسه ذلك

إن القومُ غطَّوْنِى تغطيتُ دونهم * وإن بحثوا عنى ففيهـم مَبَاحثُ
وإن حفروا بئرى حفرتُ بئارَهم * ليُعلم ما تخفيه تلك النَّبـائثُ

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشىء .

أتى رجل ابن شبرمة(٢) بقوم يشهدون له على قَرَاح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم فى القراح من نخلة؟ قالوا : لا نعلم. فردّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضى فى هذا المسجد منذُ ثلاثين سنة، فأعلِمْنا : كم فيه من أُسطُوانة؟ فأجازهم.

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٢) كذا فى النسخة الألمـانية، وفى النسخة الفتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم نقف فى ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصـــمُ لا يرتجى النجاةُ له * يوما إذا كان خصمُه القاضى

قدّم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه، فقال : إن هذا الرجل يُدِلُّ بخاصّة ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بمـا ينفعه عندى من خاصّته : إن يكن الحقُّ له عليك آخذْك أخذا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليــه أقضِ عليه ثم أقضِ عنه .

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبى بكرة قاضيا وكان يميل فى الحكم الى إخوانه . فقيل له فى ذلك . فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائنى : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مدارأة فى واد بالمدينة . قال فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتياه فقال لهما : أنتمـا فى فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان ! وقد سمعتما من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت وحضرتما من قوله مثلَ الذى حضرت فيمن اقتطع شــبرا من أرض أخيه بغير حق أنه يُطَوَّقُه من سبع أرضين ! والحَكَم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن الحَكَم إذا جار رُزِئَ دينَه والمحكوم عليه إذا جير عليه رُزِئَ عرَض الدنيا [إن شئتما فأدليا بحجتكما و] (١) إن شئتما فأصلحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا .

وكان السِّنْدىّ ابن شَاهَك لا يستحلف المكارى ولا الحـائك ولا الملاّح ويجعل القول قول المدّعى مع يمينه، ويقول : اللهم إنى أستخيرك فى الجمّال ومعلّم الصبيان .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

وقال ابو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العِذْيَوْط ولا المغذّى ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول فى ثوبى .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبرى : أتجيز شهادة رجل عفيف تقىّ أحمق؟ قال: لا ، وسأريكم . ادعوا لى أبا مودود[(١)] حاجبى، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شَمال يشوبها شىء من الجَنُوب . فقال : أتَرَوْنى كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لى مُحارب بن دِثَار : وليت القضاء فبكى أهلى وعُزِلت عنه فبكوا ، فما أدرى مم ذاك؟ فقلتُ له : وليتَ القضاء فكرهتَه وجزعْت منه فبكى أهلك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك . فقال : إنه لكما قلتَ .

قدم إياس بن معاوية الشأم وهو غلام فقدّم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضى : أتقدّم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتى ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقضِ حاجتَه وأخرجه من الشأم لا يفسدْ علىّ[(٢)] الناس .

قال أعرابى لخصم له : « والله لئن هَمْلَجْتَ الى الباطل إنك عن الحق لقَطُوف» .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : مورد . (٢) فى الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين .

باب الأحكام

حدّثنى عَبْدة بن عبد الله قال حدّثنـا وهب بن جرير قال حدّثنا أبى قال سمعت الزبير بن الحارث يحدّث عن عكرمة عن أبى هريرة قال : «قضى رسول صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس فى الطرق أنها سبع أذْرُع » .

حدّثنى يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حتّم(١) عن غزال بن مالك الغِفَارى عن أبيه عن جدّه قال : « كفل النبى عليه السلام رجلا فى تهمة» .

قال وحدّثنى أيضا عن إبراهيم بن حتم عن غزال بن مالك عن أبيــه عن جدّه قال قال أبو هريرة : « حبس النبى صلى الله عليه وسلم فى التهمة حبسا يسيرا حتى استبرأ » .

حدّثنى يزيد قال حدّثنى الولِيد(٢) عن جرير بن حازم عن الحسن : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب» وقال لى رجل بالمدينة : هو ذو رباب .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن سليمان بن حَرْب عن جرير عن يَعْلى بن حَكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : «أتى ماعزُ بن مالك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى زنيت يا رسول الله. فقال: لعلك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا، بل زنيت . فأعادها عليه ثلاثا، فلما كان فى الرابعة رجمه» .

حدّثنى شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثـورى عن على بن الأقمر عن يزيد بن أبى كبشة أن أبا الدرداء أُتى بامرأة سرقت، فقال : أسرقتِ؟ قولى : لا .

(١) النسخة الألمانية : "خيثم" ولم نعثر على ما يرجح احدى الروايتين .

(٢) النسخة الفتوغرافية " أبو الوليد " .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال : جاءوا زيادا بلصّ وعنده جماعة فيهم الأحنف، فانتهروه وقالوا : اصدق الأميرَ. فقال الأحنف : إن الصدق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدّثنى شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عيّاش عمن حدّثه عن ابن عباس قال « جزّ الرأس واللّحية لا يصلح فى العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسُكًا لمرضاته » .

حدّثنى شبابة عن القاسم عن الأوزاعى أن عمر بن عبد العزيز قال «إياكم والمُثْلة فى العقوبة جَزّ الرأس واللحية» .

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال حدّثنا يونس عن أبى بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى فى رجل فزّع رجلا فضرط بأربعين درهما .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق عن جُوَيبر عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحلّ فى هذه الأمة غَلّ ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ » .

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعى قال : كان عامر بن الظَّرِب العَدْوانى حَكَمَ العرب، فنزل به قوم يستفتونه فى خنثى وله جارية يقال لها خُصَيلة[1] . وربما لامها فى الإبطاء فى الرعى وفى الشىء يجده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبستُ هؤلاء القوم وريّثتُهم حتى أسرعتِ فى غنمى . قالت وما يكن عليك من ذلك؟ أتبعْه مبالَه . فقال لها : "مَسِّى خُصَيْل بعدها أو رَوِّحى" .

(١) كذا بالنسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية «جميلة» وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب خصيلة هذه فى حكايات العرب قال ولعلها هى التى كان أبوها عامر يقول لها "مسّى سُخَيْل بعدها أو صبّحى" بناء على أنها كانت تسمى سخيلا أيضا . وقد ذكر الميدانى أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأُتِي ابن زياد بانسان له قُبُل وذكر ولا يُدرى كيف يُورَّث. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل الى جابر بن زيد. فأرسل اليه، فجاء يَرْسُف فى قيوده فقال: ما تقول فى هذا؟ فقال: ألزقْه بالجدار فان بال عليه فهو ذكر، وإن بال فى رجليه فهو أنثى.

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال حدّثنا قيس بن الربيع عن أبى حصين أن رجلا كسر طُنْبورا لرجل فخاصمه الى شريح، فقال شريح: لا أقضى فى الطنبور بشىء.

[حدّثنى(*) أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه قال: قال لى أبو العجاج: يابن أَصْمَع والله لئن أقررتَ لأُلْزِمنّك. أى لا تقر].

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه عن مَعْمر قال: ردّ رجل على رجل جارية اشتراها منه، فخاصمه الى إياس بن معاوية، فقال له: بم تردّها؟ قال له: بالحمق. فقال لها إياس: أىُّ رجليكِ أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة وُلِدتِ؟ قالت: نعم. فقال إياس: ردّ ردّ.

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن قيس عن أبى حُصَين قال: رأيت الشّعبىّ يقضى على جلد أسد.

الظلم

حدّثنى عبد الرحمن [بن(*) عبد الله بن قُرَيب قال حدّثنى الأصمعىّ] قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وآمرأته اختصما الى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتنقَّب قبيحة المَسْفر، وكان لها لسان فكأن العاملَ مال معها فقال: يعمَد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثم يسىء اليها! فأهوى زوجها الى النِّقاب فألقاه

(*) زيادة فى النسخة الألمانية.

عن وجهها فقال العامل : عليكِ اللعنة ! كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ . وأنشد الرياشىّ فى نحو هذا

رأيتُ أبا الجَنْاء فى الناس جائرا * ولون أبى الجناء لونُ البهائم
تراه على ما لاحَهُ من سواده * وإن كان مظلوما له وجه ظالمٍ

أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العَلاء قال : كان رجل من العرب فى الجاهلية إذا رأى رجلا يظلِم ويعتدِى يقول : فلان لا يموت سَوِيًّا . فيروْن ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويا . فلم يقبل حتى تُتابعت الاخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن[1] لكم دارا سوى هذه تجازَوْن فيها .

كتب رجل من الكُتّاب الى سلطان : « أعيذك بالله من أن تكون لاهيًا عن الشكر محجوبا بالنعم صارفًا فضلَ ما أوتيتَ من السلطان الى ما تقلّ عائدته وتعظم تبعتُه من الظلم والعدوان ، وأن يستزلّك الشيطان بخَدْعه وغروره وتسويله فيُزيلَ عاجل الغِبْطة وينسيَك مذموم العاقبة ، فان الحازم من يذكر فى يومه المخوفَ من عواقب غده ولم يغرّه طولُ الأمل وتراخى الغاية ولم يضرب فى غَمْرة من الباطل ولا يدرى ما تُتجلّى به مغبّتُها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المنقلَب وقبيح الذكر الذى لا يفنيه كرّ الجديدين واختلاف العصرين » .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا معاوية بن عمرو قال حدّثنا أبو إبراهيم السقّاء عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتَى بمعلم الصبيان[2] يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان وإلا[3] أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إنى لأستحيي أن أظلم [من لا يجد

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من الناسخ . (٢) فى الفتوغرافية : الكتّاب .
(٣) زيادة فى النسخة الألمانية .

علىّ ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إنى لأستحيي ان أَظْلِم] وأَحْرَجُ أن أُظْلَمَ » . وكان يقال : اذا أراد الله ان يُتحف عبدا قيّض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : «أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بُسِطت بالقدرة يداه» .

ذُكر الظلم فى مجلس ابن عباس فقال كعب : إنى لا أجد فى كتاب الله المنزل أن الظـلم يُخْرِب الديار . فقال ابن عباس أنا أُوجِدُكَهُ فى القرآن ، قال الله عز وجل ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان فُرْعان وهو من بنى تميم (١) لا يزال يُغير على إبل النـاس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ، فجاء الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك ، فقال الناس : كبرتَ والله يا فُرْعان . فقال : لا والله ولكن جذبنى جذبة مُحِقٍّ . وكان سُدَيف بن ميمون مولى اللِّهْبيين يقول : اللهم قد صار فيئُنا دُولَةً بعد القسمة و إمارتُنا غلبة بعد المشورة وعهدُنا ميراثا بعـد الاختيار للأمة . واشتُرِيت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحُكِّم فى أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيامَ بأمورهم فاسقُ كلّ مَحلّة . اللهم وقد استحصد زرعُ الباطل وبلغ نهايته واجتمع طريدُه . اللهم فأتحْ له يدا من الحق حاصدة تبدّد شمله وتفرّق أمره ليظهر الحق فى أحسن صُوَره وأتم نوره .

ولى أعرابى بعض النواحى فجمع اليهود فى عمله وسألهم عن المسيح فقالوا : قتلناه وصلبناه . فقال : فهل أديتم ديته؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدّوها . فلم يبرحوا حتى أدّوها .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : وهو مولى لبنى تميم .

كان أبو العَاج على جَوَالى البصرة فأُتى برجل من النصارى : فقال ما ٱسمك ؟ فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةُ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال : فأخذ منه ثلاثَ جِزًى .

ولى أعرابى "تَبَالَةَ" فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير أعزنا الله و إياه ولّانى بلادكم هذه، و إنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى، ولن أوتَى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضربا ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون اليه . قال بعض الشعراء

بنى عمّنا لا تذكروا الشعر بعد ما * دفنتم بصحراء الغُمَير(١) القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلَّة * فنقبلَ ضَيْما أو نحكِّم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلَّط * فنرضى إذا ما أصبح السيفُ راضيا
فان قلتم إنا ظَلَمنا فلم نكن * ظَلَمنا ولكنّا أسأنا ٱلتقاضيا

[وقال(٢) آخر

تفرحُ أَن تغلبنى ظالما * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]

وكانوا يتوقَّوْن ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . ٱخسَئوا فيها ولا تكلِّمونِ . أخذتُ سمعك وبصرك بسمع الله وبصره . أخذت قوّتك بقوّة الله . بينى وبينك سِتْر النبوّة الذى كانت الانبياء تستتر به من سَطَوات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد أمامك والله مطلع عليك ويحجُزك عنى ويمنعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوبا للشَّمَيْذَر الحارثى . والغمير موضع بين ذات عرق والبستان وقبله بميلين قبر أبى رغال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لمواضع أخر . وقد ورد فى الفتوغرافية هكذا « العبيط » محرفا عن « الغَبيط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء الغبيط وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فألقى بصحراء الغبيط بَعَاعَه * كصَرْع اليمانى ذى العِيَاب المحمّل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدى الأميرَ إذا ظُلمنا * فمن يُعْدِى اذا ظَـلم الأميرُ

[وقال آخر[1]

إذا كان الأمـــير عليك خصما * فلا تُكثِر فقد غلَب الأميرُ]

وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك ظالِمـا على غيرك فتحكُم لى وقد استعديتُك عليك مظلوما فضاق عنى عدلك ، وذكّرنى قول القائل

كنت من كُربتى أفِرّ اليهم * فهمُ كُربتى فأين الفِرار

[ونحوه[1]

والخصـم لا يُرتَجى النجاحُ له * يوما إذا كان خصمه القاضى]

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان يقال : ما أُعطِى أحد قط النَّصَف فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النَّصَفة قطّ على أحد فقبِلها إلا دخلتنى له هيبةٌ ولا ردّها إلا اختبأتُها فى عقله .

وقال البَعيث

وإنى لأعطى النَّصْف مَن لوظلمتُه * أَقَرّ وطابت نفسه لىَ بالظُّــلم

وقال الطائى

يرى العلقَمَ المـأدوم بالعز أَرْيةً * يَمانِيَةً والأَرْىَ بالضــيم علقما

إذا فرشُوه النَّصْفَ نامتْ شَذَاتُه * وان رَتَعُوا فى ظلمه كان أظلما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفَتْ * قواطع فى أَيْمـاننا تقطُر الدما

تركناهمُ لا يستحِلّون بعدها * لذى رحِمٍ يوما من الدهر محرَما]

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية . وقد تقدم البيت الثانى فى صحيفة ٧٠

بلغنا عن ضَمْرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عُمّاله : أما بعد فاذا دعَتْك قدرتُك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناءَ ما تُؤتِى اليهم وبقاءَ ما يؤتون اليك، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلَمه، فقال : أقصِر يا هذا، لا يَرْبَح عليك ظالمك .

قولهم فى الحبس

[فى الحديث المرفوع[(١)] : «شكا يوسف عليه السلام الى الله عزّ وجلّ طولَ الحبس فأوحى الله إليه : مَن حَبَسك يا يوسف ، أنت حبست نفسك حيث قلت ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ولو قلتَ : العافيةُ أحبّ الىّ لعوفيت» .]

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن دعوةً لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف عليهم قلوبَ الأخيار ولا تُعَم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر فى كل بلد .

وكُتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبورُ الأحياء وتجربة الصديق وشماتة الاعداء» .

أنشدنى الرياشىّ

ما يدخُل السجنَ إنسانٌ فتسألُه * ما بالُ سجنك إلا قال مظلومُ

وقال أعرابى

ولَمّا دخلتُ السجن كبَّر أهلُهُ * وقالوا أبو ليلى الغداةَ حزينُ
وفى الباب مكتوبٌ على صفحاته * بأنك تَنْزُو ثُمَّ سوف تلينُ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

ويقال : إنّ قولهم « تنزو وتلين » رُؤى مكتوبا على باب حبس فضربه الناس مثلا .

وقال بعض المسجونين

وبتُّ بأحصَنها منزلا * ثقيلا على عنق السالكِ
ولستُ بضيف ولا في كِرًا * ولا مُستعيرٍ ولا مالكِ
ولستُ بغصبٍ ولا كالرُّهون * ولا يشبه الوقفَ عن هالك
ولى مُسْمِعان فأدناهما * يغنّى ويسمع فى الحالك
وأقصاهما ناظرٌ فى السما * ء عمدا وأوسخُ من عارِك

المُسمع الاول قيده والثانى صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر

ولى مُسمِعان وزَمّارة * وظلٌّ مديد وحصن أمَقّ

الزمّارة الغُلّ، وأصل الزمّارة السّاجُور .

قال أبوعبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل الى بِلال بن أبى بُردة ، فقضى للرجل على خالد، فقام خالد وهو يقول

* سحابة صيف عن قليل تَقشّع *

فقال بلال : أمَا إنها لا تَقشّع حتى يصيبك منها شُؤبُوبُ بَرَد . وأمَر به الى الحبس، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة . فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمَت وأقيادٌ ثِقال وقيّم يقال له حَفْص .

قال الحجاج للغضبانِ بن القَبَعْثَرى وراَه سمينا : ما أسمنك؟ قال : القيدُ والرَّتَعةُ، ومن كان فى ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكميت الشاعر فزارته امرأته فى السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلّونى بصلعاءَ صَيْلَمٍ * بإحدى زُبَى ذى اللِّبْدَتين أبى الشِّبل
خرجتُ خروجَ القِدْحِ قدحِ ابنِ مُقْبِلٍ * على رغمِ آناف النوابح والمُشْلى
علىَّ ثيابُ الغانيات وتحتها * عزيمةُ مرءٍ أشبهتْ سَلَّةَ النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يَفُكّنى * ويطلق عنى مقفَلات الحدائد
فان يك قيدى ردّ همّى فربما * تناولتُ أطراف الهموم الأباعد
وما من بلاء غيرَ كلِّ عشية * وكلَّ صباح زائرٍ غيرِ عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخرَ قاعد

وقال بعض الشعراء فى خالد بن عبد الله القسرى حين حُبس

لعمرى لقد أعمرتُمُ السجنَ خالدا * وأوطأتموه وطأة المتثاقل
فان تحبسوا القسرىّ لا تحبسوا اسمه * ولا تسجُنوا معروفَه فى القبائل

وقال بعض المسجّنين (١)

أسجنٌ وقيد واغتراب وعُسْرة * وفقد حبيب! إن ذا لعظيم
وإنّ آمرأً تبقى مواثيقُ عهده * على كل هذا ، إنه لكريم

وقال آخر مثله

الى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفى يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن منَ آهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

(١) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية وفى هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين» ولم نجد التضعيف لا فى القاموس ولا فى اللسان .

إذا جاءنا السجّان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هـذا من الدنيـا
وتُعجبنا الرؤيا فجُـلُّ حديثنـا * إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا
فان حسُنتْ لم تأتِ عجلى وأبطأت * وإن قبُحت لم تحتبِس وأتتْ عجلى

وقال يزيد بن المهلّب وهو فى الحبس : يا لهَفِى على طَلِبَة بمائة الف وفَرَج فى جبهة أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح فى قيدك السماحةُ والـ * ـجود وحملٌ لمضلِـع الأثقـالِ

قال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتُك رخيصا فاشتريتك .(١)

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب اليه من الحبس بأبيات منها

تَفديك نفسى من كلِّ ما كرهتْ * نفسُك إن كنتُ مذنبـا فاغفرْ
يا ليت قلبى مصـــوَّر لك ما * فيه لتستيقن الذى أُضمـــرْ

فوقَّع الرشيد فى رقعته : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها

كأنّ الخَلْق رُكِّب فيه روح * له جسد وأنت عليــه رأس
أمينَ الله إنّ الحبس بأسٌ * وقد وقّعتَ «ليس عليك بأس»

فأمر باطلاقه

الحجـاب

أبو حاتم عن العتبى عن أبيـه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلابى وقف على باب معاوية فقال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو فى شَمْلتين، فلمـا دخل على معاوية قال : هززتُ ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد معوّلا إلا عليك . أمتطى الليل بعد النهار وأَسِمُ المجاهل بالآثار . يقودنى نحوَك رجاء وتسوقنى إليك بلوى، والنفس مستبطئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقرّبه . فقال فى ذلك(٢)

(١) فى الأصل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) فى الفتوغرافية : الرجاة .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذ يئستُ من الدخول
وما نلتُ الدخول عليه حتّى * حللتُ محلّة الرجل الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قذاها * ولم أسمع الى قالٍ وقيل
فأدركتُ الذى أمّلتُ فيه * بمكثٍ والخُطا زادُ العَجُول

وقال غير العتبى: لما دخل عبدالعزيز بن زُرارة على معاوية قال له : «إنى رحلْتُ اليك بالأمل واحتملتُ جَفْوتك بالصبر، ورأيت ببابك أقواما قدّمهم الحظُّ، وآخرين باعدهم الحِرمانُ . وليس ينبغى للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن ييأس . وأول المعرفة الاختبار فَابْلُ واخْتبِرْ» وفى حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر

من يأذن اليومَ لعبد العزيزْ * يأذنْ له عبدُ عزيزٍ غدا

قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فتى العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حجبنى. وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبوالدرداء: من يَغْشَ سُدَدَ السلطان يقم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد الى جانبه بابا فُتُحا، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطى .

قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظرُ بها وجُنّة أستنيم اليها ، وقد ولّيتك بابى ، فما تراك صانعا برعيّتى ؟ قال : أنظرُ اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم فى إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضعَ استحقاقهم وأرتّبهم حيث وضعهم ترتيبُك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغَهم عنك. قال: قد وفّيتَ ما لك وما عليك إن صدّقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت فى التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدّمن مستغيثا ولا تضعنّ ذاشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعنّ ذا ضعة بسهولته . وضَعِ الرجالَ مواضعَ أخطارهم، فمن كان مقدَّما له الشرفُ ممن آزدرَعه ولم يهدمه من بعد بنائه فقدّمه على شرفه الأوّل وحسن رأيه الآخر، ومن كان له شرف مقدّم فلم يصُن ذلك إبلاغا به ولم يزدرعْه تمـيرا له فألحق بآبائه مهلة سبقهم فى خواصهم، وألحق به فى خاصته ما ألحق بنفسه . لاتأذن له إلا دُبُرا ولا تأذن له إلا سِرَارا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عُمّالى فلا تحبسه عنى طرفةَ عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الىّ فيها، وإن أتاك مدّع لنصيحة فاستكتبْها سرّا ثم أدخِلْه بعد أن تستأذن له . حتى اذا كان منى بحيث أراه فادفع الىّ كتابه، فان أحمدتُ قبلت وإن كرهت رفضتُ، ولا ترفعنّ الىّ طِلْبَة طالب إن منعتُه بخّلنى وإن أعطيته آزدرانى، إلا بمؤامرة منى من غير أن تُعلمه أنك قد أعلمتنى وإن أتاك عالم يستأذن علىّ لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك؟ ثم استأذن له فان العلم كاسمه، ولا تحجبن سَخْطةً ولاتأذنن رِضًا، اخصُص بذلكَ المَلِك ولا تخصّ به نفسَك» .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : «لاتحجبن عنّى أحدا إذا أخذتُ مجلسى، فان الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عِيٍّ يكره أن يُطّلَعَ عليه منه، أو ريبة، أو بخل فيكره أن يدخُل عليه من يسأله» . ومنه أخذ ذلك محمود الورّاق فقال

إذا آعتصم الوالى باغلاق بابه * وردّ ذوى الحاجات دونَ حجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربّما * نزعت بظنٍّ واقعٍ بصـوابه
فقلت به مَسٌّ من العِيّ ظاهرٌ * ففى إذنه للنـاس إظهارُ ما به
فان لم يكن عِىّ اللسان فغالبٌ * من البخل يحمى ما لَه عن طِلَابه
فان لم يكن هــذا ولا ذا فريبةٌ * يصرّ عليهـا عنــد إغلاق بابه

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عِرْض المَلْك حاجبه
فبــه تبدو محاسـنُه * وبه تبــدو مَعايبــه

وقال آخر

كم من فتى تُحمَد أخلاقه * وتسكُن الأحرار فى ذمّتهْ
قد كثّر الحاجبُ أعداءَه * وسـلَّط الذمّ على نِعمته

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه جمـاعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيينة ابن حِصْن والأقرع بن حابس فخرج الآذنُ فقال : أين صُهَيب ؟ أين عمّار ؟ أين سلمان ؟ فتمعّرتْ وجوهُ القوم . فقال واحد منهم: لِمَ تتمعّر وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَـا أعدّ الله لهم فى الجنة أكثرُ .

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنُه * على ما أرى حتى يخفَّ قليلا
إذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجىء سبيلا

وقال آخر لحاجب

سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالك
فلو كنتَ بوّاب الجنـان تركتُها * وحوّلتُ رِجلى مُسرعا نحوَ مالك

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

لئن عدتُ بعـد اليوم إنى لظالم * سأصرف وجهى حيث تُبغَى المكارمُ
متى ينجحُ الغـادى اليك بحاجة * ونصـفُك محجوب ونصفك نائم؟

وقال آخر

ولست بمُتّخذ صاحبـا * يُقـيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ ألفيته غائبا
ويُلزم إخـوانَه حقَّــه * وليس يرَى حقَّهم واجبا
فلستُ بلاقيه حتى المماتِ * إذ أنا لم ألقَه راكبا

وقال عبد الله بن سعيد فى حاجب الحجاج وكان يحجُبه دائما

ألا رُبَّ نصح يُغلَق البابُ دونَه * وغشٍّ إلى جنْب السرير يُقــرَّب

وقال آخر

ماضاقت الأرضُ على راغب * يَطَّلِبُ الرزقَ ولا هاربِ
بل ضاقت الأرض على طالب * أصبح يشكو جفوة الحاجب

وحُجب رجل عن باب سلطان فكتب اليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنيّة والهمم القصيرة وابتذال الحُرِّية، فان نفسى والحمد لله أبيّة ما سقطت وراء همة ولا خذلها صبر عنـد نازلة ولا استرقَّها طمع ولا طُبعت على طَبَع وقد رأيتك ولّيتَ عِرْضك من لايصونه ووصلت ببابك من يَشينه وجعلت ترجمان عقلك من يُكثر من اعدائك وينقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك](١) ويُضْغِن قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصـديق منزلة، ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلىّ الى مرتبة الوضيع ويرفع الدنىّ الى مرتبة الرفيع ويحتقر الضعيفَ لضعفه وتنبو عينه عن ذى البَذاذة ويميل الى ذى اللبـاس والزينة ويقدّم على الهوى ويقبل الرُّشا».

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلائق خالد وفعـاله * إلّا تَجَنُّبَ كلّ أمر عائب
فاذا أتيت الباب وقت غدائه * أذنَ الغداءُ برغم أنف الحاجبِ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وهذا ضدّ قول الآخر

إذا تغـــدّى فـــتى بوّابه * وأرتدّ من غير يدٍ بابه
ومات من شهوة ما يُختَسَى * عيـالُه طـرًّا وأصحـابُه

وقال آخر

يا أمـيرا على جَرِيب من الأر * ض له تسـعة من الحُجَّاب
قاعدا فى الخراب يُحجَب عنه * ما سمعنا بحاجب فى خراب!

وقال آخر

على أى باب أطلب الاذن بعد ما * حُجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقال الطائى

يا أيهـا الملك النـائى برؤيته * وجودُه لمُـراعى جوده كَثَبُ
ليس الحجاب بمُقصٍ عنك لى أملا * إن السماء ترجَّى حين تحتجب

وقال أيضا

ومحجَّبٍ حاولتــه فوجدته * نجما عن الركب العُفَاة شَسُوعا
أعدمتُه لمـا عدمت نوالَه * شكرى فرُحْنا معدَمِين جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالبـاب أمس القعودا * وجُفينـا به جفاء شـــديدا
وذممنـا العبيـــد حتى إذا نحــ * ـــن بلَوْنا المولى عذرنا العبيـــدا

وحُجب رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبِّـلة قوما فأنت لهـا نُبْل
فلا ترتفع عنـا لشيء وَلِيتَه * كما لم يصغِّر عندنا شأنَك العزل

وكتب رجل من الكتاب فى هذا المعنى الى صديق له : «إن كان ذهولك عنا لدنيا أَخْضَلَتْ عليك سماؤها وأَرْتَبَتْ بك ديمُها إن[1] أكثر مايجرى فى الظن بك بل فى اليقين منك أنك أملَكُ ماتكون لعنانك أن يجْمَح بك ولنفسك أن تستعلىَ عليك اذا لانتْ لك أكنافُها [وانقاد[2] فى كفّك زمامُها لانك لم تنل مانلتَ خَلْسًا ولا خَطْفا، ولا عن مقدار جَرَفَ اليك غيرَ حقك وأمال نحوك سوى نصيبك . فان ذهبتَ الى أن حقك قد يحتمل فى قوته وسعته أن تضمّ اليه الجَفوة والنَّبْوة فيتضاءل فى جنبه ويصغر عن كبيره فغير مدفوع عن ذلك . وايْم الله لولا مابُليتْ به النفس من الظن بك وأنّ مكانك منها لايسدّه غيرُك نسختْ عنك وذهلتْ عن إقبالك وإدبارك ولكان فى جفائك مايردّ من غِرّتها ويبرّد من غُلتها ، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك» .

أبو حاتم عن العتبيّ قال : قال معاوية لحُضَين بن المنذر وكان يدخل عليه فى أخريات الناس : يا أبا ساسان كأنه لا يُحْسَن إذنُك . فانشأ يقول

كل خفيف الشأن يسعى مشمِّرا * إذا فتح البوّاب بابك إصبعا
ونحن الجلوس الماكثون رزانةً * وحلما الى أن يفتح الباب أَجمعا

وقال بعض الشعراء فى بشر بن مروان

بعيدُ مرِدِّ العين ما ردّ طرفَه * حِذَارَ الغواشى بابُ دار ولاسِترُ
ولو شاء بشر كان من دون بابه * طَمَاطمُ سودٌ أو صقالبةٌ حمرُ
ولكن بشرا يَسَّرَ البابَ للتى * يكون له فى غِبِّها الحمدُ والأجر

وقال بشر

فلا تبخلا بخل ٱبن قَزْعة إنه * مخافةَ أن يُرجى نَدَاه حزينُ

---

(١) كذا بالأصول التى بين أيدينا ولعل الفاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) كل مابين هذين القوسين المربعين غير موجود بالنسخة الفتوغرافية وقد نقلناه عن النسخة الألمانية .

إذا جئتَه فى العُرف أغلق بابه * فلم تلقَه إلا وأنت كمين
فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين

وقال ابن هَرْمة يمدح

هشٌّ اذا نزل الوفودُ ببابه * سهل الحجاب مؤدَّب الخدّام
وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه * لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب اليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعْذر تعلّل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عِكْراش]

وإنى لأَرْثِى للكريم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبهْ
وأرثى له من مجلس عند بابه * كمَرْثِيَتِى للطِّرْف والعِلْجُ راكبه

وكتب عبد الله بن أبى عيينة الى صديق له

أتيتك زائرا لقضاء حق * فحالَ السِّتْر دونك والحجاب
ولست بساقطٍ فى قِدْر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذُّباب

أبوحاتم عن عبدالله بن مصعب الزبيرى قال: كنا بباب الفضل بن الربيع وهم يأذنون لذوى الهيئات والشارات وأعرابى يدنو فكلما دنا طُرِح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذِننا يَعْتَام بِزَّتَنا * وليس للحسب الزاكى بمُعْتَام
ولو دُعينا على الأحساب قدّمنى * مجدٌ تليد وجَدّ راجح نامى
متى رأيتَ الصقور الجُدْلَ يَقْدُمُها * خِلْطان من رَخَمٍ قُرْع ومن هَامِ

دخل شَريك الحارثى على معاوية فقال له معاوية : من أنت؟ فقال له : ياأمير المؤمنين مارأيت لك هفوة قبل هذه . مثلك ينكر مثلى من رعيته ! فقال له معاوية : إن معرفتك متفرقة ، أعرف وجهك إذا حضرتَ فى الوجوه ، وأعرف آسمك فى الأسماء إذا ذُكرت ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه ، فاذكر لى اسمك تجتمعْ معرفتك .

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر فدخل عليه فجلس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمنا تأديبكم كما ألزمنا رعايتكم ، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك . فقم لا أقام الله لك وزنا .

دخل أبو مِجْلَز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان ، فلم يقبل عليه . فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز . فردّه واعتذر اليه وقال : إنى لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتنى .

قال أشجع السلمى يذكر باب المنصور(1) بن زياد

على باب آبن منصورٍ * علاماتٌ من البذل
جماعاتٌ وحَسْبُ البا * ب فضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوّذ بالله من قَرَع الفِناء ومن قرع المُراح . وقال بعض الشعراء

مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكأنّ بابكَ مجمعُ الأسواق
أرَجَوْك أم خافوك أم شاموا الحَيَا * بحَرَاك(2) فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم الناسُ على بابه * والمَشْرَعُ العذبُ كثيرُ الزحامْ

(1) هكذا فى النسخة الألمانية . وفى الفتوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما فى الكامل للبرد وهو المطابق لقوله «ابن منصور» فى البيتين . (2) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر * إن النَّدَى حيث ترى الضِّغَاطا *

يعني الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يَلَذُّ طعمَ العطاء
يسقط الطيرُ حيث يَنْتَشِر الحبُّ وتُغشى منازل الكرماء

دقّ رجل على عمر بن عبد العزيز (١) الباب فقال عمر: من هذا ؟ قال أنا. قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا .

خرج شَبِيب بن شَيبة من دار الخلافة يوما فقال له قائل : كيف رأيت الناس؟ فقال : رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا .

قال أبو العتاهية

إذا اشتدّ دونى حجابُ امرئ * كفيتُ المؤونة حُجّابَه

حُجب أعرابى على باب السلطان فقال

أُهينُ لهم نفسى لأكرِمَها بهم * ولا يُكرِمُ النفسَ الذى لا يُهينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوكَ وفودُهم * نُتفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت البابَ أيقنتُ أننا * على الله والسلطان غيرُ كرام

وقال أبو القمقام الأسدى (٢)

أبلغْ أبا (٣) مالك عنى مُغَلغَلة * وفى العتاب حياةٌ بين أقوام

(١) فى النسخة الفتواغرفية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين، ونسبه لهمام الرقاشى ونسبه المرتضى فى التاج لعصام بن عبيد الزمانى .

(٣) كذا بالأصل ويوافقه لسان العرب وفى البيان للجاحظ والتاج للمرتضى : أبا مسمع

أدْخلتَ قبلِى قوما لم يكن لهمُ * من قبلُ أن يلجُوا الابواب قدّامى
لو عُدّ بيتٌ وبيتٌ كنتُ أكرمهم * بيتا وأبعدَهم من منزل الذّامِ
فقد جَعلتُ إذا ما حاجتى نزلت * ببـاب دارك أدلُـوها بأقــوام

التلطف فى مخـاطبة السلطان
وإلقاءِ النصيحة إليه

العتبى قال قال عمرو بن عُتْبة للوليد حين تنكّر له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تُنطقنى بالأنس بك وأنا أكفت ذلك بالهيبة لك . وأراك تأمن أشياءَ أخافها عليك ، أفأسكت مطيعا؟ أم أقول مشفِقا؟ فقال : كلٌّ مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه . ونعود فنقول : فقتِل بعد أيام .

وفى إلقاء النصيحة إليه : قرأت فى كتاب للهنـد أن رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبــة فى الحقير الصغير فكيف بالجليلَ الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يســوء موقعُه من الأسماع والقلوب فى جَنب صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقُمه لكان خرقا منى أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا الى أن بقاءنا [موصول] [1] ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدّا من أداء الحق اليك وإن أنت لم تسئلنى [أو خفتُ ألّا تقبل منى] [1] ، فانه يقال : من كتمَ السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثّه فقد خان نفسَه .

الخفوت فى طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إنى قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعدّ لك منّى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مَشحُوذا على عدوّك فاذا شئت فقل .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وفى مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لى جعفر بن يحيى اْغدُ علىّ غَدا لكذا . فقلت : أنا والصبح كفرسَىْ رِهان . وفى مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال له : أنا أطْوَع لك من اليد وأذل لك من النّعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرِّداء وأذلّ لك من الحِذاء .

التلطّف فى مدحه

قال خالد بن عبد الله القَسْرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته، فانك قد زنتها، ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها، فأنت كما قال القائل

وإذا الدُّرّ زان حسنَ وجوه * كانَ للدرّ حسنُ وجهك زَينا

فقال عمر : أُعطِى صاحبُكم مَقُولا ولم يُعط معقُولا .

وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن رايك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطُه الرأى على الهوى فيك بعد أن ميَّل بينك وبين الذين سَمَوْا لرتبتك وجَرَوا الى غايتك فأسقطهم مضمارُك وخَفّوا فى ميزانك ولم يزدك رفعةٌ إلا آزددتَ لله تواضعا، ولا بسطا وإيناسا إلا ازددت له هيبة وإجلالا، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازددت عن الدنيا عُزوفا، ولا تقريبا إلا ازددت من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته، ولا إيثار حقّه عن الأخذ لها بحقّها عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه، ولا تشغلك جلائل الأمور عن التفقّد لصغارها، ولا الجَذَل بصلاحها واستقامتها عن استشعار الحذر وإمعان النظر فى عواقبها» .

وفى مدحه : دخل العُمَانى الراجز على الرشيد لينشده وعليه قَلَنسُوة طويلة وخُفّ ساذَج، فقال له الرشيد : ياعمانى، إياك أن تنشدنى إلا وعليك عِمامة عظيمة الكَوْر

وخفّان دلقان[1] فبكّر إليه من الغد وقد تزيّا بزىّ الأعراب ثم أنشده وقبّل يده وقال : يا أمير المؤمنين قد والله أنشدتُ مروان ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفّاح ثم المنصور ثم المهدى . كلّ هؤلاء رأيت وجوههم وقبّلت أيديهم وأخذت جوائزهم ، الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء والسادة والرؤساء ، والله ما رأيت فيهم أبهى مَنظَرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفّا ولا أندَى راحةً منك يا أمير المؤمنين . فأعظَم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام .

وفى المديح : كتب الفضل بن سهل الى أخيه الحسن بن سهل فقال : «إن الله قد جعل جَدّك عاليا وجعلك فى كل خير مُقدما وإلى غاية كل فضل سابقا وصيّرك ، وإن نأت بك الدار ، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا ، وقد جدّد لك من البِرّ كيت وكيت . وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله » .

وفى مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعرُ فيك فوق قدرى ، ولكنّى أستحسن قول العتّابىّ

ماذا يَرى قائلٌ يثنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تقديسٌ وتطهير
فُتَّ المدائحَ إلا أنّ ألسُننا * مُستنطَقات بما تخفى الضمائر
[فى عترة[2] لم تقم إلا بطاعتهم * من الكتّاب ولم تُقضَ المشاعير
هذى يمينك فى قُرْباك[4] صائلة * وصارمٌ من سيوف الهند مأثور]

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والدُّلقم كما فى القاموس دويبة كالسَّمُّور . وفى العقد الفريد «دَلقان» . وفى البيان والتبيين « دُمالِقان » والدمالق الحجر الأملس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى الأصل « عبرة » بالباء الموحدة والتصحيح عن الأغانى .

(٤) فى الأصل « جدواك مائلة » والتصحيح عن الأغانى .

وفى مدحه : كتب بعض الكتّاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على المُثنى عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية إلا وجد فى فضلك عونا على تجاوزها . ومن سعادة جَدّك أن الداعى لك لا يعدَم كثرةَ المشايعين ومساعدةَ النيّة على ظاهر القول » .

وفى مثله كتب بعض الأدباء الى الوزير : « مما يُعين على شكرك كثرةُ المنصتين له ، ومما يبسط لسان مادحك أمنُه من تحمّل الإثم فيه وتكذيبِ السامعين له » .

وفى مثل ذلك : لمّا عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمرو ابن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فان يزيد ابن معاوية أملٌ تأمُلونه وأجل تأمَنونه ، إن آستضفتم إلى حِلمه وَسِعكم ، وإن آحتجتم الى رأيه أرشدكم ، وإن آفتقرتم الى ذات يده أغناكم ، جَذَعٌ قارحٌ سُوبق فسبق ومُوجِد فمجَد وقُورِع فخرج فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفى مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أسكَتنى عن وصفك تَساوِى أفعالك فى السودد وحيَّرنى فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردتُ ذكر واحدة اعترضت أختُها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فلست أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

وفى مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعنى فى بقاء النعمة عليك ، ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتَها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم ، والشىء يتغلغل فى معدِنه ويحِنّ إلى عنصره ، فاذا صادف مَنبِته ولُزَّ فى مغرسه ضرب بعِرقه وسَمَق بفرعه وتمكّن تمكُّن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفى مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : «رأيتنى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهـار الباهر والقمر الزاهر الذى لا يخفى على ناظر، وأيقنت أنى حيث انتهى بىَ القول منسوبٌ الى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفتُ عن الثناء عليك الى الدعاء لك، ووكَلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

وفى مثله كتب العتّابى الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلَفك وبقيةُ أعلام أهل بيتك، المسدودُ بك ثُلْمُهم والمُجدَّد بك قديمُ شرفهم والمنبّه بك أيامُ صيتهم والمنبسط بك [آمالُنا والصائر بك أَكَالُنا والمأخوذ بك] (١) حظوظنا، فانه لم يخمُل من كنت وارثه، ولا درَست آثارُ من كنت سالك سبيله ولا ٱمَّحتْ معاهد من خلَفته فى مرتبته » .

وفى شكره : قرأت فى التاج قال بعض الكتّاب للملك : «الحمد لله الذى أعلقنى سببا من أسباب المَلِك ورفع خسيستى بمخاطبته وعزّز ركنى من الذِّلة به وأظهر بَسْطتى فى العامّة وزيَّن مقاومتى فى المشاهدة وفقأ عنى عيونَ الحَسَدة وذلّل لى رقاب الجبابرة وأعظم لى رغبات الرعيّة وجعل لى به عقِبا يُوطأ وخطرا يُعظَّم ومزية تحسُن، والذى حقّق فىّ رجاء من كان يأملنى وظاهر به قوة من كان ينصرنى وبسط به رغبة من كان يسترفدنى، والذى أدخلنى من ظِلال الملك فى جَناح سِترنى، وجعلنى من أكافه فى كَنَف ٱتسع علىّ » .

وفى شكره وتعداد نِعَمه : قرأت فى سير العجم أن أردشير لمـا استوسَق له أمرُه جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفـة والطاعة وحذرهم المعصية وصنّف الناس أربعة أصناف، فخرّ القوم سُجَّدا وتكلّم متكلِّمهم مجيبا فقال : « لا زلت

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

أيها الملك محبوّا من الله بعزّة النصر ودَرَك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت نتابَع لديك النعم وتُسبغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتُها فى دار القرار التى أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُّلفى عنده والحُظْوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاءَ الشمس والقمر زائدين زيادةَ البحور والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلّها فى عُلوّك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عَمّنا عمومَ ضياء الشمس ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم، فجمعتَ الأيدى بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها وألّفت بين القلوب بعد تباغضها وأذهبت الإحَنَ والحَسَائكَ بعد آستعار نيرانها ، وأصبح فضلك لا يدرَك بوصف ولا يحدّ بتَعداد ، ثم لم ترضَ بما عمّمتنا به من هذه النِّعم وظاهرت من هذه الأيادى حتى أحببتَ توطيدها والاستيثاقَ منها وعملت لنا فى دوامها كعمَلك فى إقامتها وكَفَلت من ذلك ما نرجو نفعه فى الخُلوف والأعقاب، وبلغت همّتك لنا فيه حيث لا تبلُغ همَم الآباء للأولاد، فجزاك الله الذى رضاه تحرّيتَ وفى موافقته سعيت أفضلَ ما التمستَ ونويتَ» .

وفى مثله : قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : «قدمتَ فأعطيت كلًّا بقسطه من نظرك ومجلسك وصلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد» .

وفى شكره : كتب بعض الكتّاب الى الوزير يشكره : « من شكرك عن درجة رفعتَه اليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتَها وحُشاشة تبقّيتها ورمقٍ أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

وفى شكره : قرأت فى كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدّ تنتهى إليه ومدًى تُوقف عنده وغاية فى الشكر يسمو إليها الطَّرْف خلا هذه النعمةَ التى فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأنت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنّا جمّة أبقتْ للماضين منّا وللباقين فخرَ الأبد وردّت عنا كيد العدوّ وأرغمت عنا أنف الحسود وبسطت لنا عزا نتداوله ثم نخلفه للأعقاب فنحن نلجأ من أمير المؤمنين الى ظلّ ظليـل وكَنَف كريم وقلب عطوف ونظر رءوف، فكيف يشكر الشاكر منا وأين يبلغ اجتهاد مجتهدنا ومتى نؤدّى ما يلزمنا ونقضى المفترَض علينا وهذا كتاب أمير المؤمنين الذى لو لم تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى منا ومن غيرنا إلا ما ورد من صنوف كرامتـه وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته، لكان فى ذلك ما يحسّن الشكر ويستفرغ المجهود » .

التلطف فى مسئلة العفو

قال كسرى ليوشت المغنّى وقد قتل فهلوذ(*) حين فاقه وكان تلميـذه : « كنتُ أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرَ تمتّعى حسدُك ونَغَلُ صـدرك » ثم أمر أن يلقَ تحت أرجلِ الفِيَلة فقال : أيهـا الملك إذا قتلتُ أنا شـطرَ طربك وأبطلتُه وقتلتَ أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنايتك على طربك كجنايتى عليه ؟ قال كسرى : دعوه، ما دلّه على هذا الكلام إلا ما جُعل له من طول المدّة .

وفى العفو أيضا . قال رجل للمنصور : «الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله من أن يَرْضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين» .

وفى العفو : جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام اليه رجل منهم فقال : أيها الأمير إن لى عليك حقا . قال : وما حقك علىّ ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوما فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشُـد الله رجلا سمع ذاك إلا شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . فقال : خلّوا

(*) فى الأغانى ج ٥ ص ٥٨ : الفهليذ .

عنه. ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكر؟ قال : لقديم بغضى إياك . قال : ويخلّى هذا لصدقه .

وفى العفو: أسر معاوية يوم صفّين رجلا من أصحاب علىّ صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذى أمكن منك . قال : لا تقل ذاك فانها مصيبة . قال : وأيّةُ نعمة أعظمُ من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من أصحابى . اضربا عنقه . فقال : اللهم اشهدْ أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لأنك ترضى قتلى، ولكن قتلنى فى الغلبة على حُطَام هذه الدنيا، فان فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببتَ فأوجعت فى السب ودعوتَ فأبلغتَ فى الدعاء . خلّيا سبيله .

وفى مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .

يدى يا أمير المؤمنين أُعيذُها * بعفوك أن تلقى مكانا يَشينُها

فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبةً * إذا ما شِمَالى فارقتْها يمينُها

فأبى إلّا قطعه، فدخلت عليه أمّه فقالت : يا أمير المؤمنين، واحِدى وكاسِبى. فقال : بئس الكاسب ! هذا حدّ من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب التى تستغفر الله منها . فعفا عنه .

وفى مثله : أخذ عبد الله بن على أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفع السيف ليُضرب به ضرط الشأمى فوقع العمود بين يدى الغلام ونفَرت دابة عبدالله فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت اليه وقال : أصلح الله الأمير! رأيتَ ضرطة قطُّ أنجتْ من الموت غيرهذه ؟ قال : لا، [قال][1] هذا والله الإدبار. قال : وكيف ذاك ؟ قال : ماظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنّتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا.

(١) زيادة يعينها السياق .

وفى مثله : خرج النعمان بن المنــذر فى غِبِّ سماء فمرّ برجل من بنى يَشْــكُر جالسا على غدير ماء، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكرى : أليس آبن سَلْمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربمــا أمررتُ يدى على فرجها . قال له : ويحك، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتُك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيَّوْه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيتَ اللعن ، إنك والله ما رأيتَ شيخا أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعضَّ ببَظْر أمه من شيخ بين يديك . فقــال النعمان : دَعُوه ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظيـ * ـم من الذنوب لفضلها
ولقد تُعــاقِب فى اليسيـــ * ـــر وليس ذاك لجهلها
إلا ليُعــــرَف فضلُهــا * ويُخافَ شدّةُ نَكْلِها

وفى مثله : لمّــا أخذ المأمون إبراهيم بن المهدى استشار أبا إسحاق والعباس فى قتله فأشارا به، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أن يكونا قد نصحا لك فى عظَم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعــلا، ولكنك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عوّدك الله . وكان فى اعتذاره اليه أن قال : إنه وإن بلغ جُرمى استحلالَ دمى فحلمُ أمير المؤمنين وفضــله يُبلغاننى عفوَه ولى بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقُّ الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن فى حق سببك حقُّ (*) الصفح عن جُرمك لبلَّغك ما أمَّلتَ حسنُ تنصُّلك ولطف توصُّلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عنى المأمون صلةً لرحمى ولا محبة لاستحيائى ولا قضاءً لحق عمومتى، ولكن قامت له سُوقٌ فى العفو فكره أن يُفســدها بى . ومن أحسن ما قيل فى مثله قول العتّابى

رحَل الرجاءُ إليــك مُغـــترِبا * حُشِــدت عليــه نوائب الدهر

(*) هكذا بالفتوغرافية و فى العقد الفريد "نسبك" .

رُدّتْ إليــكَ ندامتى أمَــلى * وثنى إليكَ عِنــانَه شُكرى
وجعلتُ عَتْبــك عتب موعظة * ورجاءَ عفوك مُنتهى عــذرى

وقول على بن الجَهْم للمتوكل

عفــا الله عنك ألا حرمةٌ * تعوذُ بعفوك[1] أن أُبعدا
لئن جلّ ذنب ولم أعتمده * لأنت أجــلّ وأعــلى يدا
ألم تر عبــدا عــدا طورَه * ومولًى عفا ورشيدا هدى
ومفســد أمر تلافيتَــه * فعــاد فأصلح ما أفســدا
أقلْنى أقالك من لم يزل * يَقِيك ويصرف عنك الردى[2]

وفى مثله . وَجِد بعض الامراء على رجل بجفاه وأطّرحه حينا ثم دعا به ليسئله عن شىء فرآه ناحلا شاحبا . فقال له : متى اعتللتَ ؟ فقال

ما مسّنى سُقْــمٌ ولكــنّنى * جفوتُ نفسى إذ جفانى الأمير[3]

فعاد له .

وقال آخر

ألا إن خير العفــو عفوٌ معجَّل * وشر العقاب ما يُجازُ به القدرُ

وكان يقال : بِحَسْب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفى العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيتَ وإن عفوت أحسنت والعفو أقرب للتقوى .

(١) فى الأصلين الفتوغرافى والألمانى «تجود» والتصويب عن الأغانى .

(٢) فى نسخة : العدا .

(٣) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام فى ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب العقد نثرا وبعده «وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلّا نظرتَ فى أمرى نظر مَن بُرُئى أحبُّ اليه من سُقْمى وبراءتى أحبُّ اليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة .

وفى مثله : أتى الأحنفُ آبن قيس مُصعبَ بن الزبير فكلّمه فى قوم حبسهم ، فقال، أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا فى باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حُبسوا فى حق فالعفو يسعهم، فخلّاهم .

وفى مثـله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زِنْباع فقـال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها أو تنقض منى مِرَّة أنت أبرمتها أو تُشمت بى عدوا أنت وَقَمْتَه[1] وإلّا أتى[2] حلمُك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلّيا عنه . ثم أنشد

* إذا آلله سَنَّى عقدَ أمرٍ تيسرا *

وفى مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نَذر إن أمكنه الله منه ليفعلنّ به وليفعلن . فقال له رَجَاء بن حَيْوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفى مثـله : قال ابن القِرِّيّة للحجاج فى كلام له : أَقِلْنى عثرتى وأَسِغْنِى ريقى فانه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة. فقال الحجاج: كلّا، والله حتى أوردَك جهنم . ألست القائل برُسْتُقُبَاذ : تَغَدَّوا الجدىَ قبل أن يتعشّا كم .

وفى مثله : أمر عبدالملك بن مروان بقتل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أعزّ ما تكون أحوجُ ما تكون الى الله، فاعفُ له فانك به تُعان وإليه تعود . فخلّى سبيله .

(١) قهرته وأذللته .

(٢) كذا بالأصل وفى الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلمك الخ .

وفى مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه [بما عذّبه به][1] : إن القدرة تذهب الحَفيظة وقد جلّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرّون بالذنب، فان تعفُ فأهل العفو وإن تعاقب فبما كان منا . فقال [أولى لك][1] أمَا حتّى تأتى الشأم راجلًا فلا عفو .

وفى مثله : ضرب الحجاج أعناق أَسَارى أُتى بهم، فقال رجل منهم : والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنتَ فى المكافأة . فقال الحجاج : أفٍّ لهذه الجِيَف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكفّ عن القتل .

وفى مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فأتعلقَ بأطرافك وأقول أى ربِّ سلْ مصعبًا فيم قتلنى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبتَ لى من حياتى فى خَفْض . قال أعطوه مائة ألف . قال : بأبى أنت وأمى، أُشهد الله أن لابن قيس الرُّقَيات منها خمسين ألفا . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من اللـ * ـه تجلَّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يتّقى الله فى الأمور وقد أفـ * ـلح من كان همَّه الاتقاءُ

فضحك مصعب، وقال : أرى فيك موضعا للصنيعة، وأمره بلزومه وأحسن اليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفى مثله : قال عبد الملك[2] بن الحجاج التغلبى لعبد الملك بن مروان : هربتُ اليك من العراق . قال : كذبت، ليس إلينا هربتَ، ولكنك هربت من دم الحسين وخفْتَ على دمك فلجأت الينا . ثم جاء يوما آخر فقال

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .
(٢) فى النسخة الألمانية « عبد الله » .

أدنو لترحمنى وتَرْثِىَ خَلّتى * وأراك تدفعنى فأين المَدْفع

ونحوه قول الآخر

كنتُ من كربتى أفرّ إليهم * فهـــمُ كربتى فأين الفرار

وفى مثله : قَنّع الحجاجُ رجلا فى مجلسه ثلاثين سوطا وهو فى ذلك يقول

وليس بتعزيرِ الأمير خَزَايةٌ * علىّ إذا ما كنتُ غيرَ مُرِيب

ونحوه

وإن أمير المؤمنين وفعـله * لكالدهرِ، لاعارٌ بمافعل الدهر

وفى مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه . فقال للوَلىّ : يا عبد الله، إنك لا تدرى لعل هذا قتل وليّك وهو لا يريد قتله، وأنت تقتله متعمدا، فانظر لنفسك . قال : قد تركته لله .

وفى مثله . حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمـر قال : رُمى الحجاج فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرمى . فأُخذ فأُدخل عليه وقد ذهبتْ روحُه . قال عيسى بصوت ضعيف يحكى الحجاجَ : أنت الرّامينا منذ الليلة ؟ قال : نعم أيهـا الأمير . قال، ما حملك على ذلك ؟ قال : العىُّ[(1)] واللهِ واللؤم . قال : خلُّوا عنه . وكان إذا صُدِق انكسر

وفى مثله : حدّثنى أبو حاتم عن الاصمعى عن عثمان الشحّام قال : أُتى الحجاج بالشّعبى فقال له : أخرجتَ علينا يا شعبى؟ قال : أجدب بنا الجنابُ وأَحزن بنا المنزلُ واستحلَسْنا الخوفَ واكتحلنا السهرَ وأصابتنا خَزْية لم نكن فيها بَرَرةً أتقياء ولا فَجَرة أقوياء . فقال الحجاج : لله أبوك . ثم أرسله .

(١) كذا بالأصل ولعله الغى .

وفى مثله: أُتى موسى بن المهدى برجل كان قد حبسه لجعل يُقَرِّعه بذنو به، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تقرِّعنى به ردٌّ عليك وإقرارى بما تَعْتَدُّه علىّ يُلزمنى ذنبا لم أجنِه، ولكنى أقول

فان كنتَ ترجو بالعقوبة راحةً * فلا تَزْهَدَنْ عند المعافاة فى الأجر

وفى مثله: قال الحسن بن سهل لنُعَيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظّمه: على رِسْلك أيها الرجل، تقدّمتْ لك طاعةٌ وتأخرتْ لك توبة، وليس لذنب بينهما مكان، وما ذنبك فى الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو.

وفى الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إنى لو كنت أعرف كلاما يجوز أن أَلقَى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت (١) أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظِّم من أمره، غير أنى أسأل الله الذى لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطّلع عليه مما تبلغه نيتى فى إرادته للأمير ادنى ما يؤتيه إياه من عطاياه ومواهبه».

وفى الدعاء له: قرأت فى كتاب رجل من الكتّاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلُغه وأملٍ فيك تُحقّقه حتى تَمَلّى من الأعمار أطْولها وترقَى من الدرجات أفضلَها».

وفى الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قُبضت ضِياعُه فقال: السلام عليك أميرَ المؤمنين. محمد بن عبد الملك سَليل نِعمتك وآبن دولتك وغصن من أغصان دَوحتك، أتأذن له فى الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال «نستمتع الله لحِيَاطة ديننا ودنيانا ورعايةِ أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا وفى أثرك من آثارنا ويقيك

(١) فى النسخة الفتوغرافية «لاجتنبت» وهو تحريف.

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائذ بظلّك الهارب الى كَنَفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك » ثم تكلّم فى حاجته .

وفى شكر السلطان وفى حمده: قدِم رجل على سليمان بن عبد الملك فى خلافته فقال له: ما أقدمك علىّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمنى عليك رغبة ولا رهبة. قال: وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت الينا وفاضت فى رِحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منّا، وأما الرَّهبــة فقد أَمِنّا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسنِ سيرتك فينا من الظلم، فنحن وفد الشكر.

وفى حمده : كتب بعض الكتّاب الى وزير : « كلُّ مَدًى يبلغه القائلُ بفضلك والواصفُ لأيامك والشاكرُ للنعمة الشاملة بك قصدٌ أَمَمٌ عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك، فواجبٌ على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها، فقد جمع الله بك الشَّتات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدىَ الجائرة وعطف القلوب النافرة، فأمِنتَ سَرْب البرىء وخفضت جأشه وأَخَفْتَ سُبُلَ الجانى وأخذتَ عليه مذاهبه ومطالعه ووقفتَ بالخاصّــة والعامة على قصد من السيرة أَمِنوا بهـا من العِثار والكبوة » .

وفى حضه على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبة للمهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترضَ بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .

⁂

تم كتاب السلطان، ويتلوه فى الجزء الثانى كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحـرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدّثني محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعيّ عن يحيى بن أبي كَثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تَمَنَّوْا لقاء العدوّ فعسى أن تُبتلَوْا بهم ولكن قولوا اللهم ٱكفِنا وكُفّ عنا بأسهم، و إذا جاءوكم يَعْزِفون و يزحَفون و يصيحون فعليكم الأرضَ جلوسا، ثم قولوا : اللهم أنت ربّنا وربُّهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، فاذا غَشُوكم فثوروا فى وجوههم» .

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبـد العزيز عمن حدّثه أنّ أبا الدرداء قال: أيها الناس، عَمَلٌ صالح قبلَ الغزو فانما تقاتِلون بأعمالكم .

حدّثنا القاسم بن الحسن(١) عن الحسن بن الربيع عن ٱبن المبارك عن حَيْوة بن شُرَيح قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وٱمضُوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتِلوا فى سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبُنوا عنـد اللقاء ولا تمثّلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هَرِما ولا ٱمرأة ولا وليدا . وتوقّوا قتلهم إذا التقى الزَّحْفان وعند

---

(١) فى الألمانية "الحكم" .

حَمّة النَّهضات(١) وفى شنّ الغارات. ولا تَغُلُّوا عنـد الغنائم ونزّهوا الجهاد عن عَرَض الدنيا وأبشروا بالرِّباح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

استشار قوم أكثم بن صَيْفِىّ فى حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال : أقلّوا الخـلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصِّياح من الفشل والمرء يعجِز لا محالة. تثبّتوا فان أحزم الفريقين الرَّكين، ورُبَّتَ عَجَلةٍ تُعقب رَيْثا، واتّزروا للحرب وادّرعوا الليل فانه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختُلِف عليه .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب فى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا وَٱذْكُرُوا ٱللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ) .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأوزاعىّ قال، قال عُتْبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم — يعنى أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم — جُثِيًّا على الرُّكَب كأنهم خُرْس يتلمّظون تلمّظ الحيّات . قال : وسمعتهم عائشـة يُكبِّرون يوم الجَمَل فقالت : لا تكثروا الصياح فان كثرة التكبير عند اللقاء من الفشَل(٢) .

وذكر أبو حاتم عن العُتْبِىّ عن أبى إبراهيم قال: أوصى أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان حين وجّهه الى الشـام فقال : يا يزيدُ سِرْ على بركة الله . فاذا دخلتَ بلاد العدوّ فكن بعيـدا من الحَمْلة فانى لا آمن عليك الجَوْلة . واستظهِرْ بالزاد وسِرْ بالأدلّاء ولا تقاتل بمجروح فانّ بعضه ليس منه، واحترس من البَيَات فانّ فى العرب

(١) أى شدّتها ومعظمها . (٢) فى الفتوغرافية «القتال» .

غِرّة، وأقلِلْ من الكلام فانما لك ما وُعِى عنك. وإذا أتاك كتابى فأنفذْه فانما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قدِمَتْ عليك وفودُ العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وآمنع النـاس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلِحَّنّ فى عقوبة [[1] فان أدناها وجع] ولا تسرعنّ اليها وأنت تكتفى بغيرها. وآقبلْ من الناس علانيتهم وكِلْهم الى الله فى سرائرهم. ولا تَجَسَّسْ عسكرَك فتفضحَه ولا تهمله فتفسدَه. وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

[[1] قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه الى عُمَان: يا عكرمة سِرْ على بركة الله ولا تَنزل على مستأمن ولا تؤمّنن على حق مسلم وأَهْدِر الكفرَ بعضه ببعض. وقدّم النُّذُرَ بين يديك. ومهما قلت إنى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا فى عقوبة ولا عفو. ولا تُرجَ إذا أُمِّنت ولا تخافنّ إذا خُوِّفت ولكن آنظر متى تقول وما تقول. ولا تَعدنّ معصية بأكثر من عقوبتنا فان فعلت أثمت وإن تركت كذبت. ولا تؤمِّنن شريفا دون أن يُكفَل بأهله ولا تُكفلنّ ضعيفا أكثر من نفسه. وآتق الله فاذا لقيت فاصبر.]

وأوصى عبد الملك بن صالح[2] أميرَ سَرِيّة الى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالمُضارب الكيِّس الذى إن وجد ربحا تَجَر، وإلا احتفظ برأس المـال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوّك أشدّ حذرا من احتيال عدوّك عليك.

وحدّثنى محمد بن عبيد عن آبن عيينة قال: أخبرنى رجل من أهل المدينـة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمرو بن العاص: «إذا بعثتك فى سرية فلا تَنتقِهم وآقتطعْهم فان الله ينصر القوم بأضعفهم».

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية.
(٢) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمـانية وفى العقد الفريد «مروان».

حدّثنى محمد بن عبيد [عن ابن عيينة][1] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمَير قال : غزا نبى من الأنبياء أو غير نبى فقال : «لا يغزونّ معى رجل بنى بناء لم يكمله، ولا رجل تزوّج امرأة لم يَبْنِ بها، ولا رجل زرع زرعا ثم لم يحصُده» .

[وذكر ابن عباس عليا فقال : ما رأيت رئيسا يوزَن به . لرأيتُه يوم صِفّين وكأنّ عينيه سِراجا سَليط وهو يحمّس أصحابه الى أن انتهى إلىّ وأنا فى كَنْف[2] فقال : معشرَ المسلمين، استشعِروا الخشية وعنُّوا[3] الأصوات وتجلببوا السكينة وأكملوا اللُّؤَم وأخفوا الجون[4] وقلقلوا السيوف فى أغمادها قبل السَّلَّة والحظوا الشَّزْر واطعنوا النَّبْر[5] ونافحُوا بالظُّبا وصِلُوا السيوف بالخُطَا والرماحَ بالنَّبْل وامشوا الى الموت مشيا سُجُحا . وعليكم بهذا السواد الأعظم والرِّوَاق المطنَّب فاضربوا ثَبَجَه فان الشيطان راكد فى كِسْره نافخ حُضْنيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوَثْبة يدا وأخّر للنُّكوص رجلا] .

ولما ولّى يزيد بن معاوية سلمَ بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما، وقد استكفيتُك صغيرا فلا تتّكلنّ على عذر منى فقد اتكلتُ على كفاية منك . وإياك منّى قبل أن أقول إياى منك، فانّ الظن إذا أَخْلف فيك أَخْلف منك . وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك فلا تريحنّ نفسك ، وكن لنفسك تكن لك، واذكر فى يومك أحاديث غدك ترشُدْ إن شاء الله .

قال الأصمعى قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سيّار الليثى : ينبغى للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشى اليه سرّه، وحصن يلجأ اليه إذا فزع فينجيه — يعنى فرسا — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خَوْنه،

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الأصل «كنف» وهو تحريف والكثف الحشد والجماعة .
(٣) من التعنية أى الحبس والأسر أى احبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده فى نهج البلاغة ولعله «أخفّوا الخوذ» جمع خوذة أى اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم فى الحرب . (٥) يقال طعن نبر : مختلس كأنه ينبِر الرمح عنه أى يرفعه بسرعة . وفى نهج البلاغة : والحظوا الخزر واطعنوا الشزر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابتــه نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همّه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

وبلغنى عن عبّاد بن كثير عن عُقَيل [بن خالد](١) عن الزُّهْرى(٢) عن عبيد الله بن عبد الله عن ٱبن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غُلِب قوم قطّ يبلغون اثنى عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . [وقال رجل يوم حنين : لن نُغلب اليوم عن قلّة . وكانوا اثنى عشر ألفا فهزِم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ الآية)](١) .

وقالوا كان يقال : ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه : البغى، قال الله تعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) والمكر ، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنَّكث، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) .

وقرأت فى كتاب للهند : لا ظَفَر مع بَغْى، ولا صحّة مع نَهَم، ولا ثناء مع كِبْر، ولا صداقة مع خَبّ، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بِرّ مع شُحّ، ولا ٱجتنابَ مُحرّم مع حرص، ولا محبة مع زهو(٣)، ولا ولاية حُكم مع عدم فِقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودَد مع انتقام، ولا رياسة مع غَرارة وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلك مع تهاون وجهالة وُزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمّه ذلك فقيل له : ما يُهمّك منهم؟ وجّهْ اليهم وَكيع بن أبى سُود فانه يكفيكهم . فقال : لا ، إنّ وكيعا رجل به كِبْر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلّتْ مبالاته بعدوّه فلم يحترس منه فيجد عدوّه منه غِرّة .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) كذا فى الأصل الفتوغرافى وفى النسخة الألمانية : الزبيرى والصواب الأوّل فان المعروف فى كتب طبقات المحدّثين أن عقيل بن خالد يروى عن الزهرى والزهرى يروى عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) فى الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت فى بعض كتب العجم أنّ ملكا من ملوكهم سئل : أىّ مكايد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبـار وإفشاء الغَلَبـة وإظهار السرور وأمانة الفَرَق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغشّ ولا تحويل شىء عن شىء إلا بسدّ ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم فى القتال فقال : مخاتلة العدوّ عن الرِّيف وإعداد العيون على الرَّصَد وإعطاء المبلِّغين على الصدق ومعاقبة المتوصِّلين بالكذب وألا تُخرِج هاربا الى قتال ولا تُضيِّقَ أمانا على مستأمِن ولا تَشِبَّ عن أصحابك للبُغْية ولا تَشْدَهنّك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت فى كتاب للهند : الحازم يحـذر عدوّه على كل حال . يحذر المواثبة إن قَرُب، والغارة إن بَعُد، والكمينَ إن انكشف، والاستطراد إن ولّى، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ماوجد بُدًّا لأن النفقة فيه من الأنفُس والنفقة فى غيره من المـال .

وقرأت فى الآيين : قد جرت السنة فى المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر فى المَيْسرة ليكون لقاؤه يَسْرا ورميه شَزْرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدُما وترك ذلك على حال مُمَايلة أو مُجانَبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشْرِفا ويلتمس وضعه فيه فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت الماذّتان فان زالت الماذّتان(1) لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذا عَىّ الجند فليناوش(2) أهل الميمنة والمـاذّتان فأما الميسرة] فلا يَشُذنّ منهم أحد إلّا أن يبادر اليهم من العدوّ من يخاف بائقته فيردّون عاديتهم مع أنّ أصحاب الميمنة والماذّتين لا يقدرون على لقاء من يناوشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين، وأصحاب الميسرة لا يقدرون على مناوشة

(1) كذا بالنسخة الألمـانية وفى الفتوغرافية هكذا "المـاذيان" ولم نوفق الى تصويبها .

(2) زيادة لازمة عن النسخة الألمـانية .

الا مائلين و يعجزهم الرجوع عاطفين. ولا يألُوَنّ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جندُه عينَ الشمس والريح، ولا يحاربنّ جندا الا على أشدّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بدٌّ ، فاذا كان كذلك فليَجْهَد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهـار. وينبغى على كل حال أن يخلّى بين المنهزمين و بين الذهاب ولا يُحبسوا. و إن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدوّ أن ينالوا من المـاء فليس من الرأى أن يُحال بينهم و بينه لئلا يُحْرَجوا الى الجدّ فى محاربتهم. و إن كان العدوّ قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند ريّ العدوّ من المـاء وسقيهم دوابّهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فان أَسْلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشدَّ مايكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولْتَسِرِ الطلائع فى قرار من الأرض ويقفوا على التِّلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها. وليكُن الكمين فى الخَمَر والأماكن الخفية. وليطرح الحَسَكَ فى المواضع التى يتخوّف فيها البياتَ. وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فان فى انتشاره فساد العسكر وانتقاضه .

و إذا كان أكثر من فى الجند من المقاتِلة مجرَّبين ذوى حُنْكة و بأس فبِدَارُ العـدوّ الجند الى الوقعة خير للجنـد . و إذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بدّ فبِدَار الجند الى مقاتلة العدوّ أفضل للجند . وليس ينبغى للجند أن يقاتلوا عدوّا إلا أن تكون عدّتُهم أربعة أضعاف عدّة العدوّ أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوّهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدّة العدوّ مثل نصف عدّتهم . و إن توسط العدوّ بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم، وينبغى أن يُنتخب للكمين من الجند أهلُ جرأة وشجاعة و تيقّظ وصَرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عُطاس ويُختار لهم من الدواب مالا يَصْهل ولا يغنث[1]، ويُختار لكمونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤتى، قريبة من

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية "يعنت". ولعل الصواب ينهت كيضرب والنهات النفس بأنين وهو الزحير .

المساء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروِيّة والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضَرَم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المَكْمن متفرقين إذا ترك العدوّ الحراسة وإقامة الرَّمايا، وإذا أونس من طلائعهم توانٍ وتفريطٌ وإذا أَمْرَجُوا دوابَّهم فى الرعى، وأشدَّ ما يكون البرد فى الشتاء وأشدَّ ما يكون الحر فى الصيف . وأن يرفضّوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكمنهم بعد أن يستخبر بعضهم بعضا وأن يسرعوا الايقاع بعدوّهم ويتركوا التلبّث والتلفّت . وينبغى للمبيِّتين أن يفترصوا البيَات إذا هبّت ريح أو أُونِس من نهر قريب منهم خريرٌ فانه أجدر ألا يُسمَع لهم حسّ . وأن يُتوخّى بالوَقْعة نصفُ الليل أو أشدُّ ما يكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدوّ وبقيتهم حوله، ويبدأ بالوَقْعة من يصير منهم فى الوسط ليُسمع بالضجّة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُشرَّد قبل الوقعة الأَفْره فالأفره من دوابّهم ويقطّع أَرْسَانُها وتُهمَز بالرماح فى أعجازها حتى تَحيرّ وتَعير ويُسمع لها ضوضاء، وأن يهتِف هاتف ويقول : يا معشر أهل العسكر النَّجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . ويقول قائل : أيها الرجل استحيِنى لله . ويقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوّه أوّه، ونحو هـذا من الكلام[1] . وليُعلم أنه إنما يُحتاج فى البيَات الى تحيير العدوّ وإخافته وليجتنبوا التقاطَ الأمتعة وٱستياقَ الدوابّ وأَخْذَ الغنائم . قال : وينبغى فى محاصرة الحصون أن يُستمال من يُقدَر على استمالته من أهل الحصن والمدينـة ليُظفر منهم بخَصْلتين : إحداهما استنباط أسرارهم، والأخرى إخافتُهم وإفزاعهم بهم، وأن يُدسّ منهم من يصغّر شأنهم ويؤيسهم من المَدَد ويخبرهم أن سرّهم منتشر فى مكيدتهم، وأن يُفاض حول الحصن ويشار اليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأُخَر ذليلة ومواضع يُنصب المَجانيق

(١) فى النسخة الفتوغرافية بعد هذا زيادة : وأنشد
فأوّه بذكراها إذا ما ذكرتُها * ومن بعد أرض دونها وسماء

عليها ومواضع تُهيّأ العرّادات لهـا ومواضع تُنقَب نقبا ومواضع توضع السّـلالم عليها ومواضع يُتسوّر منها ومواضع يُضرم النار فيها ليملأهم ذلك رعبا، ويكتب على نُشّابة: إياكم أهلَ الحصن والاغترار وإغفال الحراسة، عليكم بحفظ الأبواب فان الزمان خبيث وأهله أهل غدر فقد خُدع أكثرُ أهل الحصن واستُميلوا، ويُرمى بتلك النّشابة فى الحصن ثم يُدسّ لمخاطبتهم المِنطيق المُصيب الدّهىّ الموارِب المخاتِل غير المِهْـذار ولا المغفَّل. وتؤخَّر الحرب ما أمكن ذلك فان فى المحاربة جرأة منهم على من حاربهم ودليلا على الحيلة والمكيدة، فان كان لا بد من المحاربة فليحاربوا بأخفّ العُدّة وأيسر الآلة . وينبغى أن يغلب العـدوّ على الأرض ذات الخَمَر والشجر والأنهـار للعسكر ومصافّ الجنود ويُخلّى بين العدوّ وبين بساط الأرض ودَكادكها .

وفى بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سـئل عن أشدّ الأمور تدريبا للجنود وشَحْذا لها، فقال: استعادة القتال وكثرة الظَّفَر، وأن تكون لها موادّ من ورائها وغنيمة فيما أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظَّفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المُنَاصبة، والتشريفُ للشجاع على رءوس الناس .

قال المدائنى [قال نصر بن سيّار](١) : كان عظماء الترك يقولون : القائد العظيم ينبغى أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان : شجاعة الديك، وتحنُّن الدجاجة، وقلب الأسد، وحَمْلة الخنزير، [وروغان الثعلب، وخَتْل الذئب . وكان يقال فى صـفة الرجل الجامع : له وَثْبة الأسـد، وروغان الثعلب، وختل الذئب](١) وجَمْع الذَّرّة، وبُكُور الغراب .

وكان يقال : أصلح الرجال للحرب المجرِّب الشجاع الناصح .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى الأصمّ قال ، قيل لعمرو بن معاوية العُقَيلى وكان صاحب صَوَائف : بم ضبطت الصوائف؟ أى الثغور قال : بسَمَانة الظهر وكثرة الكعك والقَديد . وفى كتاب الآيين : ليكن أوّل ما تحمله معك خبزا ثم خبزا ثم خبزا . وإياك والمَفَارش والثياب . أبو اليَقْظان قال قال شبيب الخارجى : الليل يكفيك الجبانَ ونصفَ الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أتاكم المَدَد ، يعنى الليل .

وقيل لبعض الملوك : بيّتْ عدوّك . قال : أكره أن أجعل غَلَبتى سرقة .

المدائنى قال : لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مُصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكنتْك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم ببعض ، فالرأى أن تغزوهم فى بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطّأ رأيهم ، ودعا بكلبين فأرّش بينهما فاقتتلا قتالا شديدا ، ثم دعا بثعلب فخلّاه بينهما ، فلما رأى الكلبان الثعلبَ تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم . فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكا فقال : لا يكن العدوّ الذى قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظّنين الذى يستتر لك بمخاتلته ، فانه ربما تخوّف الرجل السُّمّ الذى هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذى يحيى الأشياء ، وربما تخوّف أن يقتله الملوك التى تملكه ثم قتلته العبيد التى يملكها . فلا تكن للعدوّ الذى تُناصِب بأحذرَ منك للطعام الذى تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرك وإن عظُم آمَنُ منّى من كل أمر عرّيته من نذيرك وإن صغُر . واعلم أن مدينتك حِرْز من عدوّك ، ولا مدينةَ تحترز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك .

وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمى أن خالد بن بَرْمك، حين فصل مع قَحْطَبَة من خراسان، بَيْنا هو على سطح بيت فى قرية قد نزلاها وهم يتغدّون نظر الى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة: أيها الأمير نادِ فى الناس: يا خيل الله اركبى، فان العدو قد نَهَد اليك وحَثّ، وغاية أصحابك أن يُسْرِجوا ويُلْجِموا قبل أن يروا سُرْعان الخيل، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأى؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تتشاغل بى وناد فى الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها جَمْعا كثيفا. قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد اصْطُلم.

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: آمرك بالتقدّم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك فى غد كما تُعِدّ السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عَتَاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدرى لعلها لا تصيبه، بل كما تعدّ الطعام لعَدَد الأيام وأنت لا تدرى لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شىء طلبته فى وقته فقد مضى وقته.

[وقرأت فى كتاب سير العجم أن فَيْرُوز بن يَزْدَجَرد بن بَهْرام لمّا ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهَيَاطلة ببَلْخ، فلما انتهى الى بلاده اشتدّ رُعب اخشنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزراءه فى أمره، فقال له رجل منهم: أعطنى موثقا وعهدا تطمئن اليه نفسى أن تكفينى أهلى وولدى وتُحسن اليهم وتَخْلُفنى فيهم، ثم اقْطَعْ يدىّ ورجلىّ وأَلْقِنى على طريق فيروز حتى يمرّ بى هو وأصحابه فأكفيكَ مؤونتهم [وشوكتهم] وأورّطهم مورّطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذى تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرَكا فى ذلك؟ قال : إنى قد بلغتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيـا وأنا موقِن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قلائل، فأحب أن أختم عمرى بأفضـل ما تُختَم به الأعمـار من النصـيحة لاخوانى والنكاية فى عدوّى فيشرُف بذلك عقبى وأصيب سعادة وحُظْوة فيما أمامى، ففعل به ذلك وأمر به فأُلقى حيث وصف له .

فلما مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشـنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُمل الى ذلك الموضع ليدلّه على عورته وغِرّته وقال : إنى أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذى تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجُموا عليه فينتقم الله لى منه بكم، وليس فى هذا الطريق من المكروه الا تَفْوِيزُ يومين ثم تُفْضون الى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤُه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المفازة لا صَدَر عنه ثم بيّن لهم أمره فتفرقوا فى المفازة يمينا وشمـالا يلتمسون المـاء فقتل العطشُ أكثرهم ولم يخلُص مع فيروز منهم إلا عدّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مسـتعدّون لهم فواقعهم على تلك الحالة[1] وعلى ما بهم من الضر والجهـد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يمنّ عليه وعلى من بقى من أصحابه على أن يجعـل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يَحُدّ فيما بينه وبين مملكته حدّا لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشنوار بذلك وخلّى سبيله وانصرف الى مملكته، فمكث فيروز بُرهة من دهره كئيبا ثم حمله الأَنَفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحـابه الى ذلك فردّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوّف عليك عاقبة البغى والغدر مع ما فى ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إنى إنما شرطتُ له ألّا أَجُوز الحجر الذى جعلته بينى وبينه فأنا آمر بالحجر

(١) فى الأصل : فواقعهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

ليحمل على عَجَلة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك، إنّ العهود والمواثيق التى يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على مايُسِرّ المعطِى لها ولكن على مايُعلِن المعطى، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذى عَرَفه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى فى غَزَاته حتى انتهى الى الهياطلة وتصافّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار الى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيّهم ليكلمه ، فخرج اليه فقال له اخشنوار قد ظننت أنه لم يدْعُك الى غزونا الّا الأنَف مما أصابك . ولعمرى لئن كنّا احتلنا لك بما رأيتَ، لقد كنت التمستَ منّا أعظم منه، وما ابتدأناك ببغى ولاظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا، ولقد كنت جديرا أن تكون، من سوء مكافأتنا بمَنّنا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذى وكّدتَ على نفسك، أعظَمَ أَنَفا وأشدّ امتعاضا مما نالك منّا ، فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى ومَنَنّا عليكم وأنتم مُشرِفون على الهلَكة وحقَنّا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب الينا فيه والمريدَ لنا عليه ففكّرْ فى ذلك وميِّز بين هذين الأمرين فانظر أيُّهما أشدُّ عارا وأقبح سماعا، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَحْ له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغْيته واستمكن منه عدوّه على حال جَهْد وضَيْعة منه وممن معه، فمنّ عليهم وأطلقهم على شرط شرَطوه وأمر اصطلحوا عليه فاضطرّ لمكروه القضاء واستحيا من النَّكْث والغَدْر أن يقال امرؤ نكث العهدَ وخَتَر الميثاق . مع أنى قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدّتهم وطاعتهم لك، وما أجدنى أشكّ أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخُوصك بهم عارفون بأنك قد حملتَهم على غير الحق ودعوتَهم الى ما يُسخط الله، فهم فى حربنا غير مستبصرين ونيّاتُهم فى مناصحتك اليوم مدخولة، فانظر ما قَدْر غَنَاء من يقاتل على مثل هذه الحال، وما عسى أن تبلغ نكايتُه فى عدوّه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فمع عار و إن قُتل فالى النار، فأنا أذكِّرك اللهَ الذى جعلته على نفسك كفيلا ونعمتى عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة و إشفائكم على الممات، وأدعوك الى ما فيه حظّك و رشدُك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوْا على ذلك فى كل ما أحبوه أو كرهوه ، فأَحْمَـدوا عواقبَه وحسُن عليهم أثرُه ، ومع ذلك إنك لست على ثقة من الظَّفَر بنا والبلوغ لنَهْمتك فينا و إنما تلتمس منا أمرا نلتمس منك مثله وتناوئ عدوّا لعله يُمنَح النصر عليك فقـد بالغتُ فى الاحتجاج عليك وتقدّمتُ فى الإعذار اليك ونحن نستظهر بالله الذى آعتززْنا به ووثِقْنا بما جعلتَه لنا من عهده إذا آستظهرتَ بكثرة جنودك وآزدهتْك عدّة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله ما كان أحد من نُصَحائك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يَحْرِمنّك منفعتَها مَخْرَجُها منى فإنّه لا يُزْرِى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قِبـل الأعداء كما لا يُحبّب المضارّ اليهم أن تكون على أيدى الأولياء . واعلم أنه ليس يدعونى الى ما تسمع من مقالتى ضعف أُحِسّه من نفسى ولا قِلّةٌ من جنودى، ولكنى أحببتُ أن أزداد بذلك حجّة وآستظهارًا، وأزداد به من الله للنصر والمعونة آستيجابًا ولا أوثر على العافيـة والسلامة شيئا ما وجـدتُ اليهما سبيلًا، فأبى فيروز إلا تعلّقا بحجّته فى الحجر الذى جعله حدّا بينه و بينه وقال: لستُ ممن يردَعه عن الأمر يهمّ به وعيدٌ ولا يقتاده التهدّد والترهيب، [ولو كنتُ[1] أرى ما أطلبك غدرًا منى ما كان أحد أنظرَ ولا أشدَّ اتقاءً منّى على نفسى فلا يغرّنك منّا الحال التى صادفتنا عليها فى المرّة الأولى من القلّة والجَهْد والضعف]. قال اخشنوار : لا يغرّنك ما تخدَع به نفسَك من حملك الحجر أمامك، فانّ الناس لو كانوا يُعطون العهود على ما تصفُ من إسرار أمرٍ و إعلان آخر، إذًا ما كان ينبغى لأحد أن يغترّ بأمانٍ ولا يثق بعهدٍ، وإذًا لمـا قبل الناس شيئًا

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

مما يعطونه من ذلك، ولكنّه وُضع على العلانية وعلى نية من تُعقَد العهودُ والشروط له . فانصرفا يومهما ذلك فقــال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ، وما رأيتُ للفَرَس الذى كان تحته نظيرا فى الدواب فانه لم يُزِلْ قوائمَه ولم يرفع حوافرَه عن موضعها ولا صَهَل ولا أحدث شــيئا يقطع به المحاورة فى طول ما تواقَفْنا . وقال اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كلّه فلم يحرّك رأســه ولم ينزع رجله من ركابه ولاحَنَا ظهــره ولا ٱلتفت يميناً ولا شمالًا ، ولقد تورّكت أنا مرارا وتمطيتُ على فرسى وتلفّتُّ الى مَن خلفى ومددتُ بصرى فى أمامى وهو منتصبٌ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنمـا أرادا بما وصفا من ذلك أن يَنتشر هذانـــ الحديثان فى أهل عسكريهما فيُشغَلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذا كراه . فلما كان فى اليوم الثـانى أخرج اخشنوار الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُمح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبَغيه ويخرجوا من متابعته، فانتقض عسكر فيروز وٱختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً حتى ٱنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى قال : لا رادّ لمــا قُدر، ولا أشدّ إحالةً لمنافع الرأى من ٱلهوى وٱللَّجاج ، ولا اضيع من نصيحة يُمنَحُها من لا يوطّن نفســه على قبولها والصبر على مكروهها، ولا أسرعَ عقوبةً ولا أسوأ عاقبة من البغى والغدر، ولا أجلبَ لعظيم العار والفُضُوح من إفراط الفخر والأنفة .

وقال أبو اليقظان: لمــا خرج شَبِيب بن يزيد بن نُعَيم الخارجى بالموصل بعث اليه الحجّاج قائدا فقتله ثم قائدا فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قوّاد قتلهم وهزم جيوشهم وكان أحد القوّاد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفةَ وخرج الحجّــاجُ من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجــاجَ قبل

أن يصل الى الكوفة فأَقْحم الحجاجُ خيلَه فدخل الكوفة قبله ،ومرّ شبيب بعَتّاب بن وَرْقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه، وقدم شبيبٌ الكوفة وآلى ألّا يَبْرح عنها أو يَلْقى الحجاج فيقتله أو يُقتل دونه؛ فخرج الحجاج إليه فى خيله ، فلما قرُب منه عَمَد الى سلاحه فألبسه أبا الوَرْد مولاه وحمله على الدابة التى كان عليها ، فلما تواقفا قال شبيب : أرونى الحجاج، فأومأوا له الى أبى الورد فحمل عليه فقتله ، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق فى دُجَيل وهو يقول (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

الأوقات التى تختار للسـفر والحرب

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن الزهرىّ قال : كان أحبّ الأيام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يعقد فيه رايتَه يوم الخميس، وكان أحبّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أخِّر الحربَ ما آستطعت فان لم تجد بدًا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن عَوْن عن محمد آبن سيرين أنّ النعمان بن مُقَرِّن قال لأصحابه : إنى لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحبِّ ما يَلْقَ فيه إذا لم يُلْقَ فى أول النهار إذا زالت الشمسُ وحلّت الصلاة وهبّت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يكره الحجامةَ والابتداء بعمل فى مِحَاق القمر وفى حلوله فى برج العَقْرب . [(1) وقال بعضهم : كنت مع عمر آبن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فاذا القمر بالدَّبران فقلت : آنظر الى القمر ما أحسن آستواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزلته فضحك، وقال: إنما أردتُ أن ننظر الى منزلته، وإنّا

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

لا نقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهّار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعــة ، ويوم الأحد يوم غَرْس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وآبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حربٍ ودمٍ ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خِطْبة ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رَجاء قال : كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يقول اذا آشتدّت حَلْقه البلاء وكانت الضِّيقَه : « تضيّق تفرّجى » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين آللهم كفّ عنا بأس الذين كفروا إنك أشدّ بأسًا وأشدّ تنكيلا فما يخفض يديه المباركتين حتى يُنزل الله النصر .

وحدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عُقْبَــة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله (١) وكان كاتبا له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوْفى حين خرج الى الحَرُورِيّة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقِىَ فيهـا العدوّ آنتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس فقال : « لا تمنّوا لقاءَ العدوّ وآسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فآثبتوا وآصبروا وآعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف » ثم قال « اللهمّ منزِل الكتاب ومُجرىَ السحاب وهازم الأحزابَ آهزمهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النضر : وبلغنا أنه دعا فى مثل ذلك فقال : « اللهمّ أنت ربّنا وربّهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فآهزمهم وآنصرنا عليهم » .

حدّثني محمد بن عبيد قال : لمــا صافّ قتيبةُ بن مسـلم التُّركَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسـع ما يصنع ؟ قالوا : هو فى أقصى الميمنة جانح على سِيَة (٢) قوسـه

(١) كذا بالنسختين وهو عمرو بن عبيد الله كما فى تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما آنعطف من طرفيها .

يُنَضْنِض بإصبعه نحو السماء . فقال قتيبةُ : تلك الإصبع الفاردة أحبّ الىّ من مائة ألف سيف شَهير وسنان طَرير . فلما فتح الله عليهم قال لمحمد : ما كنت تصنع ؟ قال : كنت آخذ لك بمجامع الطرق .

الصبرُ وحضّ الناس يوم اللّقاء عليه

حدّثنى سهلُ بن محمـد قال حدّثنا الأصمعىّ قال كان عاصم بن الحدثان رجلا من العرب عالمـا قديمـا وكان رأسَ الخوارج بالبصرة وربمـا جاءه الرسولُ منهـم من الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فمرّ به الفرزدق فقال لأبنه : أنشـد أبا فراس فأنشده

وهمُ إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ * صُـبُرٌ وحين تُحلّل الأزرارُ
يغشَوْن حَوْماتِ المنون وإنها * فى الله عنـد نفوسهم لصغار
يمشون فى الخَطّى لا يثنيهـمُ * والقوم إذ ركبوا الرماح تِجَار

فقال له الفرزدق : ويحك! اكتم هذا لا يسمعه النسّاجون فيخرجوا علينا بحفوفهم (١) . فقال عاصم : يا فرزدق، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .

حدّثنا سهل قال حدّثنا الأصمعى قال قال سَليط بن سـعد قال بِسطام بن قيس لقومه : تَرِدون على قومٍ آثارُهم آثار نساء وأصواتهم أصوات صِرْدان ولكنهم صُبُرٌ على الشرّ. يعنى بنى يَرْبوع . وفى هؤلاء يقول معاوية : لو أنّ النجوم تناثرت لسقط قمرها فى حجور بنى يربوع . قال الأصمعىّ قلت لسليط : أكان عُتَيبـة (٢) بن الحارث ضخماً؟ قال : لا ولا من قوم ضِخَام . يعنى بنى يربوع .

(١) الحَفّ المِنْسج وجمعه حفوف . (٢) فى النسخة الألمانية «عيينة» وهو تحريف .

[وقال عمر بن الخطاب لبنى عَبْس: كم كنتم يوم الهَبَاءة[٢]؟ فقال: كنا مائةً كالذهب[١]، لم نكثُر فنتواكل ولم نقِلّ فنذِلّ . قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عددًا ولا مالا ؟ قال : كنا نصبر بعد اللقاء هُنَيهة . قال : فلذلك إذًا . قيل لعنترة العبسىّ : كم كنتم يوم الفَرُوق[٣]؟ قال: كنا مائة لم نكثُر فنفشَل ولم نقِلّ فنذِلّ] . وكان يقال : النصر مع الصبر . ومن أحسن ما قيل فى الصبر، قول نَهْشَل بن حَرِىّ ابن ضَمْرة

ويوم كأن المُصْطَلين بحَـــرِّه * وإن لم تكن نارٌ قيامٌ على الجمر
صـــبرنا له حتى يَبُوخ وإنمـا * تُفرّج أيامُ الكريهة بالصـــبر

ومثله قول الآخر

بكى صاحبى لمـا رأى الموت فوقنا * مُطِلًّا[٤] كإطلال السحاب إذا اكفهرّْ
فقلت له لا تَبْـــكِ عينك إنمـا * يكون غدا حسن الثناء لمن صـــبر
فمـا أخّر الإحجـامُ يوما معجَّـلا * ولا عجّـل الإقدامُ ما أخّر القـــدرْ
فآسَى على حالٍ يَقِـلُّ بهـا الأَسى * وقاتل حتى استبهم الوِرْدُ والصَّدرْ
وكَرَّ حِفَاظا خشيةَ العـار بعـد ما * رأى الموت معروضا على منهج الكَرّْ

وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة . وتقول العرب : الشجاع مُوَقًّى . وقالت الخَنساء

نُهِين النفوسَ وهونُ النفو * س يوم الكريهة أوقَى لها

وقال يزيد بن المهلّب

تأخّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجد * لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) أرض لغطفان و يومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس على ذبيان . (٣) موضع بديار بنى سعد و يومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا .
(٤) فى الألمانية مظلا كاظلال الخ بالظاء المعجمة .

وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءة

وقَوْلى كلّمــا جشأتْ وجاشتْ * مِن الأبطال ويحكِ لا تُراعِى
فانّــكِ لو سألتِ حيــاةَ يــوم * سوى الأجل الذى لكِ لم تُطاعى

[(١) وقال معاوية بن أبى سفيان شجّعنى على علىّ بن أبى طالب قولُ عمرو بن الإطْنابة .

أبت لى عِفّــتى وأبى بلائى * وأَخْذى الحمد بالثمن الرَّبيح
وإقــدامى على المكروه نفسى * وضربى هامةَ البَطَل المُشِيح
وقولى كُلّمــا جَشَأت لنفسى * مكانكِ تُحمــدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ * وأحمِى بعدُ عن عِرْض صحيح
أبتْ لى أن أقضِّى فى فعالى * وأنــ أغُضِى على أمر قبيح

وقال رَبيعة بن مَقْروم

ودعَوْا نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازل * وعلاَم أركبــه إذا لم أنزل

وكان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذَمِّر(٢) الناس ويقول : يا أهل الاسلام، إنّ الصبر عزّ وإنّ الفشل عجز وإنّ النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .

إنّ الشِّــواء والنَّشِــيل والرُّغُفْ(٣) * والقينةَ الحسناء والكأسَ الأُنُفْ
للضارِبين الخيلَ والخيلُ قُطُفْ

وقال أعرابى : الله يُخْلف ما أتلف الناسُ، والدهر يتلف ما جمعوا، وكم من مِيتَة عِلّتها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت . ومثله قول أبى بكر الصديق لخالد : أحرص على الموت تُوهبْ لك الحياة .

[(١) قدمت مُنْهزمةُ الرومِ على هِرَقل وهو بأَنْطاكِيَة، فدعا رجالا مِن عظمائهم فقال : ويحكم ! أخبرونى ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا : بلى . يعنى

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .
(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

العرب . قال : فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا فى كلّ موطن . قال : ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلّما لقيتموهم ؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم : أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤْتَوْن . قال : أخبرْنى . قال : إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال: ويلكم فما بالكم كما تَصِفون وهم كما تزعمون؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا؟ قال له : من أين هو؟ قال : لأنّ القوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ويُوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر ولا يظلمون أحدا ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ونزنى ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخِط الله وننهَى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض . قال : صدقتَنى، والله لأخرجنّ من هذه القرية فما لى فى صحبتكم خير وأنتم هكذا . قالوا : نُشهدك الله أيها الملك . تدَع سُورِيَة وهى جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤتَ عليهم] .

ذكر الحرب

قالت العرب : الحرب غَشُوم، لأنها تنال غير الجانى . وقال الكميت

الناس فى الحرب شتّى وهى مقبِلةٌ * ويستوون اذا ما أدبر القُبُل
كلٌّ بأَمْسِيّها طَبٌّ مولّيةً * والعالمون بذى غُدْوِيِّها قُلُل

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن مَعْديكَرِب : أخبرنى عن الحرب . قال : مُرّة المَذَاق إذا قلَصتْ عن ساق، مَن صبَر فيها عُرِف ومن ضعف عنها تَلِف . وهى كما قال الشاعر

الحرب أوّلَ ما تكون فتيةً * تسعى بزينتها لكلّ جهول

حتى إذا ٱستعرت وشبّ ضِرامها (١) * عادت عجوزًا غير ذات خليل
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت * مكروهةً للّثم (١) والتقبيل

كان يزيد بن عمر بن هُبيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يُمدّه بالرجال ولا يرفع ما يَرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال

أرى خلَلَ الرماد وَمِيضَ جمرٍ * ويوشك أن يكون له ضِرامُ
فانّ النار بالعُودين تُذْكى * وإنّ الحرب أوّلها الكلام
فان لم يُطفِها عقلاء قوم * يكون وَقُودَها جُثَثٌ وهَامُ
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظٌ أُميّة أم نيام

ونحو قوله : «الحرب أوّلها الكلام» قول حُذَيفة : إنّ الفتنة تُلْقَح بالنجوى وتُنْتَج بالشكوى .

العتبىّ عن أبيه قال قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لٱبنه الحسن : يا بُنى لا تدعوَنّ أحدا إلى البِرَاز، ولا يدعونّك أحد اليه إلا أجبتَه فانه بَغْى .

فى العدّة والسلاح

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصَيْفة (٢) عن السائب ٱبن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان عليه دِرْعان يوم أُحُد . قيل لعبّاد بن الحُصَين وكان أشدّ رجال أهل البصرة : فى أىّ عدّة تحبّ أن تلقى عدوك؟ قال : فى أجل مُستأخِر .

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا بِشر بن المفضَّل قال حدّثنا داود بن أبى هند عن عِكْرِمة قال : لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجَنُوب للشَّمَال : ٱنطلق بنا نُمِدَّ

(١) فى العقد الفريد «حليل» بالحاء المهملة وفيه أيضا كما فى الفتوغرافية «الشم» بدل اللثم .
(٢) فى الأصل «حصيفة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إنّ الحرّة لا تسرى بالليل ، فكانت الريح التى أُرسلت عليهم الصَّبا .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنا ابن أبى الزِّنَاد قال : ضرب الزبير بن العوّام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطّه الى القَرَبوس فقالوا : ما أجودَ سيفك ! فغضب ، يريد أنّ العمل ليده لا لسيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحترىّ يصف سيفا

ماضٍ وإن لم تُمضِه يد فارس * بطلٍ ومصقولٌ وإن لم يُصقَلِ
متوقِّد يَفْرِى بأوّل ضَرْبة * ما أدركت ولو انّها فى يذْبلِ

وقال آخر

وما السيف إلا بَزُّ غادٍ لزينة * إذا لم يكن أمضى من السيف حامِلُهْ

رؤى الجرّاح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، فقيل له فى ذلك . فقال : إنى لست أقى بدنى وإنما أقى صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أَدرُعا وقال : إنى لم أشتر أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلّب : ما رأيت رجلا فى الحرب مُستلئِما إلا كان عندى رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إنّ للسلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصَّريخ : السلاحَ السلاحَ ولا ينادون : الرجالَ الرجالَ . (٢)[قال المهلب لبنيه : يا بَنِىّ لا يقعدنّ أحد منكم فى السوق ، فان كنتم لا بدّ فاعلين فالى زَرّاد أو سَرّاج أو وَرّاق .](٢) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن معد يكرب : أخبِرْنى عن السلاح . قال : سَلْ عما شئت منه . قال : الرمح؟ قال : أخوك وربما خانك . قال النَّبل؟ قال : منايا تخطئ وتصيب .

(١) فى النسخة الألمانية «الكوفة» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

قال : التُّرْس؟ قال : ذاك المِجَنّ وعليــه تدور الدّوائر . قال : الدِّرع ؟ قال : مُثقِــلة[1] للراجل مُتعِبة للفارس، وإنّها لحصن حصين . قال : السيف؟ قال: ثمَّ، قارعتْك أُمُّك عن الثُّكْل . قال عمر : بل أُمُّك . قال "الحُمَّى أَضْرعتْنى لك[2]" .

وقال الطائىّ يصف الرِّماح،

مثقَّفات سلبْنَ الرومَ زرقتَهــا * والعُرْب سُمرتَها والعاشق القَضَفا[3]

وقال دِعْبل يصف الرُّمح

وأَسمــرٍ فى رأســه أزرقٌ * مثلُ لسان الحيّة الصادى

وقال الشاعر

تلمَّظ السيفُ من شوق إلى أنسٍ * فالموت يَلْحَظ والأقدار تنتظِر
أظَلَّه منـــك حَتْف قد تجلّله * حتى يؤامر فيــه رأيَك[4] القــدَر
أمضى من السيف إلا عند قدرته * وليس للسيف عفو حين يَقتدِر

وقال آخر

متى تَلْقَنِى يَعْدُو ببِزِّى[5] مقلِّصٌ * كُمَيتٌ بَهِــيمٌ أو أغرّ محجَّلُ
تلاقِ امرأً إن تلقَه فبسيفه * تُعلِّمك الأيام ما كنت تجهل

وقال علىّ رضى الله عنه : السيف أنمى عددا وأكثر ولدا[6] . وفى الحديث « بقيّة السيف مباركة » يعنى أنّ من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال المهلّب : ليس شىء أنمى من سيف . ويقال : لامجــد أسرع من مجد سيف .

---

(١) فى الأصلية « مشغلة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد فى مجمع الأمثال وفى النسخة الألمـانية : « إليك » . (٣) النحافة . (٤) فى الفتوغرافية « ربَّه » (٥) قال فى اللسان : البَزّ والبِزّة السلاح ويدخل فيه الدرع والمِغفر والسيف . (٦) هكذا فى النسخة الألمـانية ، وفى الفتوغرافية « السيف أنمى عددا وأكرم ولدا » ، وفى نهج البلاغة بقية السيف أبقى عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع علىّ رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها فقيل له فى ذلك فقال : إذا استمكن عدوّى من ظهرى فلا يُبْقِ . وقال أبو الشِّيص

ختلتْه المنونُ بعد اختيال * بين صَفَّين من قنًا ونِصَال
فى رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مُذَال

بلغ أبا الأغرّ أنّ أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ فبعث ٱبنه الأغرّ وقال : يا بُنَىّ كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإيّاك والسيف فانه ظلّ الموت، وٱتق الرمح فانه رِشاء المنيّة، ولا تقرُب السِّهام فانها رُسُل لا تُؤامِر مُرسِلَها . قال : فبماذا أقاتل؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يملأْنَ الأَكُفَّ كأنّها * رءوس رجالٍ حُلِّقت فى المَوَاسِم

وقال الخُزَيمى فى بغداد أيام الفتنة

يا بؤسَ بغدادَ دار مملكة * دارتْ على أهلها دوائرُها
أمهلها الله ثُمّ عاقبها * لما أحاطت بها كبائرُها
رقّ بها الدّين وٱستُخِفَّ بذى الـ * ـفضل وعزّ الرجالَ فاجرُها
وصار ربَّ الجيران فاسقُهم * وٱبتزَّ أمنَ الدروب شاطرُها
يحرق هذا وذا يهدّمها * ويشتفِى بالنِّهاب داعرُها
والكرخ أسواقُها معطَّلة * يَسْتَنُّ شذّاُبها[(١)] وعائرُها
أخرجت الحربُ من أساقطهم * آسادَ غِيلٍ غُلْبا تُساوِرها
من البوَارِى[(٢)] تِراسُها ومن الـ * ـخُوص اذا استلأَمت مغافرها
لا الرزقَ تبغِى ولا العطاءَ ولا * يحشُرها بالعناء[(٣)] حاشرُها

(١) فى الطبرى «عيَّارها» . (٢) جمع بارىّ بتشديد الياء وهو الحصير المنسوج .
(٣) فى الطبرى «للّقاء» .

ونحوه قول علىّ بن أمية

دهتنا أمور تُشيب الوليــد * ويَخذُل فيها الصديقَ الصدّيق
فَنَـاء مُبيــد وذُعر عتيــد * وجوع شديد وخوف وضيق
وداعى الصّباح بِطُول الصياح * السّــلاح فمـا نستفيق
فبـالله نبــلُغ ما نرتجــى * وبالله ندفــع ما لا نُطيق

جنى قوم من أهل اليمامة جناية فأرسل اليهم السلطان جندا من بُخَارِيّة ابن زياد[1]، فقال رجل من أهل البادية يُذمِّر قومه : يا معشر العرب ويا بنى المحصَنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم ، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدَعون بها لَبِنة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعوها بالأرض ولأعتراكم من نُشّاب معهم فى جِعَاب كأنها أيور الفِيَلة ينزعون فى قِسِىٍّ كأنهـا العَتَلُ فتئِطُّ أحداهنّ أطيط الزُّرنُوق يمغَط أحدهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه ثم يرسل نُشّابة كأنها رِشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تَنْفَضِخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة، فخلع قلوبَ القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدّثنى محمد بن عبيــد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبى عثمان قال : كتب عمر رضى الله عنه : ائتزروا وارتَدُوا وانتعلوا وألقوا الخِفَاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكُبَ وآنْزُوا نَزْوا على الخيل وعليكم بالمَعَدّيّة، أو قال العربية . ودَعوا التنعّم وزِىّ العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تخُور قوًى ما كان صاحبها ينزِع وينْزُو. يعنى ينزع فى القوس وينزو على الخيل من غير استعانة بالرُّكُب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهى سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدى الرمى بالنشاب .

العمرى . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه (١) [اليمنى و بيده اليسرى أذنَ فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرَاميزَه ويَثِبُ فكأنما خُلق على ظهر فرسه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صِفِّين : عَضُّوا على النَّواجذ من الأضراس فانه أَنْبَى للسيوف عن الهام . وأقاموا رجلا بين العُقَابين فقال له أبوه : طِدْ رجلك وأَصِرَّ إِصْرار الفرس واذكر أحاديث غد و إياك وذكر الله فى هذا الموضع فانه من الفشل . [وقال غيره طِدْ رجليك إذا اعْتَصيت (٢) بالسيف والعصا وأنت مخيَّر فى رفعه (٣) ساعةَ المسالمة والموادعة] .

وقرأت فى الآيين أن من إجادة الرمى بالنُّشّاب فى حال التعلُّم إمساكَ المتعلم القوسَ بيده اليسرى بقوة عَضُده الأيسر والنُّشّابة بيده اليمنى وقوة عضده الأيمن وكفُّه أَصْدَرِيَّه (٤) و إلقاؤه ببصره الى مَعْلَم الرمى و إجادته نصبَ القوس بعد أن يطأطئ من سِيَتِها بعض الطَّأْطأة وضبطُه إيّاها بثلاث أصابع و إحناؤه السبّابة على الوتر، و إمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضما وتحويله ذَقَنَه الى منكبه [الأيسر] (٢) و إشرافه رأسَه و إرخاؤه عنقه وميلُه مع القوس و إقامتُه ظهرَه و إدارتُه عضدَه ومَغْطُه القوسَ مترافعا ونزعُه الوترَ الى أذنه و رفعُه بياضَ عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويلٍ لعينه وارتعاشٍ من جسده واستبانتُه موضع زِجَّةِ النُّشّاب .

وقرأت فى الآيين : من إجادة الضرب بالصَّولجان أن يضرب الكُرَة قُدُما ضرب خُلْسةٍ يُدير فيه يده الى أذنه ويُميل صَوْلجانه الى أسفلَ من صدره ويكون ضربه متشازِرا مترفِّقا مترسِّلا ولا يُغفل الضرب (٥) ويرسل السِّنَان خاصة وهو الحامية لمجاز الكُرَة الى غاية الغرض ثم الجرّ للكرة من موقعها ، والتوخّى للضرب لها تحت مِحْزَم

(١) زيادة فى النسخة الألمانية وفى البيان والتبيين «يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى» . (٢) زيادة فى النسخة الالمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله «رفعهما» . (٤) فى الألمانية : «وكفه الى صدره» .
(٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا البنيّان؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قِبَل لَبّتها فى رفق ، وشدّةُ المزاولة والمُجاحَشة على تلك الحال والتركُ للاستعانة فى ضرب الكرة بسوط والتأثيرِ فى الأرض بصولجان والكسرِ له جهلا باستعماله أو عقرِ قوائم الدابة ، والاحتراسُ من إيذاء من جرى معه فى ميدانه ، وحسنُ الكف للدّابة فى شـدّة جريه ، والتوقّى من الصَّرْعة والصَّدْمة على تلك الحال ، والمجانبـةُ للغضب والسَّبّ ، والاحتمالُ والمُلاهاة ، والتحفُّظُ من إلقاء كُرة على ظهر بيت وان كان ستُّ كُرِينَ بدرهم ، وتركُ طرد النَّظّارةِ والجُلوسِ على حيطان الميدان فان عرض الميدان انما جعل ستين ذراعا لئلا يُحالَ ولا يُصارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدَّعوة لرجاله : أَشعِروا قلوبَكم الجرأة عليهم فانها سبب الظَّفَر ، واذكروا الضغائن فانها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فانها حصن المُحارِب .

المسير فى الغزو والسفر

حدّثنا شَبَابَة عن القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عيّاش عن مَعْدان بن حُدَيْر الحَضْرمى عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَير عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يَغْزون من أمّتى ويأخذون الجُعْل يَتقَوَّوْن به على عدوهم كمثل أمّ موسى تُرضع ولدَها وتأخذ أجرها» . حدّثنى محمد بن عُبيد عن ابن عُيينة عن عبد الرحمن ابن حَرْملة عن سعيد بن المُسَيّب قال : لمـا نزل النبى صلى الله عليه وسلم المُعرَّس أمر مناديا فنادى : لا تَطْرُقوا النساء . فتعجّل رجلان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا .

وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم (١) . وتأمر بالمُحِلّات وهى الدلو والفأس والسُّفْرة والقِدْر والقَدّاحة ، وإنمـا قيل لها مُحِلّات لأن المسافر بها يحلّ حيث شاء ولا يبالى ألّا يكون بقربه أحد .

(١) فى الميدانى «السَّفَر ميزان السَّفر» أى أنه يُسفر عن أخلاق المسافرين ، وفى الفتوغرافية السفر مجلاة القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال، قال لقمان لابنه: «يا بنىّ إذا سافرت فلا تنَم على دابّتك فان كثرة النوم سريع فى دبَرها، فاذا نزلتَ أرضا مُكلِئة فأعطها حظّها من الكلأ وآبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك و إذا بعدت عليك المنازل[فعليك بالدّلَج فان الأرض تُطوَى بالليل. و إذا أردت النزول] (١) فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيّات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تُربة وأكثرها كلأً فانزلها، و إذا نزلت فصلِّ ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ). و إذا أردت قضاء حاجة فأبعِد المذهبَ فى الأرض وعليك بالسُّتْرة. و إذا آرتحلت من منزل فصلّ ركعتين وودّع الأرض التى ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة. و إذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا: هل مرّ بكنّ اليوم ذاكر لله؟ و إن آستطعت ألا تَطعَم طعاما حتى تتصدّق منه فآفعل. وعليك بذكر الله جلّ وعزّ مادمتَ راكبا و بالتّسبيح مادمت صائما و بالدعاء مادمت خاليا. و إيّاك والسّيرَ فى أوّل الليل وعليك بالتّعريس والدُّلْجة من نصف الليل الى آخره. و إياك ورفعَ الصوت فى سيرك إلا بذكر الله، وسافر بسيفك وقَوسك وجميع سلاحك وخُفّك وعمامتك وإبَرتك وخُيوطك وتزوّد معك الأدْوية تنتفع بها وتنفع مَن صحِبك من المرضى والزمْنى. وكن لأصحابك موافقا فى كل شىء يُقرّبُك إلى الله ويباعدك من معصيته. وأكثر التبسُّم فى وجوههم وكن كريما على زَادِك بينهم و إذا دعوك فأجبهم، و إذا استعانوك فأعنهم و إذا استشهدوك على الحق فاشهَد لهم وآجهَد رأيك. و إذا رأيتهم يمشون فامشِ معهم أو يعملون فاعمل معهم. [و إن تصدّقوا أو أعطوا فأعط] (١). واسمع لمن هو أكبر منك. و إن تحيّرتم فى طريق فانزلوا، و إن شككتم فى القصد فتثبّتوا وتآمروا، و إن رأيتم خيالا واحدا

(١) زيادة فى النسخة الالمانية.

فلا تسألوه عن طريقكم فان الشخص الواحد فى الفلاة هو الذى حيّركم واحذروا الشخصين أيضا إلّا أن تروا ما لا أرى فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن العاقل اذا أبصر شيئا بعينيه عرف الحق بقلبه .

علّم أعرابى بنيه إتيانَ الغائط فى السفر فقال لهم : اتّبعوا الخَلاء وجانِبُوا الكَلا واَعْلُوا الضَّراءَ[(١)] وأَفْجُوا إفجاج النعامة وامسحوا بأَشْمُلكم .

[[(٢)]وقال عمرو بن العاص للحسن بن على بن أبى طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل تَنْعت الخِرَاءة ؟ فقال : نعمْ، تُبعِد المشىَ فى الأرض الضَّحْضَح حتى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبْرها ولا تستَنْجِ بالرَّوْثة ولا العَظْم ولا تَبُلْ فى الماء الراكد] .

أراد الحسن البصرىّ الحج ، فقال له ثابت : بلغنى أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب . فقال : ويحك ! دَعْنا نتعايشْ بستر الله، إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه . وفى الحديث المرفوع عن بَقِيَّةَ عن الوَضِين بن عَطَاء عن محفوظ بن عَلْقمة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه «أَما إنّك إن ترافق غير قومك يكن أحسنَ لخلقك وأحقَّ أن يُقتَدى بك » .

أتى رجل هِشَاما أخا ذى الرُّمّة الشاعر فقال له : إنى أريد السفر فأوصنى . قال : صَلِّ الصلاة لوقتها فانك مصلّيها لا محالة فصلّها وهى تنفعك، وإياك وأن تكون كلبَ رُفْقتك فان لكل رُفقة كلبا ينبح دونهم، فان كان خيرا شَرِكُوه فيه وإن كان عارا تقلّده دونهم .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عثمان بن عَطَاء عن أبيه قال : اذا ضلّتْ لأحدكم ضالّةٌ فليقل : اللهم ربَّ الضالّة تَهْدِى الضالّة وتردّ الضالّة اردُد علىّ ضالّتى، اللهم لا تبلُنا بهلاكها ولا تتعبنا بطلبها، ما شاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله . ياعباد الله الصالحين ردّوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل فقل : ياعباد الله أعينونا . [[(٢)]وقال أبو عمرو : إذا ضلّت لأحدكم ضالة فليتوضأ

(١) الضراء ما واراك من شجر . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلّ ركعتين ثم يتشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادىَ الضّال ورادّ الضالّ اردُد على ضالتى بعزّتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

حدّثنى محمد بن عبيد عن حمزة بن وَعْلة عن رجل من مُرَاد يقال له أبو جعفر عن محمد بن على عن على رضى الله عنه قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم: «يا علىّ، أمانٌ لأمّتى من الغَرَق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن محمد بن عَجْلان عن عمرو ابن شُعَيب قال : أراد عمر أن يُغْزى البحرَ جيشا، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين، البحر خَلْق عظيم يركبه خَلْق ضعيف دُودٌ على عُود بين غَرَق وبرَق(١) قال عمر : لا يسألنى الله عن أحد حَمَلتُه فيه . وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى إسحاق عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول فى السفر اذا أسْحر: سمِع سامعٌ بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحِبْنا فأفضلْ علينا ثلاثا، اللهم عائذٌ بك من النار ثلاثا لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعى عن حسّان بن عطيّة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى سفره حين هاجر: « الحمد لله الذى خلقنى ولم أَكُ شيئا مذكورا، اللهم أَعِنِّى على أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالى والأيام واكْفِنى شرّ ما يعمل الظالمون فى الأرض، اللهم فى سفرى فَاصْحَبْنى، وفى أهلى فَاخْلُفْنى، وفيما رزقتنى فبارك لى، ولك فى نفسى فذلّلْنى، وفى أعين الصالحين فعظّمنى، وفى خُلُق فقوّمنى، وإليك ربّ فحبّبْنى، الى من تكلُنى ربَّ المستضعَفين وأنت ربى » .

(١) البرق الحيرة والدهش . وفى النسخة الألمانية «ترق» وهو تحريف .

وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى اسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سَرْجِس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : «اللهم إنى أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المُنقلَب والحَوْر بعد الكَوْر ودعوة المظلوم وسوء المنظَر فى الأهل» وزاد غيره «اللهم ٱطوِ لنا الأرض وهوّنْ علينا السفر» .

وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيّئتين وخيرُ الأمور أوساطها وشرُّ السير الحَقْحَقَةُ . وفى الحديث «لا تُحَقْحِقْ فتنقطع ولا تَباطأْ فتُسبَق ولكن ٱقصِدْ تبلُغ» والحقحقة أشدّ السير . وفى حديث آخر «إن المُنبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» وقال المَرّار

تُقطِّع بالنزول الأرضُ عنّـا * وبُعد الأرض يقطعه النزول

الأصمعى قال، قيل لرجل أسرع فى سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل الوَجْبَة وأُعرِّس إذا أَسْحرت وأرتحل إذا أَسْفرت وأسير الوَضْع وأجتنب المَلْع فجئتكم لمُسْيِ سَبْع . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذَكْوان مولى آل عمر بن الخطاب، سار من مكة الى المدينة فى يوم وليلة، فقدم على أبى هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العَتَمَة، فقال له أبو هريرة : حاجٌّ غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك نفَرْتَ قبل الزوال . فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

ألم تَرَنِى كلّفتُهم سـيرَ ليـلة * منَ آل منًى نَصًّا الى آل يثرب
فأقسمت لاتنفكُّ ما عشتُ سَيْرَتى * حديثـا لمن وافى بجَمْع المحصَّب

ومن السير المذكور مَسير حُذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخَطِيم

هممنا بالإقامـة ثم سرنا * كسيرِ حُذَيفةِ الخيرِ بن بدرِ

قال الشَّرَقِيّ بن القَطَامى: خرجت من الموصل أريد الرَّقّة فصحبنى فتى من أهـل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِزْوَد ورَكْوة وعصا، ورأيته لا يفارقها مُشاة كنّا أو رُكبانا وهو يقول : إن الله جعـل جِمَاع أمر موسى وأعاجيبـه وبراهينه ومآربه فى عصاه ، ويُكثِر من هذا وأنا أضحك متهاونا بمـا يقول، فتخلّف المُكَارى فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حمارى ولا شىء فى يدى فيسبقنى الى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البَرَاح حتى يوافينى المكارى، فقلت : هذه واحدة . ثم خرجنا من غد مُشاة فكان إذا أعيا توكّأ على العصا وربمـا أَحْضَر ووضع طرفا على الأرض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم زَالِجٌ حتى انتهينا وقد تفسّخْتُ من الكَلَال وإذا فيه فضل كثير، فقلت : وهذه أخرى . فلما كان فى اليوم الثالث هجمنا على حيّـة منكَرَة فسارت الينا فأسلمتُه اليها وهربت عنها فضربهـا بالعصا حتى قتلها، فقلت : هـذه ثالثة . [وهى أعظمهنّ] وخرجنا فى اليوم الرابع وبنـا قَرَمٌ الى اللحم فاعترضتنا أرنب فحذفها بالعصا وأدركنا ذَكَاتَها فقلت : هـذه رابعة . فأقبلتُ عليه فقلت : لو أن عندنا نارا ما أخرت أكلها الى المنزل . فأخرج عُويدا من مِزْوده ثم حكّه بالعصا فأَوْرَتْ إيراءَ المَرْخ والعَفَار، ثم جمع ما قدر عليه من الغُثَاء والحشيش وأوقد نارا وألقى الأرنب فى جوفها فأخرجناها وقد لزق بهـا من الرماد والتراب ما بغّضها الىّ فعلّقها بيده اليسرى ثم ضرب جُنوبَها بالعصا وأعراضها ضربا رقيقا حتى انتثر كل شىء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس، فقلت : هذه خامسة . ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملآنَة رَوْثا وترابا فلم نجد موضعا نظلّ فيه فنظر الى حديدة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نِصَابا لهـا ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت : وهذه سادسة . ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها فى الحائط وعلّق عليها ثيابه وثيابى

فقلت : هذه سابعة . فلمــا صرنا الى مَفْرِق الطريقين وأردت مفارقته قال لى : لو عدلتَ معى فبتّ عندى ! فعدلت معه فأدخلنى منزلا يتصل ببيعة فما زال يحدّثنى ويُطرِفنى الليلَ كلّه فلما كان السحَر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له : ويحك ! أما أنت بمسلم؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس؟ قال : لأن أبى نصرانى وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ بررتُه بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس وأكثرهم أدبا فخبّرته بالذى أحصيتُ من خصال العصا، فقال : والله لو حدّثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا كنتم فى الخِصْب فأمكنوا الرِّكابَ أسنّتَها[1] ولا تَعْدوا المنازل و إذا كنتم فى الجَدْب فاستَنْجُوا[2] وعليكم بالدُّلْجَة فإن الأرض تُطْوَى بالليــل و إذا تغوّلتْ لكم الغِيلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلّوا على جَوَادِّ الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها مأوى السِّباع والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها المَلَاعِن» .

وأراد أعرابى سفرا فقال لامرأته

عُدِّى السنين لغيبتى وتصبَّرِى * وذَرِى الشُّهورَ فإنهنّ قصار

فأجابته

اذكُرْ صبابتَنا اليك وشوقنا * وآرحم بناتِك إنهنّ صِغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُّكُب أسنتها » وقال ناقلا عن أبى عبيــد ان كانت اللفظة محفوظة فكأنها جمع الأسنان، يقال لما تأكله الابل وترعاه من العُشْب سِنٌّ وجمعه أسنان ثم أسنة . وقال الزمخشرى ان الأسنة هنا الرماح وقال فى معناه : اعطوها ما تمنع به من النحر لأن صاحبها اذا أحسن رعيها سمنت وحسنت فى عينه فيبخل بها عن أن تنحر فشبه ذلك بالأسنة فى وقوع الامتناع بها، وهو كما ترى متكلف لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي

طرِبتَ إلى الأُصَيْبِية الصِّغار * وهاجك منهمُ قربُ المزار

وكلّ مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

وفى الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كنّا يوم بدر ثلاثةً على بعير فكان علىّ وأبو لُبَابة[1] زَميلَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عُقْبتُهما قالا : يا رسول الله اركب ونمشى عنك . فيقول «ما أنتما بأقوى منّى وما أنا بأغنى عن الأجر منكما» .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال فى خطبته : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصّروا الأشعار .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «لا سهر إلا لثلاثة : مُصَلٍّ أو عروس أو مسافر» .

وقال بعض الشعراء

سُررتُ بجعفرٍ والقربِ منه * كما سُرّ المسافر بالإياب

وكنت بقربه إذ حلّ أرضى * أميرا بالسّكينة والصّواب

كممطورٍ ببلدته فأضحى * غنيّا عن مطالبة السحاب

وقال آخر فى معناه

وكنت فيهم كممطور ببلدته * فسُرَّ أنْ جمَع الأوطانَ والمطرا

وقال آخر

إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفس * كرام رجتْ أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خيرُ الغنيمة إنها * تؤوب وفيها ماؤُها وحياؤها

(١) كذا بضم أوله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعة بن عبد المنذر وهو صحابى معروف .

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غنيـــمة سالمينا
[وما تَدْرِينَ أىُّ الأمر خير * أما تَهْوِينَ أم ما تَكرهينا (١)

وقال بعض المحدثين

قبّـح الله آل برمـك إنى * صرت من أجلهم أخا أسـفار
إن يكن ذو القرنين قدمَسَحَ الأر * ض فإنى موكّل بالعِيَـار]

التفـــويز (٢)

حدّثنى أبى، أحسبه عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال : لمـا كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسـير إلى الشأم واليا مكان أبى عبيدة بن الجرَّاح (٣)، أخذ على السَّماوة حتى انتهى إلى قُرَاقِر، وبين قراقر وسُوَى خمس ليال فى مفازة، فلم يعرف الطريق ، فدُلّ على رافع بن عَميرة الطائى وكان دليـلا خِرِّيتًا فقال لخالد : خلِّف الأثقال وآسلك هذه المفازة إن كنت فاعلا، فكره خالد أن يخلّف أحدا وقال: لا بد من أن نكون جميعا . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفســه وما يسلكها إلا مغرر مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال: لا بد من ذلك. فقال الطائى لخالد : ابْغِنى عشرين جَزُورا مَسَانَّ عِظَاما ففعل فظمَّأهن ثم ســقاهن حتى رَوِينَ ثم قطع مَشَافِرهنّ وكَعَمَهنّ لئلا تَجْترّ، ثم قال لخالد : سِرْ بالخيـول والأثقال فكلمـا نزلت منزلا نحرت من تلك الجُزُر أربعـا ثم أخذت ما فى بطونها من المـاء فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزوّدوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة فى النسخة الألمـانية .

(٢) يقال فوّز الرجلُ بإبله اذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمـانية وفى النسخة الفتوغرافية أبى عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ اذ اسم أبى عبيدة عامر ابن عبد الله بن الجراح الفهرى فلعله من سهو النساخ .

وجَهِد الناسُ وعطِشتْ دوابّهم، فقال له خالد : ويحك، ما عندك؟ قال : أدركت الرىّ إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرة عَوْسَج على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها فقال : احْفِروا فى أصلها فحَفَروا فوجدوا عينا فشربوا منها وتزوّدوا، فقال رافع : والله ماوردتُ هذا الماء قطُّ إلا مرة واحدة مع أبى وأنا غلام. فقال راجز المسلمين فى ذلك

لله درُّ رافع أنَّى اهتدى * فَوَّز من قُرَاقِر إلى سُوَى
أرضا إذا سار بها الجيش بَكَى * ماسارها قبلك من إنس أَرَى(١)

قال ولما مرّ خالد بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جَفْنة وأحدهم يتغنّى

ألا علِّلانى قبل جيش أبى بكر * لعلّ منايانا قريبٌ وما ندرى
ألا علِّلانى بالزُّجاج وكرِّرا * علىّ كُمَيت اللون صافيةً تجرى
أظن خيول المسلمين وخالدا * سيَطْرُقكم قبل الصباح من البِشْر
فهل لكمُ فى السير قبل قتالهم * وقبل خروج المُعْصِرات من الخدر

فما هو إلا أن فرغ من قوله شدّ عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب عنقه فإذا رأسه فى الجفنة، ثم أقبل على أهل البِشْر فقَتل منهم وأصاب من أموالهم.

ابن الكلبى قال: أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فأضلُّوا الطريق ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء فجعل الرجل منهم يَسْتَذْرِى بفىء السَّمُر والطَّلْح يأسا من الحياة، فبينا هم كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس

لمّا رأتْ أن الشَّريعة همُّها * وأن البياض من فَرَائصها دَامِى
تيمّمتِ العينَ التى عند ضارجٍ * يفىء عليها الظّل عَرْمَضُها طَامِى

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «أدى» بالدال ولعله "أَوَى" بمعنى عاد ورجع.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب، هذا ضارِج عندكم، وأشار اليه، بجثوا على الرُّكب فإذا ماءٌ غَدَق وإذا عليه العَرْمض والظلّ يفىء عليه فشربوا منه ريَّهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا الماء، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس قال : «ذاك رجل مذكور فى الدنيا شريف فيها مَنسىّ فى الآخرة خامل فيها، يجىء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار» .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله[(1)] بن قُرَيب عن عمه الأصمعى عن رجل من بنى سليم أن رُفقة ماتت من العطش بالشَّجِى، فقال الحجاج : إنى أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجَهْد فاحْفِروا فى مكانهم الذى ماتوا فيه لعل الله يسقى الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

تراءت له بين اللِّوى وعُنَيزةٍ * وبين الشَّجِى مما أحال على الوادى

والله ما تراءت له إلا وهى على ماء . فأمر الحجاج عضيدة[(2)] السلمى أن يحفر بالشجى بئرا فحفر فأنْبَط، ويقال : إنه لم يمت قوم قطّ عطشا إلا وهم على ماء .

قالت العرب «أن تَرِدَ الماء بماء أكْيَس» . ويقال فى مثل : «بَرْدُ غَداةٍ غَرّ عبدا مِن ظَمأ» .

فى الطيرة والفأل

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : هَرَب بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفَوَان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول

لن يُسبق اللهُ على حمار * ولا على ذى مَنْعَةٍ مَطَّار
أو يأتىَ الحَتْفُ على مقدار * قد يصبح اللهُ أمامَ السَّارى

(١) فى الألمانية عبيد الله وهو تحريف .

(٢) هكذا فى النسختين الألمانية والفتوغرافية، وفى معجم البلدان : «عبيدة السلمى» .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطِّيَرة ويَعيبها أشدّ العيب وقال : فَرَقَتْ لنا ناقةٌ وأنا بالطَّف فركبت فى إثرها فلقينى هانئ بن عتبة(١) من بنى وائل يركُض وهو يقول

* والشرُّ يَلْقَى مَطَالِعَ الأَكَمِ *

ثم لقينى رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد

ولئن بعثتَ لهم بُغَا * ةً ما البُغَاة بواجدينا

ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع فى صغره فى نار فأحرقتْه فقبُح وجهه وفسد، فقلت له : هل ذكرت من ناقةٍ فارِقٍ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نُتِجت ومعها ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطَّلْق ، وسحابة فارق : قد دنا هراقة مائها . قال المرقِّش(٢)

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واقٍ(٣) وحاتِم
فإذا الأشائمُ كالأيا * من والأيامنُ كالأشائِم
وكذاك لا خير ولا * شرٌّ على أحد بدائم

[وقال آخر(٤)

وليس بهيّاب إذا شدّ رحلَه * يقول عدانى اليومَ واقٍ وحاتِمُ
ولكنه يمضى على ذاك مُقدِما * إذا صدّ عن تلك الهَنَاتِ الخُثَارِمُ(٥)]

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «عبيد» . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المرقم» وهو تحريف وقد أورد فى اللسان هذه الأبيات ونسبها للرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواقى : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تتشاءم بهما . (٤) زيادة فى النسخة الألمانية . (٥) فى الأصل «الخشارم» وهو تحريف والخثارم كعلابط : الرجل المتطير . وقد أورد فى لسان العرب هذه الأبيات ونسبها الى خُثَيم بن عدى وقيل للرقّاص الكلبى يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن برى . أنظر اللسان مادة «وق ى» .

وقال آخر

تَعَـلَّمْ أنه لا طـير إلا * على متطـيِّر وهو الثُّبور
بَلَى،شيءٌ يوافق بعضَ شيء * أحايينـا و باطلُه كـثير

حدّثنى الرياشى عن الأصمعى قال: سألت ابن عَوْن(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضا فتسمع: يا سالم، أو باغيا فتسمع: يا واجد. وفى الحـديث المرفوع «أَصْدَقُ الطِّيَرَة الفأل». وفيه «الطِّيَرُ تجرى بقدَر»

أراد أبو العالية(٢) أن يخرج من البصرة لعلّة كانت(٣) به فسمع مناديا ينادى: يامتوكل، فحطّ رحلَه وأقام.

وقال عكرمة كنّا جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال(٤) كعب لابن عباس: ما تقول فى الطِّيَرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات فى كتاب الله المنزل. يعنى التوراة].

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعِىّ(٥) قال حدّثنى عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبى(٦) حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشـة رضى الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفى الألمـانية «عون بن عبـد الله» ولم نعثر فى كتب التراجم على من تسمّى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذا مات بين سنة عشر ومائة الى عشرين ومائة هـ فلا تصح رواية الأصمعى عنه لأنه ولد سـنة ١٢٢ فلعل ما فى الفتوغرافية هو الصواب و يكون المراد به عبد الله بن عون بن أرطبان البصرى فقـد توفى هذا فى سـنة ١٥١ أى والأصمعى فى السن التى يتلق فيها عن مشايخه. (٢) فى النسخة الألمـانية «أبو العتاهية». (٣) فى الألمـانية «لقينة كانت بها» وهو غير متناسب مع السياق. (٤) زيادة فى النسخة الألمـانية. (٥) كذا بالنسخة الألمـانية من غير ضبط. وفى الفتوغرافية «القطيعى» بضم أوّله وفتح ثانيه بعدهما ياء مثناة والصواب أنه «القطعى» بضم أوّله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه فى تقريب التهذيب ولعله نسبه الى قطيعة — بجهينة — بن عبس ابن بغيض وهو أبو حى كما فى القاموس وقد ذكر صاحب تهـذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو هنا يروى عنه. (٦) فى الألمـانية «ابن حسان» وهو تحريف.

يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطِّيَرة فى المرأة والدار والدابة فطارت شَفَقًا ثم قالت : كذب، والذى أنزل الفرقان على أبى القاسم، مَن حدّث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة فى الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله[1] بن زياد صوّر فى دهليزه كلبا وأسدا وكبشا وقال: كلب نابح وكبش ناطح وأسد كالح . وأنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ

يا أيّها المُضمِر همًّا لا تُهَمّْ * إنك إن تُقدَر لك الحُمّى تُحَمّْ
ولو علوتَ شاهقا من العلَم * كيف تَوَقِّيك وقد جفّ القلم

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن عَدِىّ الكندىّ فى ثلاثة عشر رجلا معه قال حُجْر: دعونى أصلِّ ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطوّل فقيل له : أجَزِعت؟ فقال : ما توضأت قطُّ إلا صليت، ولا صليت قط صلاة أخفّ منها . و إن أجزَعْ فقد رأيت سيفا مشهورا وكَفَنا منشورا وقبرا محفورا . فقيل له : مُدّ عُنقَك، فقال : إن ذلك لدمٌ ما كنت لأُعين عليه . فقدّم فضربتْ عنقُه . وكان معاوية بعث رجلا يقال له هُدْبة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خَثْعم فقال : إن صدقت الطِّيرة قُتل نصفنا، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

خرج كُثَيِّر عَزَّة الى مصر يريد عزة، فلقيه أعرابىّ من نهد فقال : يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال: أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت فى وجهك شيئا؟ قال : لا،

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «عبيد الله» وهما من أولاد زياد بن أبيه كما فى المعارف لابن قتيبة، ولا ندرى أيهما صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف ريشه . فقال له : تُوافى مصر .وقد ماتت عزة . فانتهره كثير ثم مضى فوافى مصرَ والناس ينصرفون عن جنازة عزة، فقال

فما أعيف النَّهْدىَّ لا دَرّ دَرُّه * وأزجرَه للطير لا عزّ ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتّف أعلى ريشـه ويُطايره
فأما غُراب فاغتراب ووحشة * وبَانٌ فبيْنٌ من حبيب تعاشره

وهوِى بعد عزةّ امرأة من قومه يقال لها : أمّ الحويرث . فخطبها فأبت وقالت : لا مال لك، ولكن آخرج فأطلبْ فإنى حابسة نفسى عليك . فخرج يريد بعض بنى مخزوم، فبينا هو يســير عنّ له ظبى فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب على وجهه فكرهه وتطيّر منه، فانتهى الى بطن من الأزد يقال لهم بنو لِهْب، فقال : أفيكم زاجر؟ قالوا : نعم، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقصّ عليه القصة، فقال: قد ماتت أو خَلَف عليها رجل من بنى عمها. فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال

تيممت لِهْبـا أطلب العلم عندهم * وقد رُدّ علم العائفين الى لهب
فقال[1] جرى الطير السَّنيح ببَيْنهـا * فدونك فاهمِلْ جِدَّ مُنْهمِرٍ سَكِب
فإلّا تكن ماتت فقـد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعب

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوىّ قال حدّثنى خالد بن يزيد الصَّفَّار قال حدّثنـا هَمّام بن يحيى عن قَتَادة عن حَضْرَمِىّ بن لاحِق أو عن أبى سَلَمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى أمرائه : « اذا أبردتم الىّ بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .

[[2]خرج عمر الى حَرَّة وَاقِم فلقى رجلا من جُهَينة فقال له : ما آسمك ؟ قال : شهاب . قال : ابن من؟ قال : ابن جَمْرة . قال : وممن أنت؟ قال : من الحُرْقة.

---

(١) كذا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان يتصل بهما المعنى وهما .

فيممت شـيخا منهـم ذا أمانة * بصـيرا بزجر الطـير منحنى الصلب
فقلت له ماذا ترى فى ســوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب

(٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضِرَام . فقــال له عمر : أدرك أهــلك وما اراك تدركهم إلا وقد احترقوا، فأتاهم وقد أحاطت النــار بهم] .

خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو فى طريقه بنعامات خمس، فقال لأصحابه : قولوا فى هــذه . فقال بشر بن حسان : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : «لا عدوى ولا طِيرَة» ومن علم شيئا فليقله ولكنى أقول : فتنة خمس سنين.

قرأت فى كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفّوا قال وهرز لغلام له : أخرج الىّ من الجُعْبة نُشَّابة وكان الأُسوار(١) يكتب على كل نُشّابة فى جعبته ، فمنها ما يَكتب عليه اسمَ الملك، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه(٢)، ومنها ما يكتب عليه اسم آمرأته. فأدخل العبد يده فأخرج له نشابة عليهــا اسم امرأته فتطيّر وقال : أنت المرأة وعليــك طائر السوء . رُدّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النشابة بعينها ففكر وهرزُ فى طائره ثم آنتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء. ثم قال : زن آن، فاذا ترجمتُها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها فى كبد قوسه ثم قال : صفوا لى ملكهم، فوصفوه بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مَغَط فى قوسه حتى اذا ملأَّها سَرّحها فأقبلتْ كأنها رِشَاء منقطع حتى فَضَّت(٣) الياقوتةَ فطار فُضَاضها ثم فلقتْ هامتَه وهُزِم القوم. وقال المَعْلُوط

تَنادَى الطائران ببَيْن سَــلْمى * على غصنين من غَرْب و بان
فكان البان أن بانت سليمى * وفى الغَرب اغتراب غير دانى

أخذ معناها أبو الشِّيص فقال

أشاقك والليــل مُلق الجِرَان * غراب ينوح على غصن بان
أحَصُّ الجناح شديد الصياح * يبكّى بعينيــن ما تَذْرِفان
وفى نَعَبات الغراب اغتراب * وفى البــان بَيْنٌ بعيد التدانى

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) فى الفتوغرافية « أبيه » .
(٣) فى الفتوغرافية : « حتى صَلّت الياقوتةُ فطارت فُضاضاً » .

وقال الطائىّ

أتضعضعتْ عَبَراتُ عينك أن دعتْ * ورقاءُ حين تضـعضع الإظـلام
لا تَنْشِجنّ لهـا فان بكاءها * ضحـك وإن بكاءك اســتغرام
هنّ الحَمام فان كسرت عِيَافةً * من حائهنّ فانهنّ حِمَام

حدّثنى أحمد بن الخليـل قال حدّثنى موسى بن مسعود عن عِكْرِمة بن عمّار عن إسحق بن عبدالله بن أبى طَلْحة عن أَنَس بن مالك قال: جاء رجل منا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرتْ فيها أموالنا ثم تحوّلنا منهـا الى أخرى فقلّت فيها أموالنا وقلّ فيها عددنا فقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم « ذروها وهى ذميمة » .

بلغنى عن ابن كُنَاسـة عن مبارك بن سعيد أخى سفيان الثَّوْرىّ قال : بلغنا أن أعرابيا أضاع ذَوْدا له فخرج فى الطلب حتى أدركه العطش، فمرّ بأعرابى يحتلب ناقة فنَشَده ضالَّتَه فقال له : متى خرجت فى الطلب؟ ادن منى حتى أسقيك لبنا وأرشدك . قال : قبل طلوع الفجر . قال : فما سمعتَ؟ قال : عواطيس حولى : ثُغَاء الشَّاءِ ورُغَاء البعير ونُبَاح الكلب وصياح الصبىّ . قال: عواطِيس تنهاك عن الغدوّ . قال: فلما طلع الفجر عَرَض لى ذئبٌ . قال : كَسُوبٌ ذو ظفَر . قال : فلمـا طلعت الشمس لقيتُ نعامةً . قال : ذات ريش واسمها حسن ، هل تركتَ فى أهلك مريضا؟ قال : نعم . قال : ارجع فانك ستجد ضالتك فى منزلك .

حدّثنى عبد الرحمن عن حَفْص بن عمر الحَبَطىّ قال حدّثنا أبو زُرْعة يحيى بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ(١) عن يُبَيع عن كَعْب قال : كانت الشجرة تنبت فى محراب سليمان النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمه بلسانٍ ذَلِق فتقول : أنا شجرة كذا وفىّ دواء كذا . فيأمر بها سليمان فيُكتب اسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع فى الخزائن حتى كان

(١) فى الأصل «الشيبانى» بالشين المعجمة وهو تحريف والتصويب والضبط عن تقريب التهذيب .

آخر ما جاء منها الخرّوبة فقالت: أنا الخرّوبة . فقال سليمان : الآن نُعيتْ الىّ نفسى وأُذن فى خراب بيت المقدس . قال الطائىّ يصف عَمُّورِيّة

بكرٌ فما افترعتْها كفُّ حادثة * ولا ترقّت اليها همّة النُّوب
جرى لها الفأل بَرْحا يوم أَنْقِرة * اذ غُودِرت وَحْشةَ الساحات والرَّحَب
لمّا رأت أختَها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أَعدَى من الجَرَب

مذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها

قرأت فى الآيين : كانت العجم تقول : اذا تحوّلت السِّباع والطير الجبلية عن أماكنها ومواضعها دلّت بذلك على أن المَشْتَى سيشتدّ ويتفاقم . واذا نقلت الجُرذان بُرًّا وشعيرا أو طعاما الى ربّ بيت رُزق الزيادة فى ماله وولده، وإن هى قرَضت ثيابه دلّت بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغى أن يُقطع ذلك القَرْض ويُصلح . وإذا شبّت النار شبوبا كالصَّخَب دلت على فرح شديد، واذا شبت شبوبا كالبكاء دلت على حزن، وأما النار التى تشتعل فى أسفل القُدور فانها تدل على أمطار تكثر أو ضيف يحضُر . وإذا فشا المَوت فى البقر وقع المُوتانُ فى البشر، وإذا فشا الموت فى الخنازير عمّ الناسَ السلامةُ والعافية، وإذا فشا الموت فى السباع والوحوش أصاب الناس ضَيْقة ، وإذا فشا الموت فى الجرذان أَخْصب الناسُ . وإذا أكثرت الضفادع النَّقيق دلت على موتان يكون . واذا أَنّ ديك فى دار فشا فيها مرض الرجال ، واذا أَنّتْ دجاجة فشا فيها مرض النساء، واذا صرخت ديوك صُراخا كالبكاء فشا الموت فى النساء، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت فى الرجال . واذا نَعب غراب أسود فجاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يعمر . واذا قوّقت دجاجة وجاوبها غراب دل على عُمران يخرَب . وإذا غطّ الرجل الحسيب فى نومه بلغ سَنًّا ورفعة، ومن نفخ فى نومه أُفسد ماله، ومن صَرّتْ أسنانُه فى نومه دل ذلك منه على نميمة،

وينبغى أن يُضرب على فيه بخُفٍّ متخرِّق . ومن سقطت قدّامَه حية من جُحرأصابته معرّة ومضرة . واذا رئى فى الهواء دُخْنة وظلمة من غيرعلة تُخوِّف على الناس الوباء والمرض . واذا رئى فى آفاق السماء فى ليلة مصحية كاختلاف النيران غَشِى البلاد التى رئى ذلك فيها عدوّ ، فان رئى ذلك وفى البلاد عدوّ انكشف عنها . واذا نبح كلب بعد هَدْأَةٍ نبحة بغتة دل على أن السُّرَّاق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما فى تلك الدار أوما جاورها . واذا صفّق ديك بجناحيــه ولم يصرخ دل على أن الخــير محتبس عن صاحبه . واذا أكثرالبوم الصراخ فى دار برئ مريض إن كان فيهــا . وإذا سُمع لبيت تنقُّض تَخَصَ من فيه عنه ، واذا عوت ذئاب من جبال وجاوبتها كلاب من قرى تفاقم الأمر فى التحارُب وسفك الدماء . واذا عوت كلاب وجاوبتها ذئاب كان وباء ومُوتان جارف ، واذا أكثرت الكلاب فى البَغَتات الهريرَ دلت بذلك على إتيان العدوّ البلادَ التى هى فيها ، واذا صرخ ديك فى دار قبل وقت صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بَليّة قدشارفت تلك الدارَ ، واذا صرخت دجاجة فى دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . واذا أكثر ديك النَّزَوان على تُكَأَة رب الدار نال شرفا ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله خمول وضــعة . واذا ذَرَق ديك على فراشــه نال مالا رغيبا وخيرا كثيرا وذلك اذا كان من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فان ذرقت دجاجة على فراشــه نالت زوجته منــه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغى مباعدته . وينبغى أن يُعرف كُنْه من كان مِنْطيقا لعــلّه لا يجيد العــمل ، وحال من كان سِكِّيتا مترمِّتا لعــله بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخَلْق فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزَّمِن والكريه الاسم والجارية

البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقَرَان والحيوان المُوثق والدابّة المَقُودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبُّون الصحيح البدن الرضيّ الاسم والمرأة الوسيمة الثيّب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حُمُولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُنَحُّون عن سمع الملك ألحان المغنيات ونَقِيض الصوارى وصهيل الخيل والبَرَاذين ويتخذون فى مبيته ديكا ودجاجة . واذا أهديت له خيل سُنِح بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبرَح بها من يمينه الى يساره .

باب فى الخيل

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن شَبيب بن غَرْقَدَة [عن عُرْوَة][(1)] البارقى قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : «الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى أَشهل بن حاتم قال حدّثنى موسى بن على بن رَبَاح اللَّخمى عن أبيه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أريد أن أُعِدّ فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فاشترِه اذًا أدهَم أو كُميتا أَقْرح أَرْثَم أو محجّلا مُطْلَق اليمين» وفى حديث آخر « فانها مَيَامين الخيل ثم اَغزُ تسلمْ وتغنم إن شاء الله » .

حدّثنى سهل بن محمد قال أخبرنى أبو عبيدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بإناث الخيل فان ظهورها حِرْز وبطونها كنز» قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستحبّ من الدواب الشُّقْر ويقول : « لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد

(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق – وهو كما قال السمعانى جبل ينزله الأزد فيما أظن ببلاد اليمن – عروة بن الجعد بن أبى الجعد البارقى الصحابى .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىُّ المـال خير . قال «سكة مأبُورة» يعنى النخلَ «ومُهْرة مأمورة» يريد كثيرة النتاج . قال : وكان يكره الشِّكَال[1] فى الخيل . [قال[2] أبوذر : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لابن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحبَّ اليـه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدى مطر بن درّاج : أىُّ الخيل أفضـل؟ قال : الذى اذا استقبلتَه قلتَ نافر ، واذا اسـتعرضته قلت زافر[3] ، واذا اسـتدبرته قلت زاجر[4] . قال : فأىّ البراذين شر؟ قال : الغليظ الرقَبة الكثير الجلَبَة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى . قال : فأىّ البراذين خير؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عنانه .

[وصف رجل برذونا فقال : ان تركته نَعَس وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى اذا استقبلتَه أَقْعى وإذا استدبرته جبَّى[5] وإذا استعرضته استوى وإذا مشى رَدَى واذا عدا دحا .

محمد بن سـلّام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابنَ عمّ له الى الشأم ومصر يشترى له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألست صاحب قَنْص؟ قال : بلَى . قال :

---

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معـنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزُّفْرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفار جنبيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسختين وفى العقد الفريد « زاخر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيته عظيم الكفل ممتلئه وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جبَّى : انكب على وجهه وقد أورده فى الأمالى « بَجَنَأ » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يرجُم الأرض رجما بين المشي الشديد والعدْو . والدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظر، كلُّ شيء تستحسنه فى الكلب فاطلبه فى الفرس . فقدم بخيل لم يك فى العرب مثلها . وقالوا : سُمّيت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابى فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جارى بشيطان فى أَشْطان[١] فلما أُرْسلت لَمَع لمعة سحاب فكان أقربَها اليه الذى تقع عينه عليه .

وسئل رجل من بنى أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المُبِرَّ من المُبْطِئ المُقْرِف . أما الجواد المبِر فالذى لُهِزَ[٢] لَهْزَ العَيْر وأُنِّفَ تأنيفَ[٣] السَّيْر، الذى اذا عدا ٱسلهب[٤] واذا قِيِّد ٱجلَعَبّ واذا انتصب ٱتَلأَبّ . وأما المبطى المقرف فالمدلوك[٥] الحَجَبَة الضخم الأرْنبة[٦] الغليظ الرقبة [الكثير الجلبة][٧] الذى إن أرسلَته قال : أمسكنى وإن أمسكته قال : أرسلنى وأنشد الرياشى

كمُهْرِ سوء اذا سكّنتَ شِرّته * رام الجِماحَ فان رفّعتَه سكنا

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك فى العِتاق والهُجُن، فدعا سَلْمان بن ربيعة الباهلى فأخبره، فأمر سلمان بطَسْت فيه ماء فوُضع فى الأرض ثم قُدّمت الخيل اليه فرسا فرسا فما ثَنَى منها سُنْبُكَه فشرب هجّنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه عرّبه . وذلك لأن

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفى الفتوغرافيــة هكذا (جاو الشيطان) الخ وفى لسان العرب : ووصف أعرابى فرسا لا يحفى فقال كأنه شيطان فى أشطان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جاء كأنه شيطان فى أشطان» فحرفها الناسخ كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفى القاموس : الملهوز المضبَّر الخَلْق والتضبير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشى ويوافقه ما فى اللسان ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفى الألمانية والعقد الفريد "نَهَزَ نَهْزَ العير" . وفى اللسان نهزت الدابّةُ اذا نهضت بصدرها للسير، ولعل معناه أنه يندفع فى السير كاندفاع العير الوحشى .

(٣) فى اللسان : واذا أنف يأتنف السير وهو تحريف دفع اليه توهم أن السير هنا بمعنى المشى لأن المؤنَّف هو المحدّد من كل شىء ومنه سير (جلد) مؤنَّف أى مقدود على قدر واستواء والمراد أنه قُدَّ حتى استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) اسلهب : مضى . وٱجلعبّ : امتدّ على الأرض . واتلأبّ : استوى .

(٥) حجبة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه ، ومدلوكها الذى ليس لحجبته اشراف فهى ملساء مستوية . (٦) الأرنبة الأنف . (٧) فى الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

فى أعناق الهُجُن قصرا فهى لا تنال المـاء على تلك الحال حتى تثنى سنابكها وأعناق العتاق طوال .

وحدّثنى أبو حاتم قال حدّثنـا الأصمعىّ قال : ذكروا أنـ كسرى كان اذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشتكى حافرَه، قال : المطبخ . واذا قال : يشتكى ظهــره، قال : البَيْطار .

وأنشدنى أبو حاتم لأبى ميمون العِجْلىّ وهو النضر بن سلمة فى شعر طويل له يصف الفرس، وقال قرأته على أبى عبيدة وعلى الأصمعىّ

الخيــلُ منّى أهلُ ما أن يُدنَيْنْ * وأن يُقــرَّبْنَ وأن لا يُقْصَيْنْ
وأن يُبَـأْبَأْنَ(١) وأنـ يُفــدَّيْنْ * وأن يكون المحضُ ممـا يُسْقَيْن
وأهــل أن يُعْلَيْنَ أو يُغَالَيْنْ * بالطِّرْف والتّــلْد وأن لا يُخْفَيْنْ
وأهــلُ ما حبنـا أن يُقْفَيْنْ(٢) * وأهــل ما أعقبننا أن يُحْــزَيْنْ
أليس عزّ النـاسِ فيما أَبْلَيْنْ * والحسب الزاكى اذا ما يُقْنَيْنْ
والأجر والزَّيْن اذا رِيمَ الزَّين * كم من كريم جدّه قــد أَعْلَيْن
وكم طريدٍ خائفٍ قــد أَنْجَــيْن * ومن فقــير عائــل قد أَغْنَيْنْ
وكم برأس فى لبــان أجْرَيْنْ * وجســـدٍ للعـافياتِ أَعْرَيْنْ
وأهلِ حصنٍ ذى امتناع أَرْدَيْنْ * وكم لها فى الغُنْم من ذى سهمين
يكون فيما اقتســموا كالرَّجْلين * وكم وكم أَنْكَحْنَ من ذى طِمْرَيْنْ
بغير مهــر عاجل ولا ديـن * والخيل والخــيرات فى قرينين
لا تشتكينَ عمــلا ما أَنْقَيْنــ * ما دام مُخٌّ فى سُـلَامَى أو عين
* ما بلّل الصوفةَ(٣) ماءُ البحرين *

(١) يقال لها بأبى أنت، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤْثَرْنَ . (٣) فى اللسان : وصوف البحر شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى واحدته صوفة وفى الأبديات : لا آتيك ما بلّ بحر صوفة .

وأنشدنى أبو حاتم عن أبى عبيدة . قال : وقال لى أبو عبيدة لا أعرف قائل هذا الشعر وعروضه لا يخرّج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخُزَاعى

ذاك وقد أذعر الوحوشا * بصَلْتِ الخدّ رَحْبٍ لَبَانُهُ مُجْفَرْ (١)
طويلُ خمسٍ قصيرِ أربعة * عريض (٢) ست (٣) مقلَّص (٤) حشْورِ (٥)
حَدّتْ له تسعةٌ (٦) وقد عريت * تسع (٧) ففيه لمن رأى منظر
ثم له تسعةٌ كُسِينَ (٨) وقد * أَرْحَبَ منه اللَّبَانَ والمَنْخَرْ
بعيد عشر وقد قُرِنَّ له * عشر (٩) وخمس طالت ولم تقصر

(١) اللَّبَان الصدر ومجفر بفتح الفاء واسع الجُفْرة وهى من الفرس وسطه .

(٢) تعرض أبو صفوان الأسدى فى قصيدة له الى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفسرها ابن الاعرابى بالعنق ووظيفى الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو على القالى : وتفسيره غير موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل عن أبى العباس أن هذا غلط من الشاعر ثم ذكر أن الذى يستحب طوله فى القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثُّنَن وهى الشعر الذى فى مؤخر الرسغ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها العنق جاز وصح قوله .

(٣) عدها صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابى فى تفسيرها هى أربعة : أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . (٤) عدت فى القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابى فى تفسيرها هى الفخذان والوركان والأوظفة . (٥) حَشْوَر : منتفخ الجنبين .

(٦) ذكرت فى تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابى : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه . كذا فى أمالى أبى على القالى ولم يذكر الثامن .

(٧) عدت فى تلك القصيدة سبعة . قال ابن الاعرابى السبعة العارية : خدّاه وجبهته والوجه كله وقوائمه فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .

(٨) عدت فى تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابى السبع المكسوة : الفخذان وحامياه . ووركاه وحصيرا جنبيه ونَهْدتاه وهما فى الصدر . وغير ابن الاعرابى يقول فَهْدتاه بالفاء . قال أبو على القالى والصحيح فهدتاه وهما اللحمتان اللتان فى الزَّوْر كالفَهْدين .

(٩) عد فى تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الاعرابى السبع التى قربت يريد بها سبع خصال صالحة قرن منه وسبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .

(راجع قصيدة أبى صفوان الأسدى وشرحها فى الأمالى من صفحة ٢٤٠ – ٢٥٣) .

نُقْفيه بالمَحْض دون وِلْدَتنـا * وعُضّـه[(١)] فى آرِيه[(٢)] ينْـثر
نَضْـبَحُه تارة ونَغبُقُــه * ألبانَ كُوم رَوائمٍ أظْؤُر
حتى شَتَـا بادنًا يقـال ألا * يطوون من بُدْنه وقد أُضْمِر[(٣)]
مُوثَّق الخَلْق جُرْشُعٌ[(٤)] عَتَـد * مُنضَرجُ الحُضْر حين يُستحضَر
حَاظِى الحَمـاتين[(٥)] لَحْمه زِيَمٌ * نَهْدٌ شـديد الصِّفَاق والأَبْهَر
رقيق خمس غليظ أربعــة * نائى المَعَـدّين[(٦)] لَيّن الأَشْـعَر

وقد فسرت هذا الشـعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى فى خلق الفـرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضَّبّيين فى وصف فرس

متقاذفٌ عبلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا * سـبّاق أندية الجِيـاد عَمَيْثَل[(٧)]
واذا تُعُلِّلَ بالسِّـياط جيادُها * أعطـاك نائـلَه ولم يتعلّل[(٨)]

قيل لمـا وضعت حرب صِفِّين أوزارها قال عمرو بن العاص

شبّت الحربُ فأعددتُ لها * مُفْرَعَ الحَارِك مروىَّ الثَّبَج[(٩)]

(١) العُضّ : العجين تُعلفه الابل ، والقت ، والشعير والحنطة لا يشركهما شىء . (٢) الآرىّ : الآخِيَّة وهى محبس الدابة . (٣) يقال ضمر الخيل تضميرا : علفها القوت بعد السمن كأضمرها . قاموس .

(٤) الجرشع كقنفذ : العظيم الصـدر المنتفخ الجنبين . ومنضرج الحضر : شديد العدو . (٥) هكذا فى النسخة الألمـانية والفتوغرافيـة وذكر فى أسفل النسخة الألمـانية أن فى بعض النسخ خاطى . وكلاهما غير مناسب للمعنى ولعـله خاظى بالخاء والظاء المعجمتين فان الحمـاتين من الفرس اللحمتان المجتمعتان فى ظاهر الساقين من أعاليهما والخاظى كما فى لسان العرب المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب . ولحمه زيم : مكتنز . والصفاق فسره الأصمعى فى كتاب الفرس كما فى لسان العرب الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر والأبهر : عرق فى الظهر . (٦) المعدان : موضع دفتى السرج . والأشعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد .

(٧) متقاذف ، سريع . وعبل الشوى : غليظ القوائم . والنسا : عرق من الورك الى الكعب . وشنج النسا متقبضه وهو مدح للفرس لأنه اذا شَنِج نَسَاه لم تسترخ رجلاه . والعميثل النشيط . (٨) فى الفتوغرافية وما يتعلل وهذا إنما يصح اذا كانت القافيــة مرفوعة . على انه فى العقد الفريد أورد هـــذا الشعر على نحو ما فى الصلب . (٩) الحارك أعلى الكاهل والثبج ما بين الكاهل الى الظهر .

جُرْشُعًا أعظمه جُفْــرَتُه * فاذا ابتــلّ من المــاء حَرِجْ
يصـــل الشَّد بشــدٍّ فاذا * ونت الخيلُ من الشدّ معجْ(١)

ووجدت فى كتاب من كتب الروم أن من علامة فَرَاهة المهر الحولى صغر رأسه وشدّة سواد عينيه وأن يكون مُحَدَّد الأذنين أجْرد باطنها كثيف العُرْف، فى عرفه ميل من قِبَل يمين راكبه عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكتنِزَ الجنبين طويل الذنَب عريض الكَفَل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة فراهة المهر ألا يكون نَفُورا [ولا يقفُ عند دابة إلا مع أمّه] واذا دفع الى عين أو نهر ماء لم يقف لتجاوزَه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يسلم الله به الخيــلَ من العين وأشباه ذلك أن يُجْعَل فى أعناقها خرزة من قرون الأيايل(٢) .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن سفيان عن حُصَين بن عبدالرحمن عن هلال بن إِسَاف وعن سُحَيم بن نَوْفل قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية الى سيّدها فقالت : ما يُجلِسك؟ قم فأبتغ لنا راقيا فإن فلانا لَقَعَ(٣) مهرك بعينه فتركتْه يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبتغ راقيا ولكن اذهب فَٱنفُث فى مَنْخره الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا باس لا باس أذهِب الباس رب النّاس وٱشف أنت الشافى لا يكشف الضراءَ إلا أنت . قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذى أمرتنى به فبال وراث وأكل .

حدّثنى أبو حاتم عن أبى عبيدة أنه قال : اذا كان الفرس صَلُودا لا يعرق سقيتَه ماء قد دُفْتَ فيه خَمِيرة أو علفته ضِغْثا من هِنْدِبَاء فان ذلك يُكثر عرقه، فان حَمِرَ(٤) أدخلتَه

(١) فى الفتوغرافية «فاذا ونت الخيل من الثَّج» . والشدّ : العدو . ومعج كمنع : أسرع . (٢) الأيايل جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفرح : سنق (تخم) من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اهـ قاموس .

الحَمَّام وأَشَمَّه عَذِرَةً . فقلت لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرني به جلّ الهنديّ وكان بصيرا . قال : فان أصابته مَغْلَةٌ وهي وجع البطن من أكل التراب أُخذ له شيء من بُورَقٍ فدقّ ونُخِل فجعل في ربع دَوْرَق من خمر فحُقِن به وبُلّ تراب طيّب ببول أتان(١) حتى يصير طينا ثم لُطخ به بطن الدابة . قال : ومما يذهب العَرَن دماغ الأرنب .

وقف الهَيْثم بن مطهَّر على باب الخَيْزُران على ظهر دابته، فبعث اليه الكاتب في دارها : آنزل عن ظهر دابتك فقد جاء في الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابّكم مجالس . فبعث اليه : إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي خِفْتُ ألّا أدركه . فبعث اليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حَبيس إن أنزلتني عنه إن أَقْضَمْتُه شهرا فانظر أيّما خير له، راحةُ ساعة أو جوعُ شهر؟ فقال : هذا شيطان، آتركوه .

باب البغال والحمير

قال مَسْلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العِذَار طويلة العِنَان . وكتب رجل الى وكيله : آبغني بغلة حَصَّاءَ الذنَب طويلة العنق سوطها عِنانُها وهواها أمامُها .

عاتب الفضلَ بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة، فقال له : هذا مركب تَطأطأ عن خُيَلاء الخيل وآرتفع عن ذِلّة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سَيَّارَةَ بأهل المُزْدَلِفة أربعين سنة على حمار لا يعتلّ، فقالت العرب : «أصح من عَيْر أبي سيارة»

قال رجل للفضل الرَّقَاشي وهو جدّ مُعْتَمِر لأمّه : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مَرْفَقا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

---

(١) في الفتوغرافية " انسان " .

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صَريعا وأسهل تصريفا وأخفض مَهْوًى وأقل جِمَاحا وأشهر فَارِهًا وأقل نظيرا ويُزهَى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه . وقال خالد بن صفوان فى وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكُدَاد[1] أَصْحر السِّربال مُحْلَجَ القوائم يحمل الرِّجْلة ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخّاس : اطلب لى حمارا ليس بالكبير المشتَهر ولا القصير المحتقر ولا يُقدِم تقحّما ولا يحجم تبلّدا يتجنب[2] بى الزحام والرِّجَام والإكَام خَفيفَ اللجام اذا ركبتُه هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفتُه شكر، وإن أجعته صبر. فقال له النخاس : إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله. وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانه للسِّفَاد .

جرير بن عبد[3] الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجليك .

باب فى الإبل

الهيثم قال قال ابن عياش[4] : لا تشتر خمسة من خمسة : لا تشتر فرسا من أَسَدىّ ولا جملا من نَهْدىّ ولا عَيْرا من تميمى ولا عبدا من بَجَلى . ونسى الهيثم الخامس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجدود فى هذه الأشياء . قيل لبنى عبس : أىّ الإبل

(١) فحل تنسب اليه الحمر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما فى الفتوغرافية «يخبب» . (٣) فى النسخة الفتوغرافية «عبدالحميد» وهما واردان معا فى كتب التراجم .

(٤) كذا بالفتوغرافية وفى الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم نقف فى ترجمة ابن عباس على ان الهيثم روى عنه، ولعل هيثما هذا هو الهيثم بن خارجة الخراسانى فقد روى عن إسماعيل بن عياش كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى .

أصبر عليكم فى محاربتكم ؟ قال الرُّمْك الجِعَاد . قيل : فأىّ الخيــل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكُمْتَ الحُوَّ . قيل : فأىّ النساء وجدتم أصبر ؟ قالوا : بناتِ العم .

المدائنى قال قال شَبَّة بن عِقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتنى الحج، ومعى ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جُزْته قام بى بعير لى ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتنى فمرّ بى اليمــانى فقال : مررتَ بنا ولم تسلِّم ولم تعرِّض . فقلت : أجل[1] يرحمك الله . قال : أتطيب نفسا عما أرى؟ قلت : نعم . فنزل فأرخى أَنْساع رَحْله ثم قدّمه فكاد يضعه على عنقها ثم شدّه وقال لى : لولا أنك لا تضـبط رأسها لقدّمتك . ثم قال لى : خذ حُرّ متاعك إن لم تطب نفسا به ففعلت، ثم ارتدفتُ فجعلتْ تعوم عوما ثم انسلّت كأنها ثعبان يسيل سيلا كالمــاء فما شعرت حتى أرانى الأعلام وقال : أتسمع؟ فسمعت أصوات الناس فاذا نحن بجَمْع[2]، فقضيت حِجّتى، وكان قال لى : حاجتى اليك ألّا تذكر هذا فان هذه عندى أثر من ولاية العَرُوض يعنى مكة والمدينة، أدرك عليها الثار وهى ثِمَــال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صنعاء فى أقل من غِبّ الحمار فسألته : من أين هى؟ قال : بُجَاوِيّة من هَوَامِى نتَاجِ[بدو][3] بَجِيلة الأولى وهى من المَهَارى التى يذكر الناسُ .

[وكتب[3] سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصبْ لى نَجَائب كِرَاما . فقدم رجل على جمل سُبَاعِيّ عظيم الهامة له خَلْق لم يروْا مثلَه قطّ فساموا، فقال : لا أبيعه . قالوا : لا نَدَعُك ولا نغصِبُك ولكنا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو؟ قال : معكم نجائب كِرَام وخيل سابقة، فدعونى أركب

(١) فى الفتوغرافية "قد كان ذاك رحمك الله". (٢) هى المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .
(٣) زيادة فى النسخة الألمـانية .

جملى وأبعثه وٱتبعونى فان لحقتمونى فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح فى أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فكبا ثم ٱنبعث وٱتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن عَلَما على وَثْبته يقال له : الكفلان] .

أخبار الجبناء

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعى قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا فى ألفين الى مِرْدَاس بن أُدَيَّة وهو فى أربعين فهزمه مرداس فعنّفه ٱبن زياد وأغلظ له فقال : يشتمنى الأمير وأنا حى أَحَبُّ الىّ من أن يدعوَ لى وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بآسَكَ أربعونا
كذبتم ليس ذلكمُ كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة يُنصرونا

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ما ٱلتقتْ فئتان قطّ إلا وكفّ الله بينهما فاذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفّه عليها» . [(١) ورفع معاوية ثُنْدُوَته بيده وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمثلى، فكيف قال النجاشى

ونجّى ٱبنَ حرب سابقٌ ذو عُلَالة * أجشُّ هَزِيمٌ والرماح دَوَانى]

ابن دَأْب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال

شجاع اذا ما أمكنتنىَ فرصة * وإلّا تكن لى فرصة فجبان

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

شهد أبو دُلَامة حربا مع رَوْح بن حاتم فقال له : تقدّم فقاتل . فقال

إنى أعوذ بِرَوْح أن يقدّمنى * الى القتـال فتَخْزَى بى بنو أسد
إن المهلب حبَّ الموت ورّثكم * ولم أُورَّث(١) حبّ الموت عن أحد

أبو المنـذر قال، حدّثنا زيد بن وهب قال، قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبًا لابن النابغة ! يزعم أنى تِلْعَابة أُعَافِس وأُمَارِس ! أما وشرُّ القول أكذبُه، إنه يسأل فيلحِف ويُسأل فيبخل ، فاذا كان عند البأس فانه آمرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذَها من هام القوم ، فاذا كان كذلك كان أكبرُ همّه أن يُبَرْقِطَ ويمنح الناس آستَه . قبّحه الله وترّحه . وقال الفرّار السُّلَمى

وكتيبة لبَّستُها بكتيبة * حتى اذا التبستْ نفضتُ بها يدى
وتركتهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم * من بين منجدِل وآخر مسنَد
ما كان ينفعنى مقال نسائهـم * وقُتِلت دون رجالهم : لا تَبْعُدِ

وقال آخر

أضحت تشجعنى هنـد وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بهـا العَطَب
لا والذى حجت(٢) الأنصـار كعبته * مايشتهى الموتَ عندى من له أرب
للحرب قوم أضـل الله سعيهمُ * اذا دعتْهم الى حَوْبائها(٣) وثبـوا
ولست منهـم ولا أبغى فعالهمُ * لا القتل يعجبنى منها ولا السَّلَب

وقال أيْمن بن خُرَيم

إن للفتنة مَيْطا بيّنـا(٤) * فرُوَيد الميطَ منها يعتـدل

(١) كذا بالنسختين، وفى الأغانى : «وما ورثت اختيار الموت عن أحد» .

(٢) رواه فى العقد الفريد «لا والذى منع الأبصار رؤيته» . (٣) فى النسخة الألمـانية «نيرانها» .

(٤) هكذا فى النسختين الالمـانية والفتوغرافية، وفى العقد الفريد « عاجلا » .

فاذا كان عطاء فأتهمْ * واذا كان قتال فاعتزل
إنما يُسْعرها جُهّالها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كُلْقِي الأعنة من كفّه * وقاد الجيادَ بأذنابها

وقال جِرَان العَوْد فى الدَّهش

يوم ارتحلت برحلى قبل تَوْدعتى * والقلب مستوهِلٌ بالبين مشغول
ثم اعتضضتُ(١) على نِضْوِى لأدفعه * إثر الحُمول الغَوَادِى وهو معقول

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيريّة [من الرافضة] وهو من بَجِيلة(٢) فقال من الدهش : أطعمونى ماء . فذكّره بعضهم فقال

عاد الظلوم ظَلِيما حين جُدّ به * واستطعم الماءَ لما جدّ فى الهرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للُكنة فيه أو لجبن أو دهشة : افتحوا سيوفكم .

وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيرى

و يومَ فتحتَ سيفك من بعيد * أضعتَ وكلُّ أمرك للضياع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أ كان الجبان يرى أنه * سيُقتَل قبل انقضاء الأجلْ
فقد تدرك الحادثاتُ الجبان * ويسلم منها الشجاع البطلْ

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زَحْفا وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رَمْية ثم ها أنا أموت على فراشى حَتْف(٣) أنفى ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفى الفتوغرافية «اعترزت» بالراء المهملة وهو محرف عن «اعترزت» بالزاى المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل فى الغرز وهو الركاب . (٢) فى النسخة الألمانية «وهو مولى لبجيلة» . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفى النسخة الألمانية « أموت على فراشى كما يموت العير » وفى العقد الفريد «ثم هأنذا أموت حتف نفسى كما يموت العير» .

[قيل لأعرابى : ألا تغزو فإن الله قد أنذرك . قال : والله إنى لأبغض الموت على فراشى فكيف أمضى اليه رَكْضا !](١) وقال قِرْوَاش بن حَوْط وذكر رجلين

ضَبُعا مُجَاهَرة وليثا هُدْنة * وثُعَيلبا خَمَر اذا ما أَظْلما

وقال عبد الملك بن مروان فى أمية بن عبد الله بن خالد

إذا صوّت العُصفور طار فؤاده * وليثٌ حديد الناب عند الثرائد

ونحوه قول الآخر(٢)

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسوَّمة تدعو عُبَيدا وأَزْنَما

وقال الله جل وعز (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَّار فى الجبان

رأى فى النوم إنسانا(٣) * فوارَى نفسَه أشهرْ

قال ابن المقفع : الجبن مَقْتلة والحرص مَحْرمة فانظر (فيما رأيت وسمعت)(١) : من قُتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قُتل مدبرا؟ وانظر من يطلب اليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب اليك بالشره والحرص ؟ وقال حَنَش ابن عمرو(٤)

وأنتم سماء يعجب الناس رِزُّها * لها زَجَلٌ باق شديدٌ وَئِيدُها

تقطّع أطنابَ البيوت بحَاصِبٍ * وأكذبُ شىء برقُها ورعودها

فويلمِّها خيلًا تَهَاوى شِرَارُها * اذا لاقت الأعداءَ لولا صدودُها

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) هو العوّام بن شوذب الشيبانى . (٣) هكذا فى النسختين الفتوغرافية والالمانية وفى العقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات فى الحماسة لقراد بن حنش الصاردى وروى البيت الأوّل

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بآبدة تحى شديد وئيدها

والثالث فويلمها خيلا بهاءً وشارة * إذا لاقت الأعداء لولا صدودها

وقال الفرزدق أو البَعيث

سائل سليطًا إذا ما الحرب أفزعها * ما بالُ خيلكمُ قُعْسًا هوَادِيها
لا يرفعون الى داعٍ أعنّتَها * وفى جَواشِنها داء يُجافيها

كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل يقال له عروة بن مَرْثد ويكنى أبا الأغرّ ينزل بنى أخت له فى سكة بنى مَازِن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضِيَاعهم فى شهر رمضان وخرج النساء يصلّينَ فى مسجدهم فلم يبق فى الدار إلا الإماء فدخل كلب يَعْتَسُّ فرأى بيتا فدخله وٱنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا دخل الدار فذهبت إحداهنّ الى أبى الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغى اللص؟ ثم أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا مَلْأمان، أما والله إنك بى لعارف فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن شربتَ حامضا خبيثا حتى اذا دارت القدوح فى رأسك منّتْك نفسك الأمانى وقلت: أطرقُ ديارَ بنى عمرو والرجال خُلُوف والنساء يصلينَ فى مسجدهم فأسرقهم. سَوءةً لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وٱيم الله لتخرجَن أو لأهتِفنّ هَتْفة مشؤومة يلتقى فيها الحيّان عمرو وحَنْظلة وتجىء سَعْدٌ بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلتُ لتكوننّ أشأمَ مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: اخرج بأبى وأمى، أنت مستور، إنى والله ما أراك تعرفنى ولو عرفتنى لقنعت بقولى واطمأننت الىّ. أنا — فديتُك — أبو الأغر النَّهْشلى، وأنا خال القوم وجِلْدة بين أعينهم لا يعصوننى، ولن تضارّ الليلة فاخرج فأنت فى ذمتى وعندى قَوْصَرَّتان أهداهما الىّ ابن أختى البارّ الوَصُول فخذ إحداهما فانتبذها حلالا من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق واذا سكت وَثَب يُرِيغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغرّ ثم تضاحك وقال: يا ألأم الناس وأوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليلة فى واد وأنت لى فى واد، أقلّب السوداء

والبيضاء فتُصيخ وتُطرِق ، وإذا سكتُّ عنـك وثبتَ تُريغ المخرج ، والله لتخرجنّ أو لألجنّ عليك البيت . فلمـا طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابى مجنون ، والله ما أرى فى البيت شيئا ، فدفعت الباب فخرج الكلب شَدًّا وحاد عنـه أبو الأغر ساقطا على قفاه ، ثم قال : ياالله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلبا ، أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه .

وشبيه بهذا حديث لأبى حية النُّميرى ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لُعَاب المنية . قال جار له : أشرفت عليـه ليلة وقد انتضاه وشمّر وهو يقول : أيها المغترّ بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهور ضربته لاتخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك ، إنى والله إن أدعُ قيسا تملأ الأرض خيلا ورَجْلا . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح البـاب فاذا كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا .

وقرأت فى كتاب كليلة ودمنة : يخاف غيرَ المخوف طائر يرفع رجليه خشية السماء أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجليه حِذار الخَسْف إن قام عليهما ، ودودة تأكل التراب فلا تشـبع خوفا أن يفنى إن شبِعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار أن تُصطاد لحسنها .

بينا عبد الله بن خازم السُّلَمى عند عبيد الله بن زياد إذ دُخِل عليه بجُرَذ أبيض فعجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ واصفرّ حتى كأنه جرادةُ ذَكَر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى الرحمن ويتهاون بالشيطان (١) ويقبض على الثعبان ويمشى الى الأسد الوَرْد ويلقَى الرماح بوجهه قد اعتراه من هذا الجرذ ما ترون ! إن الله على كل شىء قدير !

(١) كذا بالنسختين ، وفى العقد الفريد : «ويتهاون بالسلطان» .

كان الحارث بن هشام أخو أبى جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهزم، فقال فيه حسان

إن كنتِ كاذبة الذى حدّثتنى * فنجوتِ مَنْجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجام

فاعتذر الحارث من فراره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى بأشقر مُزْبِد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا * أُقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهمُ * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد (١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وخرج فى زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله، فاتّبعه أهل مكة يبكون، فرقّ وبكى ثم قال : أما إنا لو كنا نستبدل دارا بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا، ولكنها النُّقْلة الى الله، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات .

المدائنى قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال : أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءَتك يوم ابن أبى طالب، أما والله لقد وافقتَه منّانا كريما، ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إنى لعنْ يمينك حين دعاك الى البِراز فاحولّت عيناك وربا سَحْرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحكْ أو دَعْ .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا الأعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غِلَالة؟ فبعث اليها أنه الحجاج، فأعادت

(١) هكذا فى النسختين الالمانية والفتوغرافية، والذى فى المعارف للمصنف " يوم سرمد " .

الرسول اليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلو بك ملك الموت أحيانا أحبّ الىّ من أن يخلو بك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال: ياأمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة رَيْحانة وليست قَهْرَمَانَةً فلا تُطلعها على سرك ومكايدة عدوّك . فلمـا دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتى أن تأمره غدا بأن يأتينى مستلمًا، ففـعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما، ثم قالت: إيه يا حجاج، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النِّطاقين أولِ مولود ولد فى الاسلام، وأما نهيُك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذّاته وأوطاره فان كنّ ينفرجْنَ عن مثـله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفَض نساء أمير المؤمنين الطِّيبَ من غدائرهن فبِعْنَه فى أعطية أهل الشأم حين كنت فى أضيق من القَرَن[(١)] قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر اليك وسنان غَزَالة بين كتفيك

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فَتْخَاءُ تنفِر من صفير الصافر
هلا كرَرْتَ على غَزَالة فى الوَغَى * بل كان قلبك فى جوانح طائر

وغزالة امرأة شَبِيب الخارجى . ثم قالت : أخرج ، فخرج .

وكان فى بنى ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناسا من بنى سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفرّ فلم يجد مفرّا، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نَثَل كنانته وأخذ قوسه وقال[(٢)]

(١) فى النسخة الفتوغرافية "القوت". (٢) هو عاصم بن ثابت كما فى اللسان مادة (عنبل) ورواه

ما علتى وأنا طب خاتل * والقوس فيها وتر عنابل
* تزل عن صفحه المعابل *

ما علّــتى وأنا جَلْد نابِل * والقوس من نَبْع لها بَلَابِل
يَرِزُّ فيهــا وتَرٌ عُنَابِــلْ * ان لم أقاتلكم فأمّى هَابِلْ
أكلَّ يوم أنا عنكم نَا كِلْ * لا أُطعِم القومَ ولا أقاتلْ
* الموت حق والحياة باطل *.

ثم جعل يرميهم حتى ردّهم، وجاءهم الصريخ وقد مُنع الحىُّ، فصار بعدذلك شجاعا سمحا معروفا .

ولمـا قتــل عبد الملك مصعَبَ بن الزبير وجّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجّه معه رَوْح بن زِنباع الجُذَامى كالوزير،وكان روح رجلاعالمـا داهية غيرأنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوّفوا أن يفســد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا فى إخراجه عنهم فكتبوا ليلا على بابه

إنّ ابن مروان قد حانت منيّته * فاحتلْ لنفسك يارَوحُ بنَ زِنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشكّ أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه فى الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك؟ قال : يا أمير المؤمنين تركْتُ أخاك مقتولا أو مخلوعا . قال : كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فَحَصَ برجليه، ثم قال: احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم.

كان أُمَيّة بن عبــد الله بن خالد بن أَسِيد وُجّه الى أبى فُدَيك فانهزم وأُتى الحجاج بدوابَّ من دوابِّ أميــة قد وُسم على أفخاذها "عُدَّة" فأمر الحجـاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

[وقال عمر[1] رضى الله عنه : إنّ الشــجاعة والجبن غرائز فى الرجال ، تجد الرجل يقاتل عمن لايبالى ألا يؤوب الى أهله، وتجد الرجل يفرّ عن أبيه وأمه،وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

وقال الشاعر

يفرّ الجبان عن أبيه وأمّه * ويحمِى شجاعُ القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمعى قال سمعت الحَرَسِىَّ يقول : رأيت من الجبن والشجاعة عجبا . استَثَرْنَا من مَزْرعة فى بلاد الشأم رجلين يُذْرِيان حنطة ، أحدهما أصيفر أحيمس (١) ، والآخر مثل الجمل عِظَما ، فقاتلنا الأصيفر بالمِذْرى لا تدنو منه دابة إلّا نخس أنفها وضربها حتى شقّ علينا فقُتل ، ولم نصل الى الآخر حتى مات فَرَقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة ، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض فى مثل كوز من ماء .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفَّار (٢) قال : حاصر مسْلَمَة حصنا فندب الناس الى نَقْب منه ، فما دخله أحد . فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إنى قد أمرت الآذن بإدخاله ساعةَ يأتى ، فعزمتُ عليه إلّا جاء . فجاء رجل فقال : استأذنْ لى على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألّا تسوّدوا اسمه فى صحيفة [الى الخليفة] (٣) ولا تأمروا له بشىء ، ولا تسألوه ممن هو . قال : فذاك له . قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

---

(١) كذا بالألمانية ، وفى الفتوغرافية "أخينس" ولعله "أحيمش" مصغر أحمش وهو دقيق الساقين .

(٢) فى الألمانية "عثمان" ولم نعثر عليه فى كتب التراجم ، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصفار كما فى كتب التراجم .

(٣) زيادة فى الألمانية .

حدّثنى محمد بن عمرو الجُرْجانى قال كتب أَنُوشِرْوَانُ الى مَرازِبته : عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهـل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابى قوما تحاربوا فقال : أقبلت الفحول تمشى مشى الوُعول ، فلمـا تصافحوا بالسيوف فَغَرت المنايا أفواهَها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : ٱحْتَثُّوا كلَّ جُمَالِيَّة عَيْرانَةٍ فمـا زالوا يَخْصِفون أخفافَ المَطِىّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المُرَّانَ أَرْشِيةَ الموت وٱستَقَوْا بها أرواحَهم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمنا من قَطَرِىّ وأصحابه فأدركنى رجل على فرس فسمعت حسًّا منكرا خلفى ، فالتفتُّ فاذا أنا بقَطَرى فيئست من الحياة فلما عرفنى قال : ٱشدُدْ عنانَها وأوجِعْ خاصرتَها قطع الله يديك . قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدّثنى عبـد الرحمن عن عمه قال : لمـا غرق شبيب [قالت ٱمرأة (١) : الغرق يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ] أُخرج فشُقّ بطنُهُ وأُخرج فؤاده فاذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فَينْزو .

حدّثنا الرياشى قال حدّثنا الأصمعى قال أخبرنا صاحب لنا عن أبى عمرو بن العَلَاء قال : لمـا كان يومُ الكلاب خرج رجل من بنى تميم ، أحسبه قال : سَعْدىٌّ ، فقال : لو طلبتُ رجلا له فداءٌ! قال : فخرجت أطلبهُ ، فاذا رجل عليه مُقَطَّعة يمـانيَّة على فرس ذَنُوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يسارى أَقْصدُ لى . قلت : أَيْهاتَ منك اليمن . قال : العراق منى أبعـد . قلت : وتا لله لا تَرَى أهلك العام . قال لا والله ولا أهلَكَ لا أراهم . قال : فتركتُه ولمـا كان بعد أيام ونعتُّ نعتَه بعد ذلك ، فقيل لى : هو وَعْلَةُ الجَرْمى .

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

حدّثنا محمد بن عبيـــد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحـــاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قِبَل خراسان فبيّتهم العدوّ ليلا وفرّقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس وكان أوّل من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلّده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إنّ على كل رئيس حقًّا * أن يَخْضِب الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقَّا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحابُ الطبل الصوتَ انهزموا . ثم حمـــل على الكُرْدُوس[1] الآخر ففعل مثـــل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدوّ فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرْوُ الرُّوذ .

سأل ابن هُبَيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وَكيع ابن الدَّوْرَقِيّة كيف قتلتَه ؟ قال : غلبته بفضل فَتَاء كان لى عليه فصرعتُه وجلست على صدره وقلت له : يا لَثَارات دُوَيلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تحتى : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لايساوى كفَّ نوى ! ثم تنخّم فملأ وجهى نُخَامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلَّ عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك ذُعْر قطُّ لحرب [أو عدوّ][2] قال : ما سلمت فى ذلك من دعر ينبِّه على حيـــلة ولم يَغْشَنِى فيها ذعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه البسالة .

خرج رُهْم[3] بن حَزْم الهلالىّ ومعـــه أهله وماله يريد النُّقلة من بلد الى بلد فلقيـــه ثلاثون رجلا من بنى تَغلِب فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شأنكم بالمـــال وخلُّوا

(١) الكردوس : الكتيبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمـــانية .
(٣) فى النسخة الألمـــانية «زهير» ولم نعثر على ما يرجح احدى الروايتين .

الظعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحى لمعى . وحمل عليهم فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُدّا على آخرِها الأَتاليا * إن لهـا بالمشرَفىّ حاديا
* ذكّرنى الطعنَ وكنتُ ناسيا *

قال الزُّبيرى : ما آستحيا شجـاع أن يفرّ من عبد الله بن خازم السُّلَمى وقَطرِىّ ابن الفُجَاءة .

أبو اليَقْظان قال : كان حبيب بن عَوْف العَبْدى فاتِكا ، فلقى رجلا من أهل الشأم قد بعثه زياد ومعه ستون ألفا يتّجر بها فسايره ، فلما وجد غَفْلة قتله وأخذ المـال فقال يوما وهو يشرب [على(١) لذته] .

يا صاحبىّ أقِلّا اللوم والعَذَلا * ولا تقولا لشىء فات ما فُعلا
رُدّا علىّ كُميت اللون صافيـة * إنى لقيت بأرض خاليا رجلا
ضخم الفرائص لو أبصرتَ قِمّته * وسْط الرجال إذنْ شبهتَه جَمَلا
ضاحكتُه ساعة طورا وقلت له * أنفقتَ بيعك إن ر(٢)بْنا و إن عَجِلا
سايرته ساعة ما بى مخافتـــه * الا التلفُّتَ حولى هل أرى دَغَلا
غادرتُه بين آجامٍ ومَسْــبَعة * لم يدرِ غيرىَ بعدى بعدُ ما فُعلا
يدعو زيادا وقد حانت منيّته * ولا زيادَ لمن قد وافق الأجلا

المفضَّل الضَّبّى : كان سُلَيك بن سُلَكة التميمى من أشدّ فرسان العرب وأذكرهم وأدلّ الناس بالأرض وأجودهم عَدْوا على رجليه لا تَعْلَق به الخيل وكانت أمّه سوداء وكان يقول : اللهم إنك تهيئ ما شئت لمـا شئت اذا شئت ، اللهم إنى لو كنت ضـعيفا كنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٢) فى الفتوغرافية : «إن زينا و إن عسلا» .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأملَق حتى لم يبق له شيء، فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يمرّ عليــه فيذهب بإبله ، حتى اذا أمسى فى ليلة باردة مقمرة واشتمل الصَّمّاء ونام اذا هو برجل قد جَثَم على صدره وقال: آستأسِرْ. فرفع سليك رأسه وقال : «إن الليل طويل وأنت مُقْمِر» فجرى مثلا، وجعل الرجل يَلْهَزُه ويقول : استأسرْ يا خبيث، فلما آذاه ضمّه اليه ضمّةً ضرَط منها وهو فوقه، فقال له سليك : «أضرطًا وأنت الأعلى» فجرى مثلا، ثم قال له : ما أنت؟ قال : أنا رجل افتقرت، فقلت : لأخرجنّ ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلقْ معى، فمضيا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما، فأتوْا جَوف مُرَاد وهو واد باليمن فاذا فيه نَعَم كثيرة، فقال لهما سليك : كونا قريبا حتى آتىَ الرِّعَاء وأعلم لكما عِلْم الحى أقريب هو أم بعيــد، فإن كانوا قريبــا رجعت اليكما، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولا أَحِى(1) به لكما فأَغيرا . فانطلق حتى أتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ، فقال لهم سليك : ألا أغنّيكم؟ قالوا : بلى . فتغنّى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :

يا صاحبىّ ألا لا حىّ بالوادى * إلا عبيــدٌ وآمٌ بين أذواد
أتنظُران قليــلا رَيْثَ غفلتهم * أم تَعْدُوَان فان الربح للعادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطْردوا الإبل وذهبوا بها .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان سليك يُحْضِر فتقع السهام من كنانته فترتزّ فى الأرض من شدّة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرأيت أن تريَنا بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم، اجمعوا لى أربعين شابا وآبغونى درعا ثقيلة . فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلاث العَدْو لَوْثًا واهْتَبَصوا(2) فى جَنْبَتيه فلم يصحبوه إلا قليلا فجاء يُحضر مُنبترا من حيث لا يرونه وجاءت الدِّرع تخفِقُ فى عنقه كأنها خرقة .

(1) من وحى يحى اذا أومأ . (2) عدوْا .

قال سهل وحدّثنى العُتْبى قال حدّثنى رجل من بنى تميم عن بعض أشياخه[١] من قومه قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة فأتى بأعرابى قد كان معروفا بالسَّرَق فقال له : أخبرنى عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يُسبَق وكانت لى خيل لا تُلحَق[٢] ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما فاحترشتُ ضبًّا فعلّقته على قَتَبى ثم مررت بخباء سرىّ ليس فيه إلّا عجوز ، فقلت : أخلقْ بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثدَّن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رآنى رحّب بى ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولنى العُلْبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقى فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أَيْنُق فشرب ألبانهن ثم نحر حُوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحثا كُومَةً من بَطْحاء وتوسّدها وغطّ غطيطَ البَكْر ، فقلت : هذه والله الغنيمة . ثم قمت الى فحل إبله فخطمتُه ثم قرنته الى بعيرى وصِحْتُ به فاتّبعنى الفحل واتّبعته الإبل إِرْبَاباً به ، فصارت خلفى كأنها حبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنيّةً بينى وبينها مسيرة ليلة للمسرع ، فلم أزل أضرب بعيرى بيدى مرّة وأقرعه برجلى أخرى حتى طلع الفجر ، فأبصرت الثنيّة فاذا عليها سواد فلمادنوت اذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا . فأخرج سهما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصرْ بين أذنى الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيى الأوّل . قال : انظر هذا السهم الثانى فى فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدّره بيده ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرأيتَ؟ قلت : إنى أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث فى عُكْوة ذنبه والرابعَ واللهِ فى بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العُكْوة ، فقلت :

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «عن بعض أهله» وفى العقد الفريد «وحدث العتبى عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر الخ» . (٢) فى الأصل «تخلف» والتصويب عن العقد الفريد .

أنزل آمنا؟ قال : نعم . فنزلت فدفعت اليه خِطَام خله وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرمينى بسهم ينتظم به قلبى، فلما تنحّيت قال لى : أقبل . فأقبلت والله خوفا من شرّه لا طمعا فى خيره، فقال : أى هذا، ما أحسبك جَشِمتَ الليلة ما جشمت إلا من حاجة . قلت : أجل . قال : فاقرُن من هذه الإبل بعيرين وآمضِ لِطيّتك، قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلا . ثم قلت : والله ما رأيت أعرابيا قط أشدّ ضِرْسا ولا أعدى رِجْلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك .

وقرأت فى كتاب سير العجم أن بَهْرَام جُور خرج ذات يوم الى الصيد ومعه جارية له فعرضتْ له ظباء، فقال للجارية : فى أىّ موضع تريدين أن أضع السهم من الوحش؟ فقالت أريد أن تُشبّه ذُكْرانها بالإناث وإناثها بالذكران، فرمى تيسا من الظباء بنُشّابة ذات شُعْبتين فاقتلع قرنيه ورمى عنزا منها بنُشّابتين فأثبتهما فى موضع القرنين . ثم سألته أن يجمع أذن الظبى وظِلْفه بنشّابة واحدة فرمى أصل أذن الظبى ببُندُقة فلما أهوى بيده الى أذنه ليحتكّ رماه بنشّابة فوصل ظلفه بأذنه ثم أهوى الى القَيْنة فضرب بها الأرض وقال : شدّ(١) ما اشتططتِ علىّ وأردتِ إظهار عجزى !

وقرأت فى كتبهم أن كسرى استعمل قرابة له على اليمن يقال له المَرْوَزَان، فأقام بها حينا ثم خالفه أهل المَصَانع — والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر بينهما فصل إلا أنه متقارب ما بينهما — فسار اليهم المروزان فنظر الى جبل لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد . فلما رأى أن لا سبيل اليهم صعد الجبل الذى هو وراء المصانع من حيث يُحاذِى حصنَهم فنظر

(١) فى الأصلين «أشد» وهو تحريف .

الى أضيق مكان فيه وتحتــه هواء لا يُقدر قدرُه، فلم يرَ شيئا أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحــابه أن يقوموا به صفّين ثم يصيحوا به صَيْحة واحدة ثم ضرب فرســه حتى اذا استجمع حُضْرا رمى به أمام الحصن وصــاح به أصحابه فوثَب الفرس الوادىَ فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حِمْير قالوا : هذا أَيْم . والأيم بالحميرية شيطان، فانتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستنزلهم من حصنهم فقَتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجّب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم اليه وأراد أن يُسَامى به أساورتَه ، فاستخلف المروزان ابنَــه ثم توجّه نحوه فلمــا صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه فى تابوت ثم حمــلوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوُضع فى خزانته فكان يُخرَج فى كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سُوقَةَ التميمى عن أبيه عن جدّه عن أبى الأغرّ التميمى قال : بيْنا أنا واقف بِصفِّين مر بى العباس بن ربيعة مكفِّرا بالسلاح وعيناه تَبِصّان من تحت المِغْفر كأنهما عينا أَرقم وبيده صفيحة له (١) وهو على فرس له صَعْب يمنعــه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشأم يقال له عَرار بن أدهم : يا عباس هلمّ الى البِرَاز . قال العباس : فالنزول اذًا فانه إِيَاسٌ من القُفُول . فنزل الشأمى وهو يقول

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نُزُلُ

وثنى العباس وركه فنزل وهو يقول

وتصــدّ عنك مَخِيلةَ الرجل الــ * ـعِرِّيض مُوضِحةٌ عن العَظْمِ
بُحسام سيفك أو لسانك والــ * ـكَلِمُ الأصيلُ كأَرْغَبِ الكَلْمِ

(١) عبارة الفتوغرافية «وبيده صفيحة له يمانية يقلبها وهو على فرس له صعب فبيناهو يقلبها (وليقته ؟) ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ» .

ثم غضّن فَضَلات درعه فى حُجْزته ودفع قوسه الى غلام له أسود يقال له : اسلم كأنى أنظر الى فَلائل شعره ثم دَلَف كلٌّ واحد منهما الى صاحبه فذكرت بهما قول أبي ذؤيب

فتنازلا وتواقفتْ خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُخَدَّع

وكف الناس أعنَّة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكالحا بينهما مَليّا من نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لأُمته الى أن لحظ العباس وَهْياً فى درع الشأمىّ فأهوى اليه بيده فهتكه الى ثُنْدُوَته ثم عاد لمجاولته وقد أُصْحِر له مفتَّق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانحَ صدره وخرّ الشامى لوجهه وكبَّر الناس تكبيرة ارتجَّت لها الأرض من تحتهم وآنشَامَ العباس فى الناس [وآنساع أمره] وإذا قائل يقول من ورائى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فالتفتُّ واذا أمير المؤمنين رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب، فقال: يا أبا الأغر، من المُنازل لعدوّنا؟ فقلت : هذا ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة. فقال : إنه لهو، يا عباس الم أنهك وابنَ عباس أن تخلّا بمركزكما أو تباشرا حربا ؟ قال : إن ذلك . يعنى نعم. قال: فما عَدَا مما بدَا؟ قال: فأُدعى الى البراز فلا أجيب؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوّك . ثم تغيّظ وآستشاط حتى قلت : الساعة الساعة، ثم تطأمن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال : اللهــم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهــم إنى قد غفرت له فاغفر له . قال : وتأسّف معاوية على عرار وقال متى يَنْطِفُ فَحْلٌ بمثله ! أيُطَلّ دمه! لاها اللهِ ذا. ألا لله رجل يَشْرِى نفسَه يطلب بدم عرار؟ فآنتدب له رجلان من لخم . فقال : اذهبا فأيكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعواه الى البراز فقال : إن لى سيدا أريد أن أؤامره . فأتى علياً فأخبره الخبر، فقال علىّ : والله

لودّ معاوية أنه ما بقى من هاشم نافخُ ضَرْمَةٍ الا طُعِن فى نَيْطه[1] إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلّا أن يُتِمَّ نورَه ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنّهم منا رجال، ورجال يَسُومونهم الخسفَ حتى يَحْفِروا الآبار ويتكفّفوا النـاس . ثم قال : يا عباس ناقلْنى سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصـد الخثميين . فلم يَشُكّا أنه العباس فقالا له : أذن لك صاحبك؟ فحَرِجَ أن يقول نعم، فقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنمـا أخطأه ، ثم برز له الآخر فألحقه بالأول، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَـرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال: يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى، فإن عاد لك أحد فعُدْ الىّ ، ونُمِى الخبر الى معاوية فقال : قبح الله اللَّجاج إنه لَقَعُود ما ركبته قط إلا خُذِلْتُ . فقال عمرو ابن العاص : المخذول والله الخثميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيهـا الرجل فليس هذه من ساعتك . قال: وإن لم تكن، رحم الله الخثميين وما أراه يفعل . قال: ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لجُحْرِك . قال: قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها . قال: هى أعمتك ولولا هى لأُلفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا، فانظُرنْ كيف تصنع
فإن تعطنى مصرا فأربحْ بصفقة * أخذتَ بهـا شيخا يضر وينفـع[2]

خرج الأُخَيْنس الجُهَنىّ فلقى الحُصَين العمرىّ[3]، وكانا جميعا فاتكين، فسارا حتى لقيا رجلا من كِنْدة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فنزل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هـذه الجملة فى مادة ''نيط'' معناه : إلّا مات . ثم قال : وقيل النيط نِيَاط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به اهـ .

(٢) فى النسخة الألمـانية : ''شيئا'' . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب كما فى لسان العرب وفى الألمانية «العميرى» بالياء . وفى اللسان ومجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابى .

يأكل، فلما انتهيا اليه سلّما . قال الكندىّ : ألا تضحّيان؟[1] فنزلا . فبيناهم يأكلون مرّ ظليم فنظر اليه الكندىّ وأبّده[2] بصره فبدَت له لَبّته، فاعترّه الحصين فضرب بطنه بالسيف فقتله، واقتسما ماله وركبا، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعْلَةٌ وصَعْل؟ قال : يوم شُرب وأكل . قال : فانعَتْ لى هذه العُقاب . فرفع رأسه لينظر اليها فوَجأ بطنَه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا للحصين يقال لها صَخْرَة لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه فى جيران لها من مراح وجَرْم . فلما بلغ ذلك الأخينس قال

وكم من فارس لا تزدريه * إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلّ له العـزيز وكل ليث * شديد الهَصْر مسكنه العَرين
علوت بياض مَفْرِقه بعَضْب * يَنُوء[3] لوَقْعه الهَـامُ السُّكُون
فأمست عِرْسه ولهَا عليه * هدوء بعد ليلته أنين[4]
كصَخْرَةَ اذ تُسائل فى مراح * وفى جَرْم، وعلمهما ظُنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعنـد جُهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلا

[خرج[5] المهدىّ وعلىّ بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دُلامة الشاعر. فسنحت لهم ظباء فرمى المهـدىّ ظبيا فأصابه ، ورمى علىّ بن سليمان كلبا فعقره ، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل فى هذا، فقال

ورمى المهدىّ ظبيا * شَكَّ بالسهم فؤادَهْ

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "تصطبحان" . (٢) كذا فى الأصل والصواب أبَّده بالباء الموحدة يقال أبده النظر أى أعطاه بُدَّته من النظر أى حظّه . (٣) فى الفتوغرافية «تنّق» وهو من نق ينق بمعنى صوّت . (٤) كذا بالأصل وفى أمثال الميدانى :

وأضحت عرسه ولها عليه * بُعيـد هدوءٍ ليلتها رنين

(٥) زيادة فى النسخة الألمانية .

وعليّ بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كلُّ امرئ يأكل زاده]

قال أبو دُلامة: كنت فى عسكر مروان أيام زَحف الى شبيب الخارجىّ، فلما التقى الزَّحْفان خرج منهم فارس ينادى: من يبارز؟ فجعل لا يخرج اليه إنسان إلا أعجله ولم يُنَهْنِهْه[1]، فغاظ ذلك مروان، فجعل ينُدب الناس على خمسمائة، فقُتل أصحاب خمس المائة، وزاد مروان على نُدْبته فبلغ بها ألفا، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة خمسة آلاف درهم، وتحتى فرس لا أخاف خَوْنه، فلما سمعت بخمسة الآلاف[1] نزّقْتُه واقتحمت الصفّ. فلما نظر الىّ [الخارجىّ] علم أنى خرجت للطمع، فأقبل يتهيأ لى وإذا عليه فَرْو له قد أصابه المطر فارمعلّ[2] ثم أصابتــه الشمس فاقفعلّ[3] وعيناه تَذّران[4] كأنهما فى وَقْبين[5]، فدنا منّى وقال:

وخارجٍ أخرجه حب الطمَعْ * فرّ من الموت وفى الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

فلما وَقَرتْ فى أذنى انصرفت عنه هاربا، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟ آئتونى به. ودخلت فى غِمَار الناس فنجوت

كان خالد بن جعفر نديما للنعمان، فبينا هو ذات يوم عنــده وقد دعا النعمان بتمر وزُبْد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: آدنُ ياحارث فكُلْ، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيتَ اللعن؟ قال: هــذا سيد قومه وفارسهم الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لى عنده يدا. قال الحارث: وما تلك اليد؟ قال: قتلتُ سيدَ قومك فتركتُك سيدَهم بعده. يعنى زُهَير بن جَذِيمة، قال الحارث

(١) فى الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمسة آلاف، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما فى شرح المرادى على التسهيل. (٢) ابتلّ. (٣) تقبّض. (٤) كتب فى الفتوغرافيــة تحتها كالتفسير لها «تلوحان». (٥) الوقب نقر فى الصخرة يجتمع فيه الماء.

أما إنى سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزَّمع وأُرْعدت يده، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد : أيّتهنّ تريد فأنا ولُكَها؟ قال الحارث : أيّتُهن تَهُمّك فأَدْعُها؟ ثم نهض مغضبا، فقال النعمان لخالد : ما أردتَ بهذا وقد عرفتَ فَتْكه وسَفَهَه ؟ فقال : أبيت اللعن، وما تَخوّف علىّ منه؟ فوالله لو كنت نائما ما أيقظنى . فانصرف خالد فدخل قُبّة له من أَدَمٍ بعد هَدْأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخَّرها فشقّها ثم دخل فقتله، فقال عمرو بن الإطْنابة

علّلانى وعلِّلا صاحبيَّـا * وآسقيانى من المُرَوّق ريَّا
إنّ فينا القِيان يعزفْنَ بالضر * ب لفتياننا وعيشا رخيّا
يتناهين فى النعـيم ويَضْرِبْـ * ـنَ خلال القُرون مسكا ذكيا
أَبلِغا الحارثَ بن ظالمٍ الرِّعْـ * ـديدَ(١) والناذر النُّـذورِ عَلَيّا
إنمـا تقتـل النِّيامَ ولا تقـ * ـتل يقظان ذا سـلاحٍ كَمِيّاً

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بليـل إلا أجابه ولم يسأله عن آسمه . فأتاه الحارث ليلا فهتف به، فخرج اليه، فقال : ما تريد ؟ قال أَعِنّى على أبل لبنى فلان وهى منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرسـه وأراد أن يركب حاسرا . فقال له : البَسْ عليك سلاحَك فانى لا آمن امتناع القوم، فاستلأم وخرج معه، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى فخذ حِذْرَك ياعمرو، فقال له : آمنُنْ علىّ . فجزّ ناصيتَه . وقال الحارث

عـلِّلانى بلذّتى قَيْـنَتَيّا * قبـل أن تبكىَ العيون عليّا
قبل أن تذكر العواذل أنى * كنتُ قِدْما لأمرهنّ عَصيّا
ما أُبالى إذا اصطبحت ثلاثا(٢) * أرَشيدًا دعوتَنى أم غَوِيّا

(١) فى الفنوغرافيـة «الموعود» ولعله محرّف عن « المُوعِد » كما نقل فى هامش النسخة الألمـانية عن نسخة أخرى . (٢) فى الألمـانية : أصبت .

غـيرَ أَلّا أُسِرَّ لله إثمـا * فى حياتى ولا أخونَ صَفيّا
بلغتنى مقالة المـرء عمرو * بلغتنى وكان ذاك بَدِيّا
فخرجنـا لموعد فالتقينـا * فوجدناه ذا سـلاح كَمِيّا
غـيرَ ما نائم يُرَوَّع بالليـ * ـل مُعِـدًّا(١) بكفّه مَشْرَفيّا
فرجعنا بالمَنّ مِنّا عليـه * بعد مَا كان منـه منّا بديا(٢)

ووفد تَميم بن مُرّ وبَكْر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه فجرى بينهما تفاخر فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فُنحتا ومُوِّها بالفضة وأعطاهما إياهما، فجعلا يضطربان بهما مَلِيًّا من نهارهما، فقال بكر

* لو كان سيفانا حديدا قَطَعا *

وقال تمـيم

* أو نُحتا من جَنْدَل تصدّعا *

ففرّق الملك بينهما، فقال بكر لتميم

* أُسَاجِلكَ العداوةَ ما بقينا *

وقال تمـيم

* وإن متنا نورّثها بَنِينا *

فأورثاها بنيهما الى اليوم .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن خَلَف الأحمر قال: كان أبو عُرْوَة السباع يَصيح بالسبع وقد آحتمل الشاةَ فيسقط فيموت فيُشَقّ بطنُه فيوجد فؤاده قد آنخلع. وهو مثل فى شدّة الصوت . قال الشاعر(٣) فى ذلك

(١) فى النسخة الفتوغرافية "بالقتل". (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية: «بعد منّ قد كان منّا بديا» ولعل كلمة «منّا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابغة الجعدىّ كما فى اللسان مادة (عرا) .

زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السباعَ إذا * أَشْـفق أن يلتبِسْنَ بالغـنم

قال : وأبو عطيــة عفيف النصرى نادى فى الحرب التى كانت بين ثَقِيف و بين بنى نَصْر لمـا رأى الخيل بعَقْوَته(١) : يا سوء صباحاه، أيتم يابنى يربوع ! فألقت الحَبالَى أولادها، فقيل فى ذلك

وأسقط أحبالَ النســاء بصوته * عفيفٌ لَدُنْ نادى بنصرٍ فطرّبا

فى أخبار وهب بن مُنبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفنّ أو لأصيحنّ صيحة لاتبق حامل بمصر الا ألقت ما فى بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيــه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلْع فينادى غلمــانه وهم بالغابة فيُسْمِعهم وذلك من آخر الليل . و بين الغابة و بين سلع ثمانية أميال ، وسلع جبل وسط المدينة . وكان شَبيب بن رِبْعِىّ يتنحنح فى داره فيسمع تحنحه بالكُناسة ، و يصيح براعيه فيسمع نداؤه على فرسخ وكان هــذا مؤذن سَجَاح التى تنبّأت [ذكر هذا خالد بن صفوان، وسمعه أبو المجيب النهدىّ فقــال : ما سمع له بصوت أبعــد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى سجاح](٢) .

ذم رجل الأشتر فقال له قائد(٣) : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام و إن موته هزم أهل العراق .

المدائنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنــه رجل يستحمله ، فقال له : خذ بعيرا من إبل الصــدقة . فتناول ذنب بعير صعب فجذبه فاقتلعه ، فعجب عمر وقال له : هل رأيت أشدّ منك ؟ قال : نعم، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها

---

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى الفوتوغرافية : «الحسين بن على عليهما السلام» وفيها بدل « قائد » « يزيد » .

زوجها فنزلنا منزلا أهله خُلُوف فقَرُبتُ من الحوض فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه ذَوْد والمرأة ناحيةً فسرَّب ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتنى، فما انتهيت اليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسى فوضعه بين عضده وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلق . فقالت المرأة : أىّ فحل هـذا! لو كانت لنا منه سَخْلة ! وأمهلتُه حتى امتلأ نوما فقمت اليه بالسيف فضربت ساقه فأَبَنْتُها، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرمانى برجله وأخطأنى وأصاب عنق بعيرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة؟ قال : هذا حديث الرجل . فكرر عليه مرارا لا يزيده على هذا، فظنّ أنه قد قتلها .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا أَشْهل بن حاتم قال حدّثنا ابن عَوْن عن عُمَير ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ويفعلون . وأبو مِحْجَن فى الوَثَاق عند أم وَلَد لسعد فأنشأ يقول

كفى حَزَنا أن تلتقِ(١) الخيلُ بالقنا * وأُترَكَ مشـدودا علىّ وَثَاقِيَا
إذا شئتُ غنّانِى الحديدُ وغُلّقت * مغاليق من دونى تُصِمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد : أتجعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الىّ حتى أعيدك فى الوثاق؟ قال نعم، فأطلقته فركب فرسا بَلْقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول : لولا أن أبا محجن فى الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى . فانكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته فى الوثاق وأتت سعدا فأخبرته، فأرسل الى أبى محجن فأطلقه وقال : والله لا حبَستك فيها أبدا . يعنى الخمر، فقال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر(٢)

سأغسل عنى العارَ بالسيف جالبا * علىّ قضاءُ الله ما كان جالبا

(١) فى النسخة الألمانية «تطعن» . (٢) هو سعد بن ناشب المازنى كما فى اللسان والحماسة .

وأذهل عن داري وأجعل هدمَها * لعِرْضِيَ من باقى المذمّة حاجبا
ويصغُر فى عينى تِلادِي اذا انثنتْ * يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
فيَـا لرِزَامٍ رشِّحوا بى مُقَـــدِّما * الى الموت خوّاضا اليــه الكرائبا (١)
إذا همّ لم يَرْدع كــريمةَ همه (٢) * ولم يأت مايأتى من الأمر هائبا
أخا غَمَــراتٍ لا يريد على الذى (٣) * يَهُمُّ به من مُفْظِع الأمر صاحبا
إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَــه * ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشِرْ فى رايه غير نفســه * ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا
عليكم بدارى فاهــدموها فانها * تراث كريم لايخـاف العواقبا

وقال رجلٌ (٤) من بنى العنبر

لو كنت من مازن لم تَسْتَبِحْ إبلى * بنو اللَّقيطة من ذُهْل بن شَيبانا
إذَنْ لقام بنصرى مَعْشَرٌ خُشُنٌ * عنــد الكريهة إن ذو لُوثَةٍ لانا
قوم اذا الشرّ أبدى ناجذَيْه لهم * طاروا اليــه زَرَافاتٍ ووُحْدانا
لكنّ قومى وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرّ فى شىء وإن هانا
يَجْزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً (٥) * ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأنّ ربّك لم يخلُقْ لخَشْيته * سواهُمُ من جميــع الناس إنسانا
فليت لى بهــمُ قوما إذا ركبوا * شَنُّوا الإغارةَ فُرْسانا ورُكْبانا
لا يسألون أخاهم حين يندُبُهم * فى النائبات على ما قال برهـانا
لكن يطيرون أشتاتا إذا فَزِعوا * وينفِرون الى الغارات وُحدانا

(١) فى الحماسة "الكتائبا". (٢) فى الحماسة "لم تُرْدع عزيمة همه".
(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التى يهم بها من مفظع الأمر».
(٤) هو قُرَيط بن أُنَيف كما فى الحماسة. (٥) كذا بالحماسة وفى الأصل «غفرانا».

وقال آخر

ولئن عَمَرْتُ لأشفينّ النفسَ من تلك المَسَاعى * ولأُعلمنّ البَطْن أن الزاد ليس بمُستطاع

أمّا النهار فرأى أصحابى بمَرْقَبة يَفَاع * أثَرُ الشجاع بها كَسْر * دِ الخَرْز فى سَيْر الصَّنَاع

تَرِدُ السباعُ معى فأُلْفَى كالمُدِلّ من السباع

وقال آخر

إنا محيوكِ ياسَلْمى فحيّينا * وإن سَقَيتِ كرامَ الناس فاسقينا

إنّا لَنُرْخِصُ يوم الرَّوْع أنفسنا * ولو نُسامُ بها فى الأمْن أُغْلينا

بِيضٌ مفارقُنا تَغْلِى مراجلُنا * نَأْسُو بأموالنا آثار أيدينا

وقال المَعْلُوط

ألم تَرَنى خُلِقت أخا حروب * إذا لم أَجْن كنت مِجَنَّ جانِى

وقال آخر(١)

لَعَمْرى لقد نادى بأرفع صوته * نَعِىّ سُوَيد(٢) أن فارسَكم هَوَى

أجلْ صادقًا والقائلَ الفاعلَ الذى * اذا قال قولا أَنْبَط الماءَ فى الثرى

فَتًى قَبَلٌ لم تَعْنُس(٣) السنّ وجهَه * سوى خُلْسَة(٤) فى الرأس كالبرق فى الدُّجَى

(١) هو سُوَيْد المراثد الحارثى كما فى الحماسة واللسان فى مادة «عنس» .

(٢) كذا بالحماسة ، وفى الفتوغرافية «نعىُ جؤىّ» ، وفى الكامل «نعىُ حيٍّ» . (٣) لم تعنس : لم تغير. (٤) كذا بالحماسة واللسان ، وفى الأصل «شهب» . وقد ذكره اللسان فى مادة «خلس» وقال أبو زيد : أخلس رأسه فهو مخلس وخليس اذا ابيضّ بعضه فاذا غلب بياضه سواده فهو أغثم .

أشـارت له الحرب العَوَانُ فجاءها * يُقَعْقِـع بالأَقراب(١) أوّلَ من أتى

ولم يَجْنِها لكن جناها وليّــه * فآسى فآداه فكان كمن جنى

وقال بَشَامَةُ

إنا بنى نَهْشَــلٍ لا نَدّعِى لأب * عنـه ولا هو بالأبنـاء يَشْرِينا

إن تُبْتَـدَر غايَةٌ يوما لمَكْرُمَــة * تَلْقَ السوابق منـا والمُصَـلّينا

إنا لَمِنْ معشر أفنى أوائلَهـــم * قِيلُ الكُمَاة ألا أين المحـامونا

لوكان فى الألف منا واحد فدعَوْا * مَنْ فارسٌ(٢) ؟ خالهم إيّاه يَعْنُونا

وقال زهير

يَطْعَنُهُم ما ٱرتَمَـوْا حتّى إذا ٱطّعَنوا * ضَارَبَ حتى إذا ما ضاربوا ٱعْتَنَـقا

وقالت امرأة من كِندة

أَبَوْا أن يفِرّوا والقَنَا فى نحورهم * ولم يَرْتَقُوا من خَشْـية الموت سُـلّما

ولو أنهـــم فـرّوا لكانوا أَعِزّة * ولكِنْ رَأَوا صَبْرا على الموت أكْرما

وقال آخر

بنى عَمّنا رُدّوا فُضُــولَ دمائنـا * يَنَمْ لَيْلُكم، أوْ لا تَلُمْنا اللّوائمُ

فإنا و إيا كم و إن طال تَرْكُكُمْ * كَذِى الدَّينِ ينأَى ما نأى وهو غارم

وقال أبو سعيد المَخْزُومىّ وكان شجاعا

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بالجمر مُكْتَحِلٍ بالنّبْل مُشْـتَمِلِ

لا يشرب المـاء إلا من قَلِيبِ دم * ولا يبيت له جارٌ على وَجَـلِ

(١) فى الأصل «فى الأقراب» والذى فى الصلب عن الحماسة .

(٢) كذا بالحماسة وفى الأصل «عاطف» .

وقال عبد القُدُّوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بَشِير

نَدًى تَحْكُمُ الآمالُ فيه، ونجدةٌ * تَحَكَّمُ فى الأعداء بالأسْرِ والقتل

وقال آخر

ضربناكُمُ حتى إذا قام مَيْلُكُمْ * ضربنا العِدَا عنكم بأبيض صارم

تمثّل زيد بن على يوم قُتِل بقول القائل

أُذُلّ الحياة وعِزّ الممات * وَكُلًّا أراه طعاما وَبِيلا
فان كان لا بُدَّ من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

وقال قَيْس بن الخَطِيم

أبْلِجُ لا يَهُمُّ بالفِرار * قد طاب نفساً بدخول النار

وقال آخر (١)

ومَنْ تكنِ الحضارةُ أعجبَتْه * فأىَّ رجالِ باديةٍ تَرانا
ومَن رَبَط الجِحَاش فإن فينا * قَنًا سُلُبًا وأفراسا حِسَانا
وكنّ إذا أغَرْن على قبيل * فأَعْوزهن كونٌ حيث كانا (٢)
أغرن من الضِّباب على حِلالٍ (٣) * وضَبَّةَ إنه من حان حانا
وأحيانا نكرّ على أخينا * إذا مالم نجد إلا أخانا

وقالت الخَنْساء

تَعَرَّقنِى الدهرُ نَهْسًا وحَزًّا * وأوجعنى الدهر قَرْعا وغَمْزا

---

(١) هو القطامى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة :

وكن اذا أغرن على جَنَاب * وأعوزهن نَهْبٌ حيث كانا

(٣) جمع حِلَّه بكسر أوّله وهى كما فى القاموس القوم النُّزول، وفى ديوان الحماسة : «حلول» جمع حالّ والحى الحلول الذين يكونون فى مكان واحد .

وأفنى رجالى فبـادُوا معـا * فأصبح قلبى بهم مســتَفزّا
ومن ظن ممن يلاقِى (١) الحروب * بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

وفيها تقول

ونلبَس للحرب أثوابهـا * ونلبس فى الأمن خزّا وقـزّا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لَبُوسها .

وقال عبد الله بن سَبْرة الحَرَشى (٢) حين قُطعت يده

وَيْلُمِّ جارٍ غداةَ الجَسْر فارقـنى * أعزِزْ علىّ به إذ بان فانصـدعا
يُمـنَى يدىّ غدتْ منّى مفارقة * لم أستطع يوم خِلْطاس (٣) لهـا تبعا
وما ضَنِنتُ عليهـا أن أصاحبها * لقـد حَرَصت على أن نستريح معا
وقائـلٍ غاب عن شأنى وقائلة * ألّا اجتنبتَ عـدوّ الله إذ صُرِعا
وكيف أتركه (٤) يمشى بمنصُــلِه * نحوى وأجبنُ عنـه بعدما وقعـا
ما كان ذلك يومَ الرَّوْع من خُلُقى * وإن تقارب منى الموت واكْتنعا
ويْلُمِّــه فارسـا ولَّتْ كتيبته * حامَى وقد ضيَّعوا الأحسابَ فارتجعا
يمشى الى مُستميتٍ مثـلِه بَطَلٍ * حتى اذا أمكنا سـيفيهما امْتَصَعا
كلٌّ ينوء بماضى الحَدِّ ذى شُطَبٍ * جَلَّى الصَّـيَاقلُ عن دُرِّيِّه (٥) الطَّبَعا
حاشيته (٦) الموت حتى اشتفّ آخرَه * فمـا استكان لمـا لاقَى وما جَزِعا

---

(١) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للبرد ، وفى النسخة الألمانية « يقاسى » .

(٢) فى الأصـل الفتوغرافى «الجرشى» ويوافقه ما فى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصوابه « الحَرَشى» قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحريش بن كعب فنهم مطرف بن عبدالله بن الشِّخِّير وزُرارة بن أوفى وعبدالله ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده اطر يانوس الرومى اه . (٣) فى الأمالى «فطاس» . (٤) فى النسخة الفتوغرافية «أنكبُه» . (٥) كذا بالأصل يعنى تلألؤه وإشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى «ذَرِّيِّه» والذَّرِّىُّ فِرِنْد السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن « حاسيته » بالسين المهملة .

كأنّ لِمّته هُــدّابُ مُخْمَــلةٍ * أحمرُ(١) أزرقُ لم يَشْمَطْ وقد صَلِعا
فان يكن أُطْرَبُون الروم قطّعها * فقــد تركتُ بها أوصاله قِطَعا
وإن يكن أُطْرَبُونُ الروم قطّعها * فإن فيها بحمــد الله مُنتَفعا
بَنانتان وجُذْمُورُ(٢) أقيمُ بها * صــدر القناة إذا ما آنسوا فَزَعا

وقال بعض الشعراء

إن لنــا مِن قومنا ناصرةً * بيضَ الظُّبا سُمْرَ القَنَا شُهْبَ اللِّمَمْ
يستنفرون الموتَ من مَجْثِمــه * ويبعثون(٣) الحرب من عَقْد السَّلَمْ
أُولاكَ قيسٌ قومُنا أكْرِمْ بهــم * قيسُ النّدى قيس العُلا قيس الكرمْ

وقال جعفر بن عُلْبة الحارثى

لِيَهْنِ عُقَيلا أنّنى قــد تركتُها * بنوء بقَتْلاها الذئاب الهَوَامل(٤)
لهم صدرُ سيفى يومَ بُرْقة سَحْبَلٍ * ولى منه ما ضُمّت عليه الأنامل
إذا القوم سدّوا مأزقا فرجتْ لنا * بأَيْمانِنا بِيضٌ جَلَتْها الصَّياقل

وقال عمرو بن مَعْدِيكرِب

أعاذلَ شِكّتى بَزّى ورمحى * وكل مقلّص سَلِس القياد
أعاذل إنمــا أَفْنَى شبابى * ركوبٌ فى الصّريخ الى المنادى

قال أبو دُلَف

لقــد علمتْ وائل أننــا * نخوض الحُتُوف غَداة الحتوف
ولا نتقيهــا بزَحْف الفــرار * اذا ما الصفوف أنبرت للصفوف

(١) كذا بالأصل وهى محرّفة عن «أحمّ» والحُمّة كما قال ابن سيدة لون بين الدُّهمة والكُمْتة .
(٢) الجذمور هنا ما بقى من يده بعد قطعها . (٣) فى النسخة الألمانية «يبتغون» .
(٤) فى الأصلين : * تبوء بقتلاها دماء هوامل * وقد أخذنا ما فى الأصل عن هامش النسخة الألمانية .

ويوم أفاءتْ لنا خيلُنا * لدى جبل الدَّيْلَمِىِّ المُنِيف
طِوَالَ الفتى بطوال القنا * وبيضَ الوجوه بيض السيوف
وكلَّ حَصَان بكل حِصَان * أمينٍ شَظَاه سليم الوَظِيف
ألا نِعْمانى فما نعمتى * برادعتى عن ركوب المخوف
لىَ الصبر عند حلول البَلَا * إذا نزلت بِىَ إحدى الصُّروف
وإن تسألى تخبَرى أننى * أَقِى حسبى بألوف الألوف
وأحلُمُ حتى يقولوا ضعيفٌ * وما أنا — قدعلموا — بالضعيف
خفيف على فرسى ما ركبت * ولست على ظالمى بالخفيف

باب الحيل فى الحروب وغيرها

قال ابن اسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر، مرّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبرونى ممن أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال الشيخ : خُبِّرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا، فان كان الذى خبّرنى صدَق فهى اليوم بمكان كذا، للوضع الذى به قريش . وخُبِّرت أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا، فان كان الذى خبّرنى صدَق فهو اليوم بمكان كذا، للوضع الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء »، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال حدّثنى شيخ من بنى العنبر قال: أسرتْ بنو شيبان رجلا من بنى العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلى ليَفْتدونى . قالوا : ولا تكلّمْ

الرسولَ إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : آئت قومى فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلى فقل لهم : عَرُّوا جملى الأَصْهب وآركبوا ناقتى الحمراء وسَلُوا حارثا عن أمرى . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا الى حارث فقصّ عليه القصة ، فلما خلا معهم قالْ لهم : أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا . وقوله «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشِّكَاء للغزْو ، وهى أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شَكْوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثلَ الليل أو فى الليل . وقوله : «عرُّوا جملى الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصَّمَّان . وقوله : «اركبوا ناقتى الحمراء» يريد اركبوا الدَّهْناء . قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .

أرسل على بن أبى طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لمـا قدم البصرة فقال : ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير أَلْين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصًا قَرْنه ، يركب الصعوبة ويقول هى أسهل ، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق ، فما عَدَا ممّا بَدَا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأمٌّ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحلّ ما أحللت ونحرّم ما حرمت .

الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجى على غلام فى الفرات يستنقع فى المـاء ، فقال له شبيب : اخرجْ الىّ أسائلك . قال : فأنا آمن حتى ألبس ثوبى ؟ قال : نعمْ . قال : فوالله لا ألبسه .

قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهُرْمُزان . فآستسقى فأُتى بماء فأمسكه بيده وآضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إنى غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أو لم تؤمنِّى ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه، ولا بأس أمان، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العُتبى : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عِضاه الأشعرى الى ابن الزبير فقال له : إن أوّلَ أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست فى عنق بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش، قد سمعتم ماقال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائنى قال : أقبل واصل بن عطاء فى رُفْقة فلقيهم ناس من الخوارج، فقالوا لهم : من أنتم؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فاَعرِضوا علينا. فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبِلنا . قالوا : فاَمْضُوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُبْلغونا مأمننا . قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمننا . فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنَهم .

وقال معاوية : لا ينبغى أن يكون الهاشمى غير جواد ولا الأموى غير حليم ولا الزُّبيرى غير شجاع ولا المَخْزومى غير تَيَّاه . فبلغ ذلك الحسن[1] بن على فقال : قاتله الله! أراد أن يجود بنو هاشم فينفَد ما بأيديهم، ويحلُمَ بنو أمية فيتحبّبوا الى الناس، ويتشجّع آل الزبير فيفنَوْا، ويَتِيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عِرْبَاض اليهودى وهم بحَرُورَى فقال : هل خرج اليكم فى اليهود شىء؟ قالوا : لا . قال : فاَمضوا راشدين .

المدائنى قال : لما بلغ قتيبةَ بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلّب كتب اليه ثلاث صحائف، وقال للرسول: ادفع اليه هذه، فان دفعها

(١) فى النسخة الألمانية : الحسين .

الى يزيد فادفع اليه هــذه ، فان شتمنى عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأوّل وفيه : يا أمير المؤمنين، إن من بلائى فى طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين، تأمَنُ ابن دَحْمَة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده! فشتم قتيبةَ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأُوَثِّقَنَّ لك آخِيَّةً لا ينزعها المهر الأَرِنُ . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة. ياغلام، جدِّد له عهده على خراسان .

لمـا صرف أهلُ مِزّة المـاءَ عن أهــل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهِنْدام[1] : الى بنى آستها أهلِ مزة، ليمسِّينى الماءُ أو لتصبِّحنكم الخيل . فوافاهم المـاء قبل أن يُعْتِموا فقال أبو الهندام : «الصدق يُنْبِى عنك لا الوعيد» .

ولمـا بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والتربص، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإنى « أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى » فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيتهما شئت، والسلام .

ولمـا هُزِم أمية بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد لم يَدْرِ الناسُ كيف يعزّونه، فدخل عليه عبد الله بن الأَهْتم فقال : [مرحبا بالصابر المخذول][2] الحمد لله الذى نَظَر لنا عليك ولم ينظُر لك علينا، فقــد تعرّضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عاملَ يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عُقْبة المُرّىّ، فأتاه الكتاب وهو بآخر رمق، وفى الكتاب : أصلح الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : أبو الهيذام . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الأمير، إنّ ابن الزبير أتانى بما لا قِبَل لى به فانحزتُ . فقال : ياغلام اكتب اليه : أمّا بعد فقد أتانى كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فانحزت . وَآيْم الله ما أبالى على أىّ جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبّهما الىّ ، وبالله لئن بقيتُ لك لأُنزلنّك حيث أنزلت نفسك والسلام .

أبو حاتم قال، حدّثنا العتبى قال حدّثنا إبراهيم قال : لمـا أسنّ معاوية اعتراه أرق فكان اذا هَوّم أيقظتْه نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال : يامعشر العرب، هل فيكم فتى يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث دِيَات أعجّلها له وديتين اذا رجع؟ فقام فتى من غَسّان فقال : أنا ياأمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبى(١) الى ملك الروم، فاذا صرتَ على بساطه أذّنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال لقد كلّفتَ صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذّن، فتناجزتِ البطارقة واخترطوا سيوفَهم فسبق اليه ملكُ الروم فجثا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه لمـا كفّوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين رجليه(٢)، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسنّ وقد أَرِق وقد آذته النواقيس، فأراد أن نقتل هذا على الأذان فيقتل مَنْ قِبَلَه منّا ببلاده على النواقيس، والله ليرجعنّ اليه بخلاف ماظنّ . فكساه وحمله فلما رجع الى معاوية قال : أوقد جئتنى سالمـا ؟ قال : نعم، أمّا من قِبَلِك فلا .

وكان يقال : ما ولى المسلمين أحد إلا ملَكَ الرومَ مثلُه إن حازما وإن عاجزا . وكان الذى ملَكهم على عهد عمر هو الذى دوّن لهم الدواوين ودوّخ لهم العـدوّ، وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية فى حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتى من قِبَلهم الدنانير، وكان

(١) لعلها تذهب بكتابى الخ . (٢) فى النسخة الألمـانية : يديه .

عبدالملك أوّل من كتب (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الطَّوامير، فكتب اليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم فى طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فانْهَ عنه وإلا أتاكم فى دنانيرنا من ذكره ما تكرهون. فكَبُر ذلك فى صدر عبد الملك وكره أن يدَع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه فى الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بناتِ طَبَق[2]، وأخبره الخبر. فقال : ليُفْرِخ رُوعُك، حَرِّمْ دنانيرهم وٱضرب للناس سِككا ولا تُعْفِهم مما يكرهون. فقال عبد الملك : فرّجتَها عنّى فرّج الله عنك.

حدّثنا الرياشىّ قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم : إنك قد هدمتَ الكنيسة التى رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلا فقد خالفته. فكتب اليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) الى آخر القصة.

حدّثنا الزيادىّ محمد بن زياد قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدّثنا علىّ ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر الى معاوية : سلام عليك، أمّا بعد فأنبئنى بأحبّ كلمة الى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومَن أكرمُ عباده اليه وأكرم إمائه، وعن أربعة أشياء فيهنّ الروح لم يَرْتكِضْنَ فى رحم، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان فى الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، والمجرّة ما موضعها من السماء، وقوس قُزَح وما بدء أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم ٱلعنه! ما أدرى ما هذا! . فأرسل الىّ يسألنى فقلت : أمّا أحب كلمة الى الله فلاإله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهى المنجية، والثانية سبحان الله وهى صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة

(١) بنات طبق : الدواهي .

لاحول ولا قوة إلا بالله . وأمّا أكرم عباد الله اليه فآدم خلقه بيــده وعلّمه الأسماء كلّها ، وأكرم إمائه عليــه مريم التى أحصنت فرجها . والأربعة التى فيهنّ روح ولم يرتكضن فى رحم فآدم وحوّاء وعصا موسى والكبش . والموضع الذى لم تصــبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى وبنى إسرائيل . والقبر الذى سار بصاحبه فبطن الحوت الذى كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتبىّ عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعــدهما بين يديه وجعــل يسألهما عن أعمالهما الى أن اعترض عمرو فى حديث معاوية ، فقــال له معاوية : أعلىّ تعيب و إلىّ تقصد؟ هلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملى . قال عمرو : فعلمت أنه بعملى أبصر منى بعمله وأنّ عمر لا يدَع أوّل هذا الحديث حتى يأتى على آخره ، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدى فلطمتُ معاوية ، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفَه منك ، يامعاوية ٱلطمْه . فقال معاوية إنّ لى أميرا لا أقضى الأمور دونه . فأرسل عمر الى أبى سفيان فلما رآه ألقى له وِسَاده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت الىّ ؟ أخوه وٱبن عمه وقد أتى غيرَ كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال ذكر بِشْر بن أَرْطاة عليا فنال منه فضرب زيد بن عمر — وأمّه ابنة علىّ بن أبى طالب — على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث الى زيد بن عمر : أتدرى ما صنعت ؟ وَثَبْت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث الى بشر فقــال أتدرى ما صــنعت ؟ وثبت على ٱبن الفاروق وٱبن على بن أبى طالب تســبّه وسط الناس وتزدريه ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث الى هذا بشىء و إلى هذا بشىء .

المدائنى قال : كان ابن المقفع محبوسا فى خَراج كان عليه وكان يعذَّب، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعيَّن[1] من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال، قال المختار : ادعو الى المهدىّ محمد بن الحَنَفية . فلما خشى أن يجىء قال : أما إنّ فيه علامة لا تخفى، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعى عرّضه لأن تجرّب به .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عوَانة بن الحَكَم الكلبى قال : ولّى علىّ رضى الله عنه الأشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطُرًا مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر. هل لك فى شربة من سويق أَجْدَحُها لك؟ قال : نعم . فجَدَح له بعسل وجعل فيها سمًّا قاضيا فلما شربها يبس، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردَها على الكبد! «إنّ لله جنودا منها العسل» . وقال علىّ «لليدين وللفم» .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزِّناد[2] قال نظر علىّ الى ولد عثمان كأنهم مستوحِشُون فسألهم فقالوا نُرمى بالليل، فقال: من أين يأتيكم الرمى؟ قالوا: من ههنا. فصعد علىّ ولفّ رأسه ثم جعل يرمى وقال : اذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمى .

قال محمد بن كعب القُرَظىّ : جاء رجل الى سليمان النبى عليه السلام فقال يا نبىّ الله: إنّ لى جيرانا سرقوا إوزّتى فنادى : الصلاةَ جامعةً . ثم خطبهم فقال فى خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل على رأسه، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

---

(١) العَيْن والعِينة الربا ، وعيَّن التاجرُ وتعيَّن أخذ بها .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية "أبى الزياد" .

أخذ الحكم بن أيوب الثَّقفى عاملُ الحجاج إياسَ بن معاوية فى ظِنّة الخوارج، فقال له الحكم : إنك خارجى منافق وشتمه، ثم قال آئتنى بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بى منك . قال : وما علمى بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : ففيم هذه الشهادة منذُ اليوم . فضحك وخلّى سبيله .

دخل رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا، فقال له عبد الملك : أليس قد ردّك الله على عقبيك ؟ قال : ومن رُدّ عليك فقد رُدّ على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف الى الضَّحّاك بن مُزَاحِم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يمنعنى من ذلك حبِّى للخمر . قال فأسلِمْ وآشربها . فأسلم، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أمّ أَفْعى العَبْدية على عائشة رضى الله عنها فقالت : ياأم المؤمنين ما تقولين فى امرأة قتلت ابنا لها صغيرا؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين فى امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوّة الله .

العتبىّ قال كتب يزيد بن معاوية الى أهل المدينة : أمّا بعد فإنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال. إنى والله قد لبستُكم فأخلقتُكم ورَقَعت بكم فاخترقتكم ثم وضعتكم على رأسى ثم على عينى ثم على فمى ثم على بطنى. وَآيْم الله لئن وضعتكم تحت قدمى لأطأنَّكم وَطأة أُقِلّ بها عددكم وأُذِلّ غابركم وأتركم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثّل

لعـــل الحـلم دل علىّ قومى * وقد يُستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسـونى * فمعـــوجٌ علىّ ومســـتقيم

أبو حاتم قال حدّثنا أبو عبيدة قال : أُخذ سُرَاقة بن مِرْداس البارقىّ أسيرا يوم جَبَّانة السَّبيع، فقدم فى الأسرى فقال

امنُنْ علىّ اليوم يا خيرَ معدّ * وخيرَ من حلّ بصحراء الجَنَدْ (١)
* وخير من لبّى وصلّى وسجدْ *

فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق (٢) بن الأشعث عليه فجىء بسراقة أسيرا فقال له المختار : ألم أعفُ عنك؟ أما والله لأقتلنّك . قال : إنّ أبى أخبرنى أن الشأم ستُفتح لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلنى . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نَزَوْنا نَزْوَةً كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بَطَرا وحَيْنا
نراهم فى مَصَفِّهم قليلا * وهم مثل الدَّبَا لما ٱلتقينا
فأسجح إن (٣) قدرت فلو قدرنا * لجُرْنا فى الحكومة وٱعتدينا
تقبّل توبةً منى فانى * سأشكر إن جعلتَ النَّقْد دَيْنا

فخلّى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سراقة فأُخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا عدو الله، فقال سراقة : ما هؤلاء الذين أخذونى! فأين هم؟ لا أراهم! إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض . فقال المختار : خلُّوا سبيله ليخبر الناس . [ثم عاد لقتاله وقال (٤)

ألا مَنْ (٥) مخبر المختار عنى * بأن البُلْق بيض مصمتات

(١) فى النسخة الفتوغرافية "بشجر والجند" وهو محرّف وصوابه كما فى الطبرى "بشحر والجند" .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية "عبد الرحمن" وقد صوبه فى هامشها بأنه إسحاق ويرجحه ما فى الطبرى والعقد الفريد .

(٣) فى النسختين «إن» وفى ابن جرير «فاسجح اذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة فى النسخة الألمانية . (٥) فى الطبرى .

ألا أبلغ أبا اسحاق انى * رأيت البلق دهما مصمتات

أُرِى عيـــنىّ ما لم تَرْأَيَاه * كلانا عالم بالـــتُّرَّهات
كفرتُ بدينكم وجعلت نذرا * علىّ قتالَـــكم حتى الممات]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وكانت له عَنَزة يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمى بها قارعةَ الطريق فيمرّ بها المارّ فيأخذها، فاذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علىّ رضى الله عنه فقال: لأخبرن النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرتَه لا تُرَدّ بعدها ضالةٌ أبدا. فأمسكَ علىّ.

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أُسَامة عن زائدة عن سِمَاك عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أنه كان اذا سمعهم يقولون: يكون فى هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحمقكم! إنّ بعد الاثنى عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدى يسلمها الى الدجّال. قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن ولد المهدىّ يكونون بعده الى خروج الدجال.

وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علىّ بن أبى طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحَرُورية مارقة وأعراب كأَعْلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى. وأما أهل الشأم فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها النِّحَل ولم تَشْغلها ديانة ولم يتقـدّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحَازُب

الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبيّة العشائر ، ولم يزالوا يُذَالُون ويُمتهنون ويُظلمون ويَكظمون ويتمنّون الفرج ويؤمّلون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولِحًى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة ، وبعدُ فكأنى أتفأّل الى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

وقال سعيد بن عمرو بن جَعْدة المخزومى : كنت مع مروان بن محمد بالزّاب فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفرًّا رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ، يابن جعدة ليت علىّ بن أبى طالب [فى الخيل] يقابلنى . إنّ عليا وأولاده لا حظّ لهم فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ريح خراسان ونصر الشأم ، يا بن جعدة أتدرى لم عقدتُ لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لأنى وجدت الذى يلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

وكتب مروان الى عبد الله بن علىّ : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائرا اليكم ، فاذا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حرمكم . فكتب اليه عبد الله إنّ الحق لنا فى دمك وإن الحق علينا فى حرمك .

سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسِيرهم وأنهم لم يزالوا على ٱستقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترَفين فكانت هممهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصدَ الشهوات وإيثارَ اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وأمنًا لمكره ، فسلبهم الله العزّ ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله[1] بن مروان لمـا دخل أرض النُّوبة هاربا فيمن معه سأل ملكُ النوبة عنهم فأُخبر فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هـذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلِم لى فافترشته بها وأقمت ثلاثا ، فأتانى ملك النوبة وقد خُبِّر أمرَنا ، فدخل علىّ رجل طُوَال أَقْنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال : لأنى ملك ، وحقّ على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعـه . ثم قال لى : لم تشربون الخمر وهى محرّمة عليكم ؟ قلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأنّ الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهّالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرّم عليكم؟ قلت : ذهب الملك منـا وقلّ أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق مليًّا وجعل يقلّب يديه وينكُت فى الأرض [ويقول[2] : عبيدنا وأتباعنا دخلوا فى ديننا وزال الملك عنا ! يردّده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنـه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزوّدوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولـما افتتح المنصور الشأم وقتـل مروان قال لأبى[3] عون ومن معـه من أهل خراسان : إن لى فى بقيـة آل مروان تدبيرا فتأهبوا يوم كذا وكذا فى أكمل عُدَّة ، ثم

(١) فى الفتوغرافية «عبيدالله» . (٢) فى الفتوغرافية بدل هذه الجملة «وينكت فى الأرض ويردّد كلامى ثم قال الخ» . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده ما فى الكامل للمبرد أنها وقعت مع عبد الله بن على وقد كان أميرا على الشام من قبل المنصور .

بعث إلى آل مروان فى ذلك اليوم فجُمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم فى العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلا فصاروا الى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولَّدهم(١) ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبى : ممن أنت؟ قال : من كلب وقد ولَّدتُهم . قال : فانصرفْ ودع القوم . فأبى أن يفعل وقال : إنى خالهم ومنهم . فلما آستقرّ بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته : أين حمزة بن عبد المطلب ؟ ليدخل ، فأيقن القوم بالهلكة ، ثم خرج الثانية فنادى : أين الحسن بن علىّ؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى : أين زيد بن علىّ بن الحسين ؟ ثم خرج الرابعة فقال : أين يحيى بن زيد(٢) ؟ ثم قيل : ائذنوا لهم . فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد(٣) وكان له صديقا فأومأ اليه : أن ارتفعْ . فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين : اجلسوا . وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال : أين العَبْدىّ الشاعر؟ فقام وأخذ فى قصيدته التى يقول فيها

أما الدُّعاة الى الجِنَان فهاشم * وبنو أميّة من دعاة النـار

فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر : يابن الزانية . فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال : امض فى نشـيدك . فلما فرغ رمى اليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثّل بقول القائل

ولقد ساءنى وساء سـواىَ * قربهـم من منـابر(٤) وكراسى
أنزلوهـا بحيث أنزلهـا اللـ * ـه بدار الهوان والإتعـاس
[لا تُقيلنّ عبدَ شمس عِثَارا * وآقطعوا كل نخلة(٥) وغِراس(٦)]
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيـلا بجـانب المِهْراس

(١) ربّاهم . (٢) فى الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن على بن الحسين .
(٣) فى الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .
(٤) كذا بالنسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية «نمارق» ولعله فى الكامل للبرد .
(٥) زيادة فى النسخة الألمانية . (٦) كذا بالأصل، وفى الكامل للبرد «كل رَقْلة وأواسى» وقال : الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسيّة وهى أصل البناء بمنزلة الأساس .

ثم قال لأهل خراسان : دِهِيدْ (١) . فشُدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبيّ فقال : أيها الامير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال

ومُدخِلٍ رأسَه لم يُدْنه أحد * بين القرينين حتى لزّه القَرَنُ

ثم قال : دهيد . فشُدخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك فى الحياة بعدهم . قال : أجلْ ، فقُتل ثم دعا ببَرَاذِعَ فألقاها عليهم و بسط عليها الأَنْطاع ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام منذ عقَلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم فجُرُّوا بأرجلهم وأغنم أهلَ خراسان أموالَهم ثم صُلبوا فى بستانه . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرُّواق الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب ! فقال : والله لرائحتها أحبّ الىّ وأطيب من رائحة المسك . ثم قال

حسبتْ أميةُ أن ستَرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلّا وربِّ محمد وإلٰهه * حتى تُباح سُهولها وحُزونها
وتَذِلَّ ذُلّ حليلةٍ لحليلها * بالمَشْرفىّ وتُستردّ ديونها

وأُتى المهدىّ (٢) برجل من بنى أمية كان يطلبه فتمثل بقول سُدَيف شاعرهم

جرِّد السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أُمَوِيّا
لا يغرّنْك ما ترى اليوم منهم * إنّ تحت الضلوع داء دَوِيّا

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول

شُمْس العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قَدَروا

فقال المهدىّ (٢) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

(١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المنصور» .

وقال رجل: كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد فى المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه الى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعْنا نجلس فى هذا الظل ونشرب من هذا المـاء البارد حتى تأتينا آجالنا فى عافية .

وكان عمرو بن عبيد اذا رأى المنصورَ يطوف حول الكعبة فى قُرْطين يقول: إن يُرِدِ الله بأمة محمد خيرا يُوَلِّ أمرَها هذا الشابَّ من بنى هاشم . وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف، قال: ياأبا عثمان سَلْ حاجتَك. قال: حاجتى ألّا تبعث الىّ حتى آتيك ولا تعطينى حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور

كلُّكم ماشِى رُوَيْدْ * كلُّكم خاتِلُ صَيدْ
* غيرَ عمرو بن عُبَيدْ *

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

صلّى الاله عليك من متوسِّد * قبرا مررتُ به على مَرَّانِ
قبرا تضمَّن مؤمنا متحنِّفا * صدَق الالهَ ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا فى سنّة * فصَل الحديثَ بحكمة وبيان
فلوأنّ هذا الدهر أبقى صالحا * أبقى لنا حيّا أبا عثمان

قال الوَضَّاح بن حبيب : كنا اذا خرجنا — يعنى أصحابه — من عند المنصور صرنا الى المهدىّ وهو يومئذ ولىعهده ففعلنا ذلك يوما فأبرز الى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكببت عليها فقبّلتها وضرب بيدى الى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشىء فى يده، فوضع فى يدى كتابا صغيرا تستره الكفّ، فلما خرجت فتحته فاذا فيه : ياوضّاح، اذا قرأتَ كتابى فاْستأذنْ الى ضِياعِكَ بالرَّىّ، فرجعت فقلت للربيع: استأذنْ لى. فدخل فاستأذن، فأُذن لى، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعى بالرى

قد اختلّت وبى حاجة الى مطالعتها فقال : لا، ولا كرامة، فخرجت. ثم عدت اليه اليوم الثانى والقوم معى فدخلنا فاستأذنتُه، فردّ الىّ مثل الجواب الأوّل. فقلت: ياأمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فسُرِّى عنه، ثم قال: اذا شئتَ فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج الى خَلْوة . فنهض القوم وبقى الربيـع قلت : أَخلِنى . قال : ومن الربيع وبينكما ما بينكما ! قلت : نعم . فتنحّى الربيع، فقال : قد خلوتَ فقل إن جدتَ لى بمالك ودمك. فقلت: يا أمير المؤمنين، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك، حقنت دمى ودم أبى ورددت علىّ مالى وآثرتنى بصحبتك . قال : إنه يهجس فى نفسى أن جَهْورا[(١)] على خَلْع وليس له غيرك لمـا أعرفه بينكما، فأظهرْ إذا صرتَ اليه الوَقيعةَ فىّ والتنقّص لى حتى تعرف ما عنده، وإن رأيته يهمّ بخلع فا كتب الى، ولا تكتبنّ على يد بريد ولا مع رسـول ولا يفوتنى خـبرك فى كل يوم فقد نصبتُ لك فلانا القَطّان فى دار القُطن فهو يُوصل كتبك فى كل يوم الىّ. قال : فمضيتُ حتى أتيت الرىّ فدخلت على جهور فقال : أَفْلتَّ؟ فقلت: نعم والحمد لله . ثم أقبلت أؤانسه بالوقيعة فيه حتى أظهر ما ظنّ به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبىّ على المنصور وعنـده إسحاق بن مسـلم العُقَيلى وعبد الملك بن حُميد الشامى الكاتب، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغمّ ذلك المنصور، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام ردّه . فلمـا رجع قال : يا أبا محمد إنّ إسحاق بن مسلم حدّثنى أن رجلا هلك بدمشق وترك نَاضًّا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك. قال : نعم يا أمير المؤمنين، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه . فقال المنصور : يا إسحاق، أعجبك كلامه فأحببتُ أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمـانية : «جوهر» وهو تحريف إذ هو جهور بن مرار العجلى أحد قوّاد المنصور.

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشَبا أمسى يُبَنِّي * قصورا نفعها لبنى بُقَيْلَهْ
يؤمّل أن يعمّر عمرَ نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلهْ

ثم آنتبه فقال : أقلني [أقالك الله](١) . قال : لا أقالني الله إن بتَّ فى عسكرى ، فأخرجه الى المدينة . [حَنَش(١) بن المغيرة قال : جئتُ وأبو ذَرٍّ آخذٌ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغِفَارى ، من لم يعرفنى فأنا جُنْدَب صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَثَلُ أهلِ بيتى مثلُ سفينة نوح مَنْ ركبها نجا»] .

حدّثنا خالد بن محمد الأزدى قال حدّثنا شَبَابة بن سَوّار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبيّ قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجّه الى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا فى مال له فقال : أين تريد؟ قال : العراق . وأخرج اليه كتبا وطَوَامِيرَ قال : هذه كتبهم و بيعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إنى سأحدّثك حديثا : إن جبريل عليه السلام أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فخيّره بين الدنيا والآخرة فآختار الآخرة ، وإنكم بَضعة من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فآرجع . فأبى فآعتنقه و بكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن على بن محمد عن مَسْلمة بن مُحَارِب عن السَّكَن قال : كتب الحسين بن على رضى الله عنهما الى الأحنف يدعوه الى نفسه فلم يردّ الجواب وقال : قد جربنا آل أبى الحسن فلم نجد عندهم إيَالَةً للملك ولا جمعا للمال ولا مكيدة

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

فى الحرب . وقال الشعبى : ما لقينا من آل أبى طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولـما قتل مُصعَب بن الزبير خرجت سُكَينة بنت الحسـين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدّى وأبى وعمّى وزوجى مُصعَبا، أيتمتمونى صغيرة وأرملتُمونى كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

اِبْك حسينًا ليوم مَصْرعه * بالطَّفّ بين الكتائبِ الخُرْس
أضحت بنات النبىّ اذ قُتلوا * فى مَأْتَم والسباع فى عُرُس

روى سِـنان[1] بن حَكيم عن أبيه قال : انتهب الناس وَرْسا فى عسـكر الحسين ابن على يوم قُتل فما تطيبت منه آمرأة إلا بَرِصتْ . ولـما قتل حسين قالت بنت لعَقيل بن أبى طالب

ماذا تقـولون إن قال النبى لكم * ماذا فعلتم وأنـتم أفضـل الأمم
بعـترَتى و بأهـلى بعـد منطلَقى * منهم أُسَارى وقتلَى ضُرِّجوا بدم
[ما كان هذا جزائى أن نصحتُ لكم * أن تَخْلُفونى بقتلٍ فى ذوى رحمى][2]

فما سمعها أحد إلا بكى .

[[2]دخل زيد بن علىّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفتما .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمَّر بعدى حتى يولد لى مولود آسمه كآسمى يَبْقَر العلم بَقْرا فاذا لقيتَه فأقرئه منى السلام» فكان جابر يتردّد فى سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر، حتى قال

(١) كذا بالألمـانية وفى الفتوغرافية «سيّار بن الحكم» . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

الناس : قد جُنّ جابر . فبينا هو ذات يوم بالبَلَاط اذ بَصُر بجارية يتورّكها صبيّ فقال لها : ياجارية، من هذا الصبي؟ قالت : هذا محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب . فقال : أَدْنيه منى فأدنته منه فقبّل بين عينيه وقال : يا حبيبى ، رسول الله يقرئك السلام. ثم قال: نُعيت الىّ نفسى وربِّ الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغنى أنك تَرَبَّصُ(١) نفسُك للخلافة وتطمع فيها وأنت ٱبن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم فى أولاد السَّرارِى تقصيرا عن بلوغ غاية ماأعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أَثْلَتِنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونُكرِمَكم * وأن نكُفّ الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبّكم * ولا نلومكم ألّا تحبّونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا فى كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

قالت الحكماء : المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء والكلأ والمُحْتَطَب .

قال ٱبن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه عُوفى من وبائها. وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من فَحَا(٢) أرضنا فقلّما أكل قوم من فَحَا أرض فضرّهم ماؤها .

(١) هكذا فى الأصل، وفى الجملة حذف. ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن على ، كما يدل عليه باقى القصة ورواية العقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا فى النسخة الألمانية ، واقتصر فى الفتوغرافية على قوله «كتب زيد بن على بن الحسين الى هشام بن عبد الملك» ثم ساق الأبيات .

(٢) الفحا : توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما : لسان العرب .

حدّثنى الرياشيّ قال حدّثنى الأصمعيّ قال، قال معاوية : أغبطُ الناسِ عندى سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالحجاز، يتربّع جُدّة ويتقيّظ الطائف ويتشتّى مكة .

حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنـا الأصمعيّ قال : أربعة أشـياء قد ملأت الدنيـا لا تكون إلا باليمن : الخِطْر والكُنْدُر والعَصَب والوَرْس .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : اليهود لا تأ كل من بقل سُورَى وتقول: هى مَغِيض الطوفان . قال وقال الأصمعى عن مَعْمَر[(1)] قال : سـبعٌ محفوظات وسبع ملعونات ، فمن المحفوظـات نَجْرَان ومن الملعـونات أَثَافِتُ [وبَرْذَعَة][(2)] . وأثافِتُ باليمن . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هـــذه القرية ؟ فقالت ويحك ! أما سمعت قول الشاعر

أحب أثَافِتَ عند القِطَاف * وعنـد عُصَـارة أعنابها

[قال الأصمعى[(2)] : سواد البصرة الأَهْواز ودَسْتُمِيسَان وفارس، وسواد الكوفة كَسْكَر الى التراب[(3)] الى عمل حُلْوان الى القادسية، وعمل العراق هِيتُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الريّ وخُراسان الى الديلم والجبال كلها ، وأصبهان صرّة العراق افتتحها أبو موسى الأشعرى، والجزيرة ما بين دِجلة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل فى عمل العراق] .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال : أوّل قرية بنيت بعـد الطوفان قرية بقَرْدَى تسمى سوقَ ثمانين، كان نوح لمـا خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمـانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمـانية «معتمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى اللغوى النحوى وقد كان معاصرا للأصمعى . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

(٣) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزاب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحَرّان سميت بهَارَانَ بن آزَرَ أخى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

[(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم لبُرَيدة : « يا بريدة إنه سيُبعث بعدى بُعُوث فاذا بُعِثْت فكن فى أهل بَعْث المشرق ثم فى بعث خراسان ثم فى بعث أرض يقال لها : مَرْو ، فاذا أتيتها فانزل مدينتها فانه بناها ذو القرنين وصلّى فيها ، غزيرةٌ أنهارُها تجرى بالبركة ، فى كل نقب منها ملَك شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدمها بُرِيدة(٢) فمات بها] .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى الأصمعى قال أخبرنى النِّمر بن هلال الحَبَطى عن قتَادة عن أبى جلدة(٣) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ .

[(١) وقال أبو صالح كنا عند ابن عباس فأقبل رجل فجلس ، فقال له : ممن أنت؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أىّ خراسان؟ قال : من هَرَاة . قال : من أىّ هراة؟ قال : من بُوشَنْج . ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : عامر يُصلّى فيه . قال : ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بُوشَنْج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التى عند المسجد ؟ قال : بحالها . قال : أخبرنى العباس أنه قال فى ظلها] .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الأصل «يزيد» وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية «أبى الجلد» ولم نعثر فى كتب التراجم على من تكنّى بهذه الكنية ، على أن من شيوخ قتادة «أبا بردة بن أبى موسى» فلعلّه محرف عنه .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون[١] الحرّانى عن عوف بن أبى جميلة عن الحسن البصرى قال : لمـّا قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها لحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة ويا أتباع البهيمة[٢] ، رغا فاتّبعتم وعُقر فانهزمتم . أما إنى لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « تُفتحُ أرضٌ يقال لها البصرةُ أَقْومُ الأرضين قبلةً ، قارئها أقرأ الناس ، وعابدها أعبد الناس ، وعالمها أعلم الناس ، ومُتصدّقها أعظم الناس صدقةً ، وتاجرها أعظم الناس تجارة . منها الى قرية يقال لها الأُبُلَّة أربعة فراسخ . يُسْتَشْهَدُ عنـد مسجد جامعها أربعون ألفا ، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معى يوم بدر » .

حدّثنا القاسم بن الحسن قال حدّثنا أبو سَلَمة قال أخبرنى أبو المُهَزِّم عن أبى هريرة قال : مُثّلت الدنيا على مثال طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان فاذا خربتا وقع الأمر .

وحدّثنى أيضا عن هارون بن معروف عن ضَمْرة عن ابن شَوْذَب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشدّ الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شوذب عن يزيد الرشد[٣] : قست البصرة فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى فوجدت طولها فرسخين غير دانِق .

وقال محمد بن سلام عن شُعيب بن صَخْر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلّتِ البصرةُ لجعلتُ الكوفةَ لمن دلّنى عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

(١) كذا بالنسخة الألمـانية ، وفى الفتوغرافية « يزيد بن خالد عن عبد الله بن ميمون المرقى » ولم نعثر فى كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدّثنا يزيد بن خالد بن عبدالله عن ميمون المرقى » إذ الاسمان موجودان معا فى كتب التراجم . (٢) يعنى بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها و بالبهيمة الجمل الذى ركبته ، وبه سمّى هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمـانية ، وفى الفتوغرافية « الرشت » وكلاهما محرف عن الرشك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبى يزيد الضُّبَعِى .

وآستعمله على الكوفة . [وقال[1] عليّ حين دخل البصرة : يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة رَغَا فأجبتم وعُقر فانهزمتم، دينكم نِفَاق وأخلاقكم رِقَاق وماؤكم زُعاق، يا أهل البصرة والبُصيرة [و] السُّبَيْخَة والخُرَيبة، أرضكم أبعد الأرض من السماء وأبعدها من الماء وأسرعها خرابا وغرقا .

مر عُتْبة بن غَزْوان بموضع المِرْبد فوجد فيها الكَذَّان الغليظ فقال : هذه البصرة فانزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختطَّ الناس البصرة سنة سبع عشرة] .

فخر ناس من بنى الحارث بن كعب عند أبى العباس، فقال أبو العباس لخالد بن صَفْوان : ألا تكلّم يا خالد؟ قال : أخوال أمير المؤمنين وأهله . قال : فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعَصَبته . قال خالد : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج بُرْد ودابغ جلد وسائس قرد، دلَّ عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة .

[سئل[1] خالد عن الكوفة فقال: نحن منابتنا قصب، وأنهارنا عجب، وثمارنا رُطب، وأرضنا ذهب . قال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرِيَّة[2] وأعظم منكم بَحْرِيَّة[3] وأغذى منكم برِّية . وقال أبو بكر الهذليّ : نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجَّاجا] .

وقال الخليل فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة

زُرْ وادىَ القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زَوْرة عن غير ميعاد

تُرفا به السُّفْن والظُّلْمان واقفة * والضَّبُّ والنّون والملّاح والحادى

وقال آبن أبى عيينة فى مثل ذلك

يا جنةً فاتَت[4] الجِنَانَ فما * تبلغها قيمةٌ ولا ثمنُ

ألفتُها فاتخذتُها وطنا * إن فؤادى لحبّها وطنُ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى البيان والتبيين «وأعظم منكم تجربة» .
(٣) هكذا فى الأصل، وفى كتاب البيان للجاحظ أعذى بالعين المهملة وهو الأقرب الى الصواب يقال عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . (٤) كذا فى الأصول، وفى الأغانى : فاقت .

زوّج حيتانها الضِّباب بها * فهذه كَنّة وذا خَتَن

فانظر وفكِّر فيما تُطيف به (١) * إن الأريب المفكِّرُ الفطِنُ

من سُفُنٍ كالنَّعام مقبلة * ومن نَعَام كأنهـا سفنُ

أنشد محمد بن عمر عن ابن كُنَاسةَ فى ظهر الكوفة

وإن بها لو تعلمين أصائلا * وليـلا رقيقا مثل حاشـية البُرد

بلغنى عن إبراهيم بن مهدى عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التَّيْمى قال: لمـا أُمرت الأرض أن تغيض غاضت إلا أرض الكوفة فلُعنت، فجميع الأرض تُكرَب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران . وكان يقال: إذا كان علم الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شأمية فقد كمل .

[لمـا (٢) اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب، كتب عمر الى سعد فى بعثة روّاد يرتادون منزلا برّيّا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء . فسأل مَن قِبله عن هذه الصفة فيما يليهم، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين الى عين بنى الحذّاء، وكانت العرب تقول: أَدْلَع البَرُّ لسانه فى الرِّيف، فما كان يلى الفرات منه فهو المِلْطاط وما كان يلى الظهر منه فهو النِّجَاف (٣)، فكتب الى سعد يأمره به] .

وقال النابغة الجعدى يمدح الشأم

جاعلين الشأم حَمًّـا (٤) لهمُ * ولئن هَمّوا لنعم المنتقَلْ

موته أجر ومَحْيـاه غنى * وإليه عن أذاه معـتزَل

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما فى الأغانى . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى معجم ياقوت فى الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف» .

(٤) يقال حمّ حمّه أى قصد قصده .

وقال أيضا

ولكن قومى أصبحوا مثل خَيبر * بهـا داؤُهـا ولا تضرّ الأعاديا

قال الأصمعى : لم يولد بغَدير خُمٍّ مولود فعاش الى أن يحتـلم إلّا أن يتحوّل عنها . قال : وحَرَّة لَيْلَى ربما مرّ بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون أن من دخل أرض تُبَّت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عَجَب حتى يخرج منها ، ومن أقام بالموصـل عاما ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا فتفقّد عقله وجد النقصان فيه بيّنا . والناس يقولون : حُمَّى خيبر وطِحَال البحرين ودماميل الجزيرة وطواعين الشأم .

قالوا : من أطال الصوم بالمَصِيصة فى الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحُمّاها يكون فى وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمّى عن جميع البلدان ، وكل محموم فان حُمّاه إذا أقلعت عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود إلى التخليط و إلى أن يجتمع فى جوفه الفساد الا محمومَ الأهواز فإنها تعاود من فارقته لغير علّة حدثت ، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعى فى جبلها المطلّ عليها والجرارات(١) فى بيوتها ومن ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقّها مسايل كُنُفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال مُقامها(٢) وآستمرّت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية(٣) التى فيها الجرارات ، فإذا امتلأت يبسا وحرّا وعادت جمرة واحدة قذفت ماقبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباخ وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الجرارة بجبانة : عقيرب قتالة تجر ذنبها اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) فى الأصل «طالت معاناتها بذلك الجبل» والتصويب عن معجم ياقوت .

(٣) هكذا فى الأصل . وفى معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات الخ » ولعل صواب العبارة «قبلت بسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات فاذا امتلأت الخ» .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب : حدثنى مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهن ربما قبلن الطفل فيجدنه فى تلك الساعة محموما [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شق العراق إلى بلد الزنج لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النارجيل طمس الخمار على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شىء يسير . قال : وفى عهد سجستان على العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عياش لأبى بكر الهذلى يوم فاخره عند أبى العباس : إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها المـاء ببرده وعذوبتـه ، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها المـاء بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عطارد : إن الكوفة قد سفلت عن الشأم ووبائها وارتفعت عن البصرة وعمقها فهى مريئة مريعة عذبة ترية (١) ، إذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور ، وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد وورده وياسمينه وأترجه ، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة عجوز بخراء أوتيت من كل حلى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة فى سمر يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقال يزيد : أى البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأزاذ والمعقلى وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بشير العجلى : لست أشك أيها الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به اليه . قال : أجل ، قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأى الرطب تحملون اليه؟ قال : المشان . قال : ليس بالبصرة منه واحدة . ثم أية؟ قال : السابرى . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن

(١) كذا بالأصول ، وفى معجم البلدان : «وحرها» .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأىّ التمر تحملون اليه ؟ قال : النِّرْسِيَان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال . ثم أية ؟ قال : الهَيْرُون أَزَاذ . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأىّ القَسْب تحملون اليـه ؟ قال : قَسْب العنبر . قال : ولا بالبصرة منـه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادّعى عليك خمسا فشاركته فى واحدة وسلّمتَ له أربعا، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف، فقال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعَزَب والمفلِس: أما الجائع فيأ كل خبز الأرز والصِّحْناء(١) لا ينفق فى الشهر درهمين، وأما العزب فيتزوج بشق درهم، وأما المحتاج فلا عَيْلة عليه ما بقيت عليه آستُه يخرأ ويبيع .

أبو الحسن المدائنى قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليـد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنّا بمكة على السـواء لعلمت . قال معاوية : إذًا كنتُ أكون ابن أبى سفيان منزلى الأبطح ينشقّ عنه سيله، وكنتَ ابنَ خالد منزلك أَجْيادٌ أعلاه مَدَرَة وأسفله عَذِرَة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رَثّة ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تغلب . فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقال له : أرى رِجْلين قلّما وطئتا البطحاء . قال له التغلَبىّ : البَطْحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهى لى دونك ، وبطحاء ذى قار وأنا أحق بها منك، وهذه البطحاء، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تُنزلنى ماء سـوء فأكون آمرأ سوء . قال خالد ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثـل الأُبُلّة أقرب مسافة ولا أعذب نُطفة ولا

(١) إدام يتخذ من السمك الصغار .

أوطأ مطيّة ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبى عيينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسنَ ذاك القصر قصرا ونزهة * بأَفْيح سهل غير وَعْر ولا ضَنْك
بغرس كأبكار الجوارى وتُرْبة * كأن ثرَاها ماء وَرد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرن حوله * الى ملك مُوفٍ على منبر الملك
يُدِلُّ عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهى مُطرقة تبكى

قال جعفر بن سليمان (١) : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمِرْبَد عين البصرة ، ودَارِينُ عين المِربَد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخِصْب من شقّ العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشأم كان الخِصب بالشأم ، وإذا عمّ جوانب البيت كان المطر عاما . قال : (٢) [وذرع الكعبة أربعمائة وتسعون ذراعا] .

المدائنى قال قال الحجاج : لما تبوّأتِ الأمورُ منازلَها قالت الطاعة : أنزل الشأم ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشِّقوة : [و] أنا معك .

---

(١) فى الفتوغرافية «مسلم» وفى الألمانية «سليمان» و يوافقه ما فى لطائف المعارف للثعالبى .
(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

تم كتاب الحرب ويتلوه فى الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السؤدد

مخايل السُّؤْدُد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة رحمه الله : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعى قال : أخبرنا جميع بن أبى غاضرة وكان شيخا مُسِنًّا من أهل البادية وكان من ولد الزِّبْرِقان بن بدر من قِبل النساء، قال : كان الزبرقان يقول : أبغضُ صبيانِنا إلىّ الأُقَيْعِسُ الذكرِ الذى كأنما يَطَّلع فى حجره، وإن سأله القوم أين أبوك، هرّ فى وجوههم وقال : ما تريدون من أبى. وأحبُّ صبياننا إلىّ الطويلُ الغُرْلة السَّبْط الغُرّة العريض الورك الأبله العَقول الذى يطيع عمّه ويعصى أمه، وإن سأله القوم أين أبوك، قال : معكم .

قال وقال الأصمَعى قال معاوية : ثلاث من السُودد : الصَّلَع، واندحاق البطن، وترك الإفراط فى الغَيرة .

قال وقيل لأعرابى : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغرّة طويل الغُرلة مُلْتاثَ الإزْرة وكانت فيه لَوْثة فلسنا نشكّ فى سودده . وقيل لآخر : أىّ الغلمان أسود ؟ قال : اذا رأيتَه أَعْنق أَشْدق أَحْمق فأَقْرِب به من السودد . وكان يقال : اذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حَديد الأرنبة كأنما جبينه صَلَاية فلا تَرْجُه، إلا أن يريد الله أمرا فيبلغه .

حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعي قال : قريش تمدح بالصَّلَع . وأنشد

إن سعيدًا وسعيدٌ فرعُ * أصلع تنميــه رجال صُلْع

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إنى أظن هـذا الغلام سيسود قومه . فقالت هند : ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه .

قال شبيب بن شيبة لبعض فُرسان بنى مِنْقَر : ما مُطِلتَ مَطْلَ الفُرسان ولا فُتِقتَ فَتْق السادة . وقال آخر لِســنَان بن سَــلَمة الهُذَلىّ : ما أنت بأَرْسَحَ(١) فتكون فارسا ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا . وقال بعض الشعراء

فقبّلت رأسا لم يكن رأس سَــيِّد * وكَفًّا ككَفّ الضَّبِّ أوهى أحقر

وقال آخر

دعا ابنُ مُطِيع للبِيَاع بجمْتُــه * الى بَيْعَـــة قلبى لهـا غيرُ آلف

فنا ولنى خشــناءَ لَمّـا لَمستُهـا * بكَفّىَ ليست من أكُفّ الخلائف

وقرأت فى كتاب للهند أنه قد قيل فى الفِراسة والتَّوَسُّم : إنه من صغُرت عينه [و] دام اختلاجها وتتابع طَرْفها ومال أنفُه إلى أيمن شقّيه وبعُــد ما بين حاجبيه وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفّت تارة بعــد أُخرى ، غَلبَت عليه أخلاق السوء .

كان يقال : أربع يُسَوِّدْنَ العبد : الأدب، والصّدق، والعفّة، والأمانة . وقال بعض الشعراء فى النبى صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيــه آياتٌ مُبَيّنة * كانت بَدَاهته تُنْبِيك بالخبر

وقال معاوية : إنى لأكره البكارة(٢) فى السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ولعلها محرّفة عن «الغباوة أو البلادة» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر فى هذا المعنى

ليس الغَبِىّ بسيّد فى قومه * لكنّ سَـيِّدَ قومه المُتَغابِى

ويقال فى مَثَلٍ : «ليس أمير القوم بالخَبِّ الخَدِع» . وقال الفرزدق

لاخير فى خِبٍّ من تُرجَى فواضِـلُه * فاستمطِروا من قريش كل مُنخَدِع

كأنّ فيـه إذا حاولتَـه بَلَهًا * عن ماله وهو وافى العقل والوَرَع

وقال إياس بن معاوية : لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يخدعنى . وقال مالك بن أَنَس عن ابن شهاب : الكريم لمّـا تُحكِمْه التجارب .

قال بعض الشعراء

غيرَ أَنِّى أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يَسُــودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السـيد الجواد حين يُسأل، الحليم حين يُسْتجهَل، البارّ بمن يعاشِر . قال عَدِىّ بن حاتم : السيد الذليل فى نفسه، الأحمق فى ماله، المُطَّرِح لحقده، المعنِىّ بأمر عامّته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد، فقال: بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقَيْس بن عاصم : بم سدتَ قومك؟ فقال : ببذل القِرَى وترك المِرَا ونُصْرة المَوْلى . وقال على بن عبد الله بن عباس : سادة الناس فى الدنيـا الأسخياء وفى الآخرة الأتقياء . وقال سَلْم بن قُتَيبة لولده : إنكم لن تسودوا حتى تصبروا على سِرَار الشيوخ البُخْر . وقال : الدنيا هى العافيـة ، والصحة هى الشباب، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هَدّاب : كنا نعرف سُودد سلم ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد عيبَه : بم سدتَ قومك ؟ قال : بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العَنَزِىّ (١) : أخبرنى عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية، وهو فى النسخة الفتوغرافية غير واضح، وذكر فى العقد الفريد فى باب السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنباع .

ابن مِسْمَع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فى أىّ شىء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السُّودد، ولم يَلِ شيئا قط . وكذلك أسماء ابن خارجة لم يل شيئا قط . قيل لعَرَابة الأوْسىّ : بم سُدْتَ قومك ؟ فقال بأربع : أنخدع لهم عن مالى، وأذِلُّ لهم فى عِرضى، ولا أحقِر صغيرهم، ولا أحسُد رفيعهم.

وقال المُقَنَّع الكِندىّ وهو محمد بن عميرة

ولا أحمِــلُ الحِقْــدَ القديم عليهِمُ * وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نَصْرى سِرَاعًا وإن هُمُ * دعَوْنى الى نصر أتيتُهُمُ شَــدّا
إذا أكلوا لحمى وفَرْتُ لحومَهــم * وإن هدموا مجدى بَنَيْتُ لهم مجدا
يُعَيِّرنى بالدَّيْــن قومى وإنمــا * ديونِىَ فى أشياء تَكْسِبهم حَمْدا

وقال آخر

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيْسارٌ ذوو يَسَرٍ * سُوّاس مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيْسارِ
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يُمَــارُون إن مارَوْا بإكثار
مَنْ تَلْقَ منهم تقل لاقيتُ سيِّدَهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر

وإنّ سيادةَ الأقوام فاْعلم * لها صُعَدَاء مَطْلَعُها طويلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نسوّد الا من يُوَطّئنا رَحْله ويُفَرِّشنا عِرْضه ويُمَلِّكنا ماله . وفى الحديث المرفوع : «مَنْ بذل معروفه وكفّ أذاه فذلك السيد» . ويقال : لا سُودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد مُعَمَّم » يريدون أنّ كل جِنَاية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يَعْتَمّ بعمامة صفراء لا يعتم بها غيره . وإنمــا سُمِّى الزِّبرِقان بصفرة عمامته . يقال : زَبْرَقْت الشىء إذا صفَّرته، وكان اسمه حُصَينا . قيــل لابن هُبَيْرة : مَن سيدُ الناس اليوم ؟ قال : الفَرَزْدَق، هجانى مَلِكا ومدحنى سُوقَةً . وقال عامر بن الطُّفَيْل

إنى وإن كنتُ ابنَ سيدِ عامرٍ * وفارسها المشهورِ فى كل موْكبِ
فما سوَّدتنى عامرٌ عن وِراثة * أبَى اللهُ أن أسمُوَ بأُمٍّ ولا أبِ
ولكنَّنى أحْمِى حِمَاها وأتّقى * أذاها وأرمى من رماها بمنكِبِ

هذا نحو قول الآخر

نفسُ عِصامٍ سوّدت عِصاما * وعلّمتـه الكَرَّ والإقداما
* وصيّرته ملِكا هُمَاما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المُنْذِر . وله يقول النابغة

فإنّى لا ألوم على دُخـول * ولكن ما وراءكَ يا عِصامُ؟

الكمال والتناهى فى السُّودَد

حدّثنى أبو حَمْزة الأنصارىّ عن العُتْبىّ قال، قال الأحنف : الكامل من عُدّت هَفَواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فولِّه ، فكتب اليه : إن قِبَلى رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قَيْس، وسِنَان بن سَلَمة الهُذَلى . فكتب اليه معاوية : بأىّ يومَىِ الأحنف نكافيه : أبِخذْلانه أمَّ المؤمنين، أم بسَعْيه علينا يوم صِفِّين؟ فوجّه سنانا، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسودد مالا تنفعه الولاية ولا يضرّه العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا

أوحده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمُسْتَنْكَر * أن يجمعَ العالَمَ فى واحد

وقال أيضا فى نحو هذا

ياناق لا تسأمى أو تبلُغى رجلا * تقْبيلُ راحته والرُّكنِ سيّانِ
متى تُحَطِّى اليه الرَّحلَ سالمةً * تَسْتَجْمِعى الخلْقَ فى تِمثال إنسان

محمد خير من يمشى على قَــدَم * ممن برا اللهُ من إنس ومن جان
تنازع الأحمدان الشِّــبْهَ فاشتبها * خَلْقا وخُلْقا كما قُــدَّ الشِّراكان
سِيّانِ لافرق فى المعقول بينهما * معناهمــا واحد والعِــدّة اثنان

وقال الطائى

لو أنّ إجماعَنا فى فضــل سُودَده * فى الدين، لم يختلف فى المِلة اثنان

وقال أيضا

فلو صوَّرتَ نفسك لم تَزِدها * على مافيك من كرم الطِّباع

وقال خالد بن صَفْوان : كان الأحنف يفرّ من الشرف والشرف يتبعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : وفد الأحنف والمنــذر بن الجَارُود الى معاوية، فتهيّأ المنــذر وخرج الأحنف على قَعود وعليــه بَتٌّ، فكلما مرّ المنذر قال الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أرانى تزيّنْتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف : ماأعظم مِنّتنا عليك ! فضّلناك وسوّدناك، فقال : هذا شِبْل بن مَعْبَد، من سوّده وليس بالحَضْرة بجلىّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبــد الأعلى الشاعر الشَّيْبانىّ : مَن أكرمُ العرب أو مَن خيرُ الناس ؟ قال : مَن يُحبُّ الناسُ أن يكونوا منــه، ولا يُحب أن يكون من أحد، يعنى بنى هاشم . قال : مَن ألأم النــاس ؟ قال : مَن يُحب أن يكون من غيره، ولا يُحب غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إن الشَّرَف نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان يقال : أكرمُ الصَّفَايا أشدّها وَلَهًا إلى أولادها، وأكرمُ الإبل أحنُّها إلى أوطانها، وأكرم الأفْلاء(١) أشدُّها ملازمةً لأمهاتها، وخير الناس آلَفُ الناس للناس .

(١) جمع فِلْو بالكسر أو كعدوّ وسُمُوّ، وهو الجحش أو المهر اذا فطما أو بلغا السنة .

السّيادة والكمال فى الحَدَاثة

قال الأحنف : السّودد مع السـواد ، يريد أنه يكون سيدا من أتتـه السيادة فى حداثته وسواد رأسـه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد النـاس وعامّتهـم يُراد أن السُّودد يكون بتسويد العامّة . وقال أبو اليقْظان ولّى الحجّاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحَكَم الثّقَفِىّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم، ثم ولّاه السِّنْدَ فافتتح السندَ والهندَ وقاد الجيوشَ وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السماحة والمُرُوءة والنّدى * لمحمد بن القاسم بن محمـد
قاد الجيوشَ لِسبْعَ عَشْرَةَ حِجّةً * ياقربَ ذلك سُوددا من مولد!

ويروى* ياقرب ذلك سُورةمن مولد *السُّورة المنزلة الرفيعة. قال أبو اليقظان: وهو جعل شِيرَاز[1] معسكرا ومنزلا لوُلاة فارس. وقال حمزة بن بيض لمخلَّد بن يزيد بن المُهَلّب

بلغت لعشر مضت من سِنيـ * ـك ما يبـلغ السـيّدُ الأشيب
فهمُّك فيهـا جِسام الأمور * وهمُّ لِدَاتك أن يلعبـوا

نظر الحُطَيئة الى ابن عباس يتكلم فى مجلس عمر، فقال : مَن هذا الذى نزل عن الناس فى سـنه[2] وعَلَاهم فى قوله ! وقال ابن مسـعود : لوبلغ أسناننا ما عشره منّا رجل . ونظر رجل إلى أبى دُلَف فى مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء سنه . وولى عُبَيد الله بن زِياد خُراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها لمعاوية . وقيل لزياد عنـد موته : استخلِف عبيد الله ، فقال : إن يَكُ فيـه خير فسيولّيه عمُّه ، فلما مات زياد شخص عبيـد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يولّيك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين، لا يقولنّها أحد

(١) قال ابن برى هو بكسر الباء لا غير، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عاشره وقال فى بيانها : لو كان فى السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشر عليه .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعملاه، فرغب فيه فاستعمله على خراسان . وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناسُ عن ابراهيم النَّخَعىّ وهو ابن ثمـانى عشرة سنة . وولّى رسول الله صلى الله عليه وسـلم عَتّاب بن أَسِـيد مكة وهو ابن خمس وعشرين سنة . وسوّدت قُريش أبا جهل ولم يطُرّ شاربه فأدخلته مع الكهول دارَ النَّدوة . قال الكميت

رُفِعتْ إليـك وما ثُغِرْ(١) * تَ عيونُ مستمِع وناظر
ورأوا عليك ومنك فى الـ * ـمهد النُّهَى ذات البصائر

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوّز يريد الكلام ، فقال عمر : كَبِّروا كَبِّروا، فقال الفتى : ياأمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان فى المسلمين من هو أسنّ منك، قال صدقتَ فتكلّم . قال الشاعر فى خلاف هذا المعنى

إنما الهُلْكُ أن يُساسوا بغِرٍّ * لم تُعِرْه الأيامُ رأيا وَثِيقَا

وقال آخر

ألا قالت الحسـناء يومَ لقيتهـا * كبِرتَ،ولم تجزع من الشيب مَجْزعا
رأت ذا عصًا يمشى عليها وشيبة * تَقَنَّعَ منها رأسـه ما تقنَّعا
فقلتُ لهـا: لا تهزَئى بى فقلّما * يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
ولَلْقارحُ اليَعْبُوبُ خـيرٌ عُلَالَةً * من الجذَع المُجْرَى وأبعدُ مَنْزَعَا

رأى بُكَير بن الأخنس المُهَلّبَ وهو غلام فقال

خذونى به إن لم يَسُد سَرَواتِهم * ويبرع حتى لا يكون له مِثْلُ

(١) يقال ثغر الغلام اذا سقطت أسنانه الرواضع .

الهمّة والخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جُوَيرية عن محمد بن ذُؤيب الفُقَيمىّ[1] وهو العُمانىّ الراجز عن دُكَيْن الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلف أستنجزُ منه وعدا كان وعدنيه وهو والى المدينة، فقال لى : يا دُكَين إن لى نفسا توّاقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت الى الخلافة، فلما نلتها تاقت الى الجنة . وما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئا، وما عندى إلا ألفا درهم، فاختر أيَّهما شئت، وهو يضحك. فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلُك خيرٌ من كثير غيرك ، ويقال قليلك خير من كبير غيرك، فاختر لى أنت، فدفع إلىّ ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فابتعتُ بها إبلا وسُقتها الى البادية، فرمى الله فى أذنابها بالبركة بدعوته حتى رزقنى الله ماترون .

قال معاوية لعمرو بن العاص حين نظر معسكر علىّ عليه السلام : من طلب عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول: عليكم بكل أمر مَزْلَقَةٍ مَهْلَكةٍ. أى عليكم بجِسام الأمور . وقال كَعْب بن زُهَير

وليس لمن لم يركب الهولَ بُغيةٌ * وليس لرَحْلٍ حطّه الله حامِلُ
إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والخَنَا * أَصَبْتَ حليما أو أصابك جاهل

وفى كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همّة وعظيم خَطَر : عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ . وفيه أيضا : لا ينبغى أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرّما أو مع النُّسّاك مُتَبتّلا ، كالفيل لا يَحسُن أن يُرَى إلا فى موضعين : فى البرّيّة وحشيا أو للملوك مركَبا. وفيه أيضا: ذو الهمة إن حُطّ فنفسُه تأبى إلا عُلُوّا كالشُّعلة من النار يُصَوّبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العتّابىّ

تلوم على ترك الغنى باهليّةٌ * طوى الدّهرُ عنها كلّ طِرْفٍ وتالد

(١) نسبة الى فقيم دارم، قال فى القاموس : والنسبة الى فقيم كنانة فُقَمىّ كعُرَنىّ وهم نَسَأة الشهور فى الجاهلية، والى فقيم دارم فقيمى اهـ .

يسرّكِ أنى نِلتُ ما نال جعفــر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأنّ أمير المؤمنين أغصّنى * مغصّهما بالمُشْرِقات البــوارد؟
ذَرِينى تَجِئْـنى مِيتتى مُطْمئنّـةً * ولم أتقحّم هــولَ تلك الموارد
فإن كريمات المعــالى مَشُوبة * بمستودَعات فى بطون الأساوِد

وقال الطائىّ

وأخرى لحَتْنِى يومَ لم أمنع النَّوى * قِيــادى ولم يَنقُض زِمَاعِىَ ناقضُ
أرادت بأن يَحوِى الغِنى وهو وادعٌ * وهل يَفرِسُ الليثُ الطَّلَا وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقلْقُلِ(١) وٱستثِرْ * بالعِيس من تحت السُّهاد هُجُودا
ما إن ترى الأحسابَ بِيضًا وُضَّحًا * إلا بحيث ترى المنـايا سُــودا

وقال آخر

* ما العزُّ إلا تحت ثوب الكدّ *

وقال آخر

الذُّلّ فى دَعة النفوس ولا أرى * عِزّ المعيشــة دون أن يُشْقَى لها

وقال بعض المُحْدَثين وأظنه البُحْتُرِىّ

فاطلبا ثالثــا ســواىَ فإنّى * رابعُ العِيس والدُّجَى والبِيدِ
لستُ بالواهن المقيم ولا القا * ئل يوما إن الغنى بالجُدود
وإذا استُصْعِبت مَقادةُ أمرٍ * سَهّلتها أيدى المَهَارِى القُود

وقال عبد الله بن أبى الشِّيص

أظنّ الدهر قد آلى فبرّا * بأن لا يَكسِبَ الأموالَ حُرّا
لقــد قعــد الزمانُ بكل حُرّ * ونقّض مِن قُــواه المُسْتَمِرّا
كأن صفائح الأحرار أَرْدَتْ * أباه فحارب الأحرار طُرّا

(١) فى النسخة الألمانية : التقلد، وفى الفتوغرافية : التقلل، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كلُّ ذى شرف ركوبا * لأعناق الدجى برًّا وبحرا
فهتّك جَيْبَ درع الليل عنه * إذا ماجيبُ درع الليل زُرّا
يراقبُ للغنَى وجها ضحُوكا * ووجها للمنيّة مُكْفهِرّا
ومن جعل الظلامَ له قَعُودا * أصاب به الدجى خيرا وشرّا

وكان يقال : مَن سرّه أن يعيش مسرورا فليقنَع، ومن أراد الذكر فليجهَد. قيل للعتّابىّ : فلان بعيدُ الهمة، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة. وقيل لبعض الحكماء : مَن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتّسعت معرفته وضاقت مقدرته وبَعُدت همّتُه .

وقال عَدىّ بن الرِّقاع

والمرء يُورِثُ جودَه أبناءَه * ويموتُ آخرُ وهو فى الأحياء

أبو اليقظان قال : كان أوّلُ عمل وليَه الحجّاج تَبَالَةَ، فسار اليها فلما قرُب منها قال للدليل : أين هى وعلى أىّ سَمْت هى؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمةُ . قال لا أرانى أميرا إلّا على موضع تستر منه أَكَمة ! أهْوِنْ بها وِلاية! وكرّ راجعا . فقيل فى المثل : «أهوَنُ من تَبالةَ على الحجّاج» . وقال الطائىّ

وطولُ مُقام المرء فى الحىّ مُخْلِقٌ * لديباجتيهِ فاغتربْ تتجدّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَت محبّةً * إلى الناس أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهل قدرَه وتعدّى طَوْره فشقّ العصا وفرّق الجماعة ، لا جَرم لقد هُزم ثم أُسر ثم قُتل ثم صُلب . قال الآخر : دَعْنى من ذكر هزيمة أبى ومن صَلْبه، أبوك ما حدّث نفسه بشىء من هذا قطّ . قال حاتم طيئ

لحى اللهُ صُعلوكًا مُناه وهَمُّه * من العيش أن يلقى لَبوسا ومَطْعما
يرى الخِمْص تعذيبا وإن يلْقَ شَبْعة * يَبِتْ قلبُه من قلّة الهمّ مُبْهَما
ولله صُعلوكٌ يُساوِر همّه * ويمضى على الأهوال والدهرِ مُقْدِما

يرى قوسَـه أو رُمحه ومِجنَّــه * وذا شُطَبٍ لَدْنَ المَهَزَّة مِخْذَما
وأحنـاءَ سرجٍ قاترٍ (١) ولجامَـه * مُعَدًا لدى الهَيْجا وطِرْفا مُسَوَّما
فذلك إن يَهْلِك فحُسْنَى ثناؤه * وإن يحْىَ لا يقعُدْ لئيما مُذَمَّما

وقال آخر

لا يمنعنّك خَفْضَ العيش تطلبه * نزاعُ شوق الى أهل وأوطانِ
تَلْقى بكلِّ بلاد إن حللتَ بها * أهلا بأهــل وجيرانا بجيران

ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسبٌ فخير البلاد ما حملكَ. وقال عُرْوة بن الوَرْد

لحى اللهُ صُعلوكا إذا جَنّ ليلُه * مُصافى المُشاش (٢) آلفا كلَّ مَجْزِرِ
يعُدّ الغنى من دهره كلَّ ليلة * أصاب قِراها من صديق مُيَسَّرِ
ينـام عِشاء ثم يُصبِحُ قاعدا * يَحُتّ الحصا من جنبه المُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نساءَ الحىّ لا يستَعِنَّه * ويُمسِى طَلِيحا كالبعير المُحَسَّر
ولله صُعلوكٌ صَفِيحةُ (٣) وجهه * كضوء شهاب القابس المُتَنَوِّر
مُطِـلٌّ على أعدائه يزجُرونه * بساحتهم زجر المَنِيح المُشَهَّر

وقال آخر

تقول سُلَيمى: لو أقمتَ بأرضنا! * ولم تَدْرِ أنى للمُقـام أطـوفُ

وقال الطائىّ فى نحوه

أآلِفَـةَ النَّحِيب كم افتراقٍ * أظَلَّ (٤) فكان داعيـةَ اجتماع
وما إن فرحةُ الاوباتِ إلا * لموقوفٍ على تَرَح الوَداع

---

(١) القاتر والمُقْتِر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها . قاموس .
(٢) المشاش جمع مشاشة وهى رأس العظم الممكن مضغه . (٣) كذا فى الأصول والأغانى، وفى الحماسة : «ولكن صعلوكا الخ» . (٤) فى الأصول اظل، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى رَوح بن حاتم واقفا فى الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقُوفك فى الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مُقامى فى الظل . وقال خِداش بن زُهير

ولن أكون كمن ألقى رِحالَته * على الحمار وخَلّى صَهْوة الفرس

وقال آخر

لا أنتَ قصّرتَ عن مجدٍ ولا أنا، إذ * أسْمُو إليك بنفسى، قصّرتْ هِمَمى

قال عمر بن الخطاب : أشنِعُوا بالكُنَى فإنها منبِّهة . دخل عُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان التيمىّ على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : ألَا أُوصى بك الأميرَ؟ فقال عبيد الله : إذا لم يكن للحىّ إلّا وصيّةُ الميت فالحىّ هو الميت . وقال الشاعر فى نحوه

إذا ما الحىّ عاش بعَظْمِ مَيْتٍ * فذاك العظمُ حىٌّ وهو مَيْتُ

وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صبىّ : إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلىّ ولم يُوصِ بى . نظر أبو الحارث حمير إلى بِرْذَوْنٍ يُستَقى عليه، فقال: المرء حيث يجعل نفسَه، لو هَمْلَجَ هذا لم يُبْلَ بما تَرَوْن . قال الطائىّ

وقلقَلَ نابِى من خراسان جاشُها * فقلت اطمئنى أنضرُ الرَّوضِ عازِبُهْ

وركب كأطراف الأسنّة عرّسوا * على مثلها، والليل تَسْطو غياهبُه

لأمرٍ عليهم أن تتِمّ صدورُه، * وليس عليهم أن تتمّ عواقبُه

وقال آخر

وعِش مَلِكا أو مُت كريما، وإن تمت * وسيفُك مشهور بكفك تُعذَرِ

والمشهور فى هذا قول امرئ القيس

فلو أن ما أسعَى لأدنَى معيشةٍ * كفانى ولم أطلُب قليلٌ من المال

ولكنّما أسعَى لمجدٍ مؤَثَّلٍ * وقد يدرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالى

وقوله

بكى صاحبي لـمّا رأى الدربَ دونه * وأيْقَن أنّا لاحقان بقَيْصرا
فقلت له : لا تبكِ عينُـك ، إنمـا * نُحاول مُلكا أو نموتَ فنُعذَرا

وقال أبو نُوَاس

سأبغِى الغِنَى إمّا جليسَ خَلِيفةٍ * نقوم سَواءً ، أو مُخِيفَ سبيل

وقيل ليزيد بن المُهَلّب : ألَا تبنى دارا ! فقال : منزلى دارُ الإمارة أو الحبس . والمشهور فى سقوط الهمة قولُ الحُطَيْئة

دَعِ المكارمَ لا ترحَـل لبُغْيَتها * واْقعُد فإنك أنت الطاعِم الكاسِى

وقال مالك بن الرَّيْب

فإن تُنصِفونا آلَ مروانَ نَقترِبْ * إليــكم وإلّا فأْذَنوا بتَعَادِى[1]
فإنّ لنـا عنكم مَرَاحًا ومرحلا * بعِيسٍ الى ريح الفَـلَاة صَوَادِى
وفى الأرض عن دار المَذَلّة مَذْهبٌ * وكُلُّ بلادٍ أُوطِنَت كَبلادى
فمـاذا عسى الحجاج يَبلغُ جهدُه * إذا نحن جاوزنا حَفِيرَ زياد
فبِاْسْتِ أبى الحجاج واْستِ عَجُوزه * عُتَيِّــدُ[2] بَهْــمٍ يرْتَعى بوِهَـادِ
فلولا بنو مروان كان ابنُ يُوسفٍ * كما كان عبـدًا من عبيـدِ إياد
زمانَ هو المُقْرِى[3] المُقِــرُّ بذلّةٍ * يُرَاوِح غِلمانَ القُرى ويُغَـادِى

بعث يَحاب[4] خليفتها إلى ابن عائشـة المحدّث وهو عُبَيد الله بن محمد بن حَفْص التَّيْمىّ ، فأتاه فى حلقته فى المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلّا عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) فى الكامل للبرد طبع ليبزج : «ببعاد» بدل «تعادى» وهو الأنسب للسياق .
(٢) العتيد تصغير عتود وهو كما فى لسان العرب من أولاد المعز ما رعى وقوى وأتى عليه حول ، يصفه بالضعف .
(٣) المقرى طالب الضيافة ، وفى الحماسة والكامل : «العبد» . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخْلِيَنى . قال : فى حاجة لك أم فى حاجة لى؟ قال : فى حاجة لى . قال : فَٱلْقَنِى فى المنزل. قال: فإن الحاجة لك . قال : ما دون إخوانى سرّ .

وقال بعض لصوص هَمْدان وهو مالك بن حَرِيم

كذبتم و بيتِ الله لا تأخذونها * مُرَاغَمَــةً ما دام للسّيف قائمُ
متى تجمع القلبَ الذكِىَّ وصارما * وأنْفًا حَمِيًّا تجتنِبْــك المظــالمُ
ومَن يَطلبِ المــال المُمَنَّعَ بالقَنَا * يَعِشْ مُثْرِيًا أو تَخْتَرِمْه المَخَــارمُ
وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْنى غزوتُهم * فهل أنا فى ذا يالَ هَمْدان ظالمُ

وقال أبو النَّشْنَاش، من اللصوص

إذا المرءُ لم يَسْرَح سَوامًا ولم يُرِح * سَوامًا ولم تعطف عليــه أقاربُهْ
فَلَلْموتُ خيرٌ للفتى مِن حياته * فقــيرا ومِنْ مَوْلًى تدبّ عقاربه
وسائلةٍ بالغيب عنّى وســائلٍ * ومَن يسألُ الصُّعلوكَ أين مذاهبُه؟
وطامسةِ الأعلام مائلة الصُّوَى * سَرَتْ بأبى النَّشناش فيها ركائبه
فــلم أر مثلَ الفَقْر ضاجَعَه الفتى * ولا كسواد الليل أخفَق صاحبه (١)

وقال آخر من اللصوص

و إنّى لأستَحْيِى من الله أن أُرَى * أُطُوفُ بأرض ليس فيــه بعــيرُ
وأن أسألَ المــرء اللئــيم بعــيرَه * وبُعْرَانُ ربّى فى البــلاد كثيرُ
فلِلَّيــل إن وارانِىَ الليــلُ حكمَةٌ * وللشــمس إن غابت علىّ تدورُ
عَوَى الذّئبُ فاستأنَسْتُ للذئب إذ عوى * وصوّت إنسانٌ فكِدْتُ أطــيرُ
رأى اللهُ إنّى للأنيس لَشَــانِئٌ * وتُبْغِضُهــم لى مقْــلَةٌ وضَمِــيرُ

(١) فى الحماسة : «طالبه» . أى الطالب فيه .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب

خاطِر بنفسك كَىْ تُصيبَ غنيمةً * إنّ الجلوسَ مع العيال قبيـحُ
فالمـالُ فيـه تَجِـلَّةٌ ومهابةٌ * والفقـرُ فيـه مَـذَلّة وقُبُوحُ

وقال آخر

تقول ابنتى : إنّ انطلاقك واحدا * إلى الرَّوْع يومًا تارِكى لا أبَالِيَا
ذَرِينى من الإشفاق أو قدِّمى لنـا * مِنَ الحَدَثانِ والمنيَّةِ واقيـا
سَتَتْلَفُ نفسى أو سأَجْمعُ هَجْمـةً * تَرى ساقِيَيْها يَأْلَمَانِ التَّراقِيـا

وقال أوس بن حَجَر

ومَنْ يكُ مثلى ذا عيـالٍ ومُقْـتِراً * من المـال يطرحْ نفسَه كلَّ مطرحِ
ليُبْلِىَ عُـذْرًا أو ليَبْلغَ حاجةً، * ومُبلِـغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنجِحِ

وقال آخر

رمى الفقرُ بالأقوام حتى كأنّهم * بأطْراف آفاق البـلاد نجومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع . وقال الشاعر

خُلُقانِ لا أرضى اختلافَهما : * تِيـهُ الغِنى ، ومَذَلَّةُ الفقرِ
فإذا غَنِيتَ فلا تكن بَطِـرًا * وإذا افتقرتَ فَتِهْ على الدَّهرِ
واْصبر، فلستَ بواجدٍ خُلُقًا * أدنى إلى فرجٍ من الصَّبْرِ

كان أعرابىّ يمنع ابنَه من التصرف إشفاقا عليه، فقال شعرا فيه

إذا ما الفتى لم يَبْـغِ إلّا لِباسَــه * ومطعَمَه، فالخـيرُ منـه بعيـدُ
يُذَكِّرُنى خوفَ المنايا، ولم أكن * لأهرُبَ ممّـا ليس منـه مَحيـدُ
فلو كنتُ ذا مال لَقُرِّب مجْلِسى * وقيل إذا أخطأتُ : أنتَ رشيدُ
رأيتُ الغِنى قد صار فى الناس سُودَدًا، * وكان الفتى بالمَكْرُمات يسودُ

وإن قلتُ لم يُسمَع مَقالى وإننى * لَمُبدِئٌ حقٍّ بينهم ومُعيدُ
فذَرْنى أُجَوِّلْ فى البلاد لَعَلّه * يُسَرُّ صديقٌ أو يُساءُ حسودُ
ألا رُبّما كان الشَّفيقُ مَضَرَّةً * عليك من الإشفاق وهو وَدُودُ

وقال أعرابىّ من باهلة

سأُعْمِلُ نَصّ العِيس حتى يَكُفّنى * غِنَى المال يوما أو غِنى الحَدَثانِ
فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها * على الحرّ بالإقلال وَسْمُ هَوانِ
متى يَتَكلَّمْ يُلْغَ حُسنُ كلامه * وإن لم يَقُلْ قالوا : عَدِيمُ بَيانِ
كأنّ الغِنَى عن أهله ـ بُورِكَ الغِنَى ـ * بغير لسانٍ ناطقٌ بلسانِ

الشرف والسُّودَد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابىّ

ومَن يفتقرْ فى قومه يَحمَد الغِنى * وإن كان فيهم مَاجِدَ العَمِّ مُخْوِلَا
يَمُنُّون إن أعْطَوْا ويَبخَلُ بعضُهم * ويُحْسَبُ عجزًا سَكْتُه إن تَجَمَّلَا
ويُزْرِى بعقل المرء قِلّةُ ماله * وإن كان أقوى من رجالٍ وأحْوَلَا

وقرأت فى كتاب للهند : ليس من خَلّة يُمدَح بها الغَنِىُّ إلا ذُمّ بها الفقيرُ، فان كان شجاعا قيل أهْوَجُ ، وإن كان وَقُورًا قيل بليدٌ ، وإن كان لَسِنا قيل مِهذارٌ، وإن كان زِمِّيتا[1] قيل عَيِّ . وقال آخر

الفقرُ يُزْرِى بأقوام ذَوِى حسبٍ * وقد يُسَوِّدُ غيرَ السيّد المالُ

وأنشد ابن الأعرابىّ

رُزِقتُ لُبًّا ولم أُرزَق مُرُوءتَه * وما المروءة إلّا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُساماةً يُقَعِّدُنى * عمّا يُنَوِّه باسمى رِقّةُ الحالِ

(١) الزميت : كثير الوقار .

وقال آخر

يُغَطِّى عيوبَ المرء كثرةُ ماله * يُصدَّق فيما قال وهو كَذوبُ
ويُزْرِى بعقل المـرء قِلّةُ ماله * يُحَمِّقــه الأقــوامُ وهو لبيبُ

وقال آخر

كم من لئيم الجُدود سوّده الـ * ـمال، أبوه وأُمّــه الوَرِقُ
وكم كريم الجـدودِ ليس له * عيبٌ سوى أنّ ثوبه خَلَقُ
أدّبه سادةٌ كرام فما * ثوباه إلا العـفاف والخُـلُق

وأنشد الرِّياشيّ

غضبان[1] يعـلم أنّ المـال ساق له * ما لم يَسُـقْه له دِينٌ ولا خُلُق
لولا ثلاثون ألفـا سُقْتها بَطَـرًا * إلى ثلاثين ألفـا ضاقت الطُّرُق
فمَن يكن عن كِرام الناسِ يسألنى * فأكرمُ[2] الناسِ من كانت له وَرِق

وقال أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح

استغنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْك[3] ذو نَشَب * من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
يلوون ما عنـدهم من حق أقربهم * وعن صديقهـم والمـالُ بالوالى
ولا أزال على الزَّوْراء[4] أَعمُرها، * إنّ الكريم على الإخوان ذو المـال
كلّ النـــداء إذا ناديتُ يَخـذُلنى * إلّا ندائى إذا ناديتُ يا مالى

وقال حسّان

رُبّ حلمٍ أضاعه عَـدَمُ المـا * ل وجهـلٍ غطّى عليه النعيمُ

وقال الهُذَلىّ

رأيتُ مَعاشِرا يُثْنَى عليهـم * إذا شَبِعوا وأوجُهُهم قِباحُ

(١) فى العقد الفريد «حيران» . (٢) فى الأصل «قلت له الناس الخ» والتصويب عن العقد الفريد .
(٣) فى الأصول يعزرك بالعين والزاى ، والتصويب عن الأغانى . (٤) فى القاموس : الزوراء مال لأحيحة .

يَظَلُّ المُصْرِمون(١) لهم سُجُودا * ولو لم يُسْقَ عندهمُ ضَيَاحُ(٢)

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددت أنّ لى مثل أُحُد ذهبا لا أنتفع منه بشىء. قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمنى عليه. قال الصَّلَتان

إذا قلتَ يوما لمن قد ترى: * أرُونى السَّرِىَّ، أرَوْكَ الغَنِى

وسِرُّك ما كان عند آمرئٍ * وسِرُّ الثَّلاثة غيرُ الخَفِى

وقال آخر

لا تسألى النَّاسَ: ما مجدى وما شَرَفى، * الشأنُ فى فِضّتى والشأنُ فى ذهبى

لو لم يكن لِىَ مال لم يَطُرْ أحد * بابى ولم يعرفوا مجدى ومجد أبى

وقال آخر

أجلّك قوم حين صِرْتَ إلى الغِنَى، * وكُلُّ غَنِىٍّ فى العيون جليلُ

ولو كنتَ ذا عقل ولم تُؤتَ ثروةً * ذَلَلت لديهم والفقير ذليلُ

إذا مالت الدنيا على المرء رغّبَت * إليه ومال الناسُ حيث يميلُ

وليس الغِنَى إلّا غِنًى زَيّن الفتى * عشيّةَ يَقْرِى أو غداةَ يُنِيلُ

وقال آخر

وكُلُّ مُقِلٍّ حين يغدو لحاجةٍ * إلى كلّ من يغدو(٣) من الناس مذنبُ

وكان بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رَأَوْنى مُعْدِماً مات مرحبُ

وقال آخر

أبا مصلح أَصلِح ولا تك مفسدا * فانّ صلاحَ المال خيرٌ من الفقرِ

ألم تر أنّ المرء يزداد عِزّةً * على قومه إن يعلموا أنه مُثْرى

وقال عُرْوة بن الوَرْد

ذَرِينى للغِنَى أَسعى فإنى * رأيتُ النّاس شرُّهم الفقيرُ

(١) المصرم: الفقير الكثير العيال. (٢) الضياح: اللبن الرقيق الممزوج بالماء.

(٣) كذا بالأصول، وفى العقد الفريد «يلق».

وأبعدُهم وأهونُهم عليهــم * وإن أمسى له حَسَب وخِيرُ
ويُقصِيه النَّدِىُّ وتزدريه * حليلتُه وينهَــرُه الصــغيرُ
وتُلفِى ذا الغِنَى وله جلالٌ * يكاد فؤاد صاحبــه يطيرُ
قليــلٌ ذنبــه والذنبُ جَمٌّ * ولكن للغِنى ربٌّ غَفــورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل

وَيْكَأَنْ مَن يكن له نَشَــبٌ يُحْـ * ـبَبْ، ومن يَفتقرْ يعشْ عَيشَ ضرّ
ويُجَنَّب سرَّ النــجِىّ ولكنْـ * ـنَ أخا المــال مُحضَرٌ كلَّ سرّ

وقال آخر

ألم تر بيتَ الفقر يُهجَرُ أهــلُهُ * وبيتَ الغِنَى يُهْدَى له ويُزارُ .

وقال آخر

إذا ما قلّ مالك كنت فردا * وأىُّ الناس زُوّار المُقِلّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَارة

وما لبُّ اللبيب بغــير حظّ * بأغنى فى المعيشة من فَتيــلِ
رأيتُ الحظّ يســتُر عيبَ قوم * وهيهات الحظوظُ من العقول

وقال الطائىّ

الصبر كاسٍ وبطنُ الكف عاريةٌ * والعقلُ عارٍ اذا لم يُكسَ بالنَّشَب
ما أضيعَ العقلَ ان لم يَرْعَ ضيعتَه * وَفْرٌ، وأىّ رحًا دارت بلا قُطُب؟

وقال آخر

عِش بجَدٍّ ولا يضُرُّك نَوْكٌ(١) * انما عيشُ من تَرَى بالجدود
عِش بجــدّ وكن هَبَنَّقَةَ القيــ(٢) * ـسىَّ نَوْكا أو خالدَ بن يزيد

(١) فى الأصول «فلم»، والتصويب عن البيان للجاحظ .

(٢) فى البيان للجاحظ «شيبة بن الوليد»، وهو الموافق لما فى اللسان فى مادة هبنق .

وقال الطائىّ

يَنــالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ * ويُكْدِى الفتى فى دهره وهو عالمُ
ولو كانت الأرزاقُ تجرى على الحِجَــا * هلكنَ اذًا من جهلهنّ البهائمُ

وقال المَرّار

اذا لم تُرافِـد فى الرِّفاد ولم تَسُقْ * عدوّا ولم تستغن فالموت أروحُ

وقال ابن الدُّمَيْنة الثقفىّ

أطعتُ العِرْسَ فى الشهوات حتى * أعادتنى عَسِــيفًا عبـدَ عبـدِ
اذا ما جئتُهــا قــد بعتُ عَــذْقا * تُعــانِقُ أو تقبّــلُ أو تُفــدِّى

وقال الأسْعَر الجُعْفىّ

وخَصاصــةُ الجُعْفىّ ما دايَنتَــه * لا ينقضى أبدا وإن قيل انقضى
إخوانُ صدقٍ ما رأوك بِغبْطة * فان افتقرتَ فقد هوى بك ما هوى

وقال آخر

اذا المرء لم يَكسِب معاشا لنفســه * شكا الفقر أو لاقَى الصديقَ فأكثرا
وصار على الأدنين كَلًّا وأوشكت * صِلاتُ ذوى القربى له أن تنكّرا
فَسِر فى بلاد الله والتمس الغــنى * تَعِشْ ذا يسار أو تموتَ فتُعْــذَرا
وما طالبُ الحاجات من حيث تُبتغى * من النــاس إلا من أجدّ وشمّــرا
فــلا ترض من عيشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ * وكيف ينامُ الليلَ من كان مُعسِرا

وقال آخر

مَنْ يجمع المــالَ ولا يُثِبْ بِه * ويتركِ العــامَ لعــامَ جَدْبِه
* يَهُنْ على الناس هوانَ كلبه *

قال أبو اليَقْظَان : ماساد مُمْلِقٌ قط الا عُتبَةُ بن ربيعة .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمَة عن عُبَيد الله بن العيزار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احرُث لدنياك كأنّك تعيش أبدا واْحرُث لآخرتك كأنّك تموت غدًا .

قال حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنى أصحـاب أيّوب عن أيّوب قال : كان أبو قِلَابة يَحُثُّنى على الاحتراف ويقول : إنّ الغِنَى من العافية .

قال وقال الأصمعىّ : سأل اعرابىّ عن رجل فقالوا : أحمقُ مرزوقٌ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ مالَه فقد حفظ الأكرمَين: الدّينَ والعِرضَ . ويقال فى بعض كتب الله : أطعنى فيما آمرك ولا تُعلِّمنى بمـا ينفَعُك وآمدد يدَك لباب من العمل أفتحْ لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غَلَى دماغه فى الصيف غَلَتْ قِدْرُه فى الشتـاء . ويقال : حفظُ المـال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : اذا أردتم أن تعلموا منْ [أين][1] أصاب المـال فانظروا فيم ينفقه فانّ الخبيث يُنفَقُ سَرَفا . ونحوه قولهم: من أصاب مالا من نَهاوِش[2] أذهبه الله فى نَهابِر . ويُقال فى مثل « الكدّ قبل المدّ » يراد الطلبُ قبـل العجاجة[3] والعجز . وقال لَقِيط «الغزو[4] أدرّ لِلّقاح وأحدّ للسلاح» . وقال أبو المعافَى

وإن التوانى أنكح العجزَ بنتَـه * وساق اليها حين زوّجها مَهْـرا
فِراشًا وطِيئًا ثم قال لهـا آتّكى * قُصاراهما لا بدّ أن يَلِدا الفقرا

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل «مهاوش» بالميم، والتصحيح عن لسان العرب فى مادة نهبر . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) فى النسخة الألمانية هكذا : « وقال لقيط الفزارى درّ للّقاح وأحد للسلاح » وفى الفتوغرافية «الغز» بغير واو، والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى .

وقال زيد بن جَبَلة : لا فقير أفقرُ من غنىّ أمِنَ الفقرَ . وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلافِ درهم نفقةٌ، وما فوقها كنزٌ . ويقال : القبرُ ولا الفقرُ . ويقال : ماسبق عيالٌ مالًا قطّ إلا كان صاحبُه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالَكَ لا يَنمِى مالُكَ؟ قال : لأنى اتخذتُ العيالَ قبل المال واتخذ الناسُ المالَ قبل العيال . ويقال : العيالُ سوسُ المال . وقيل لمدينىّ : كيف حالُك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب مالُه وبقيت عادتُه . ويقال : الغنَى فى الغربة وطنٌ والفقرُ فى الوطن غربةٌ .

حدّثنى محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكا نبىّ من الأنبياء الى الله شدّةَ الفقر فأوحى اللهُ اليه : هكذا جرى أمرُك عندى أفتريد من أجلك أن أُعيدَ الدنيا .

قال أبو حاتم قال حدّثنا العُتبىّ قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجدب أهلُ البادية قطّ حتى تسوّيهم السَّنةُ ثم جاءهم الخِصْب إلا عاد الغِنى الى أهل الغنى .

قال الأصمعىّ رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بِمنًى فقلت : يا أمة الله تَسألينَ ولكِ هذا الجمالُ! قالت : قدّر اللهُ فما أصنعُ؟ قلت : فمن أين معاشُكم؟ قالت : هذا الحاجُّ نتقمّمُهم ونغسلُ ثيابَهم . فقلت : فاذا ذهب الحاجُّ فمن أين؟ فنظرتْ الىّ وقالت : يا صُلْبَ الجبين! لو كنا إنما نعيشُ من حيث نَعلمُ لما عِشْنا . وقال الشاعر

أتُرَانى أَرَى من الدهر يوما * لِىَ فيه مطيةٌ غيرُ رِجْلى
واذا كنتُ فى جميع فقالوا * قَرِّبوا للرحيل قَدَّمتُ نَعْلى
حيثما كنت لا أُخَلِّف رحلا * مَنْ رآنى فقد رآنى ورَحْلى

قيل لمدينىّ : ما عندك من آلة الحج؟ قال : التلبيةُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة؟ قال : الماءُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القَريس؟ قال : الشتاءُ .

ذم الغـــنى ومـــدح الفقر

قال شُرَيح : الجِدَةُ كنيةُ البَهْل. وقال أكثمُ بن صَيْفِيّ : ما يسرُّني[1] أنى مَكْفِىٌّ كلَّ أمرِ الدنيا. قيل: وإن أسمنتَ وألبنتَ؟ قال: نعم، أكره عادةَ العَجْز. وكان يقال: عَيبُ الغِنَى أنه يُورِثُ البَلَهَ، وفضيلةُ الفقر أنه يورث الفِكرَةَ . وقال محمد بن حازم الباهلىّ

ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شَرَف * ولا سخاء فى طاعةٍ سَرَف
مالكَ إلّا شىءٌ تُقَـــدِّمه * وكُلُّ شىء أخّرتَه تَلَف
تركُكَ مالًا لـــوارثٍ يتهنّـــاه وتَصْـلَى بحَرّه أسـفُ

وقال ابن مُناذر

رَضينا قِسْـمةَ الرحمٰن فينا * لنـا عِـلْمٌ وللثّقفِىّ مالُ
وما الثقفىُّ إن جادت كُساه * وراعَكَ شخصُه إلا خيـالُ

وقال أنس بن مالك : لمّا خرج مروانُ من المدينة مرّ بماله بذى خُشُبٍ[2] فلما نظر اليه قال : ليس المـالُ إلا ما أُشرِجتْ عليه المناطقُ . ورُوِى عن المسيح أنّه قال: فى المـال ثلاثُ خصالٍ، قالوا : وما هى يارُوحَ الله : قال : لا يَكسِبُه مِنْ حِلّه قالوا : فإن فعل قال : يمنعُه من حقّه، قالوا : فان لم يفعل، قال : يَشْغَله إصلاحُه عن عبادة ربه . قيل لابن عمر : توفّى زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم، قال: لكنها لا تتركه . وقال المَعْلوط

ولا ســوّد المـالُ الدنىَّ ولا دنا * لذاك ولكنّ الكريم يَسُــودُ
متى ما يَرَ النـاسُ الغنىَّ وجارَه * فقــيرًا[3] يقولوا عاجــزٌ وجليــدُ

(١) فى النسخة الألمانية : «يسوئى» . وهو خطأ .

(٢) فى القاموس : وخشب بجنب واد باليمامة وواد بالمدينة، وفى المرتضى فى شرح القاموس وابن الأثير فى النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير فى الأحاديث والمغازى و يقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل، وفى الحماسة : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو للحال .

وليس الغِنَى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ
فكم قد رأينا من غنيٍّ مُذمَّم * وصُعلوكِ قومٍ مات وهو حميدُ
اذا المرء أعيته المُروءة ناشئا * فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ

وقال آخر

ولا تُهِينَ الفقيرَ علّك أن * تركَع يومًا والدهرُ قد رَفَعَهْ

الأخفَش قال : قال المبرّد : أُريد النونُ الخفيفةُ فى ولا تهينَ فأسقط التنوين[1] لسكونه وسكون اللام . وقال آخر

ولستُ بنظّارٍ الى جانب الغِنَى * اذا كانت العلياءُ فى جانب الفقر
وإنّى لصبّارٌ على ما ينُوبُنى * لأنّى رأيتُ الله أثنَى على الصبر

وقال أعرابىّ يمدح قومًا

اذا افتقروا عَضّوا على الصبرِ حِسْبَةً * وإن أيسروا عادوا سِراعًا الى الفقر

يقول : يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيّرت اليهودُ عيسى بن مريم بالفقر فقال : من الغنى أُتيتُم، وقال : حسبُك من شرف الفقر أنك لا ترَى أحدا يعصى الله ليفتقرَ . أنشد ابن الأعرابىّ[2]

المال يغشى رجالا لا طَبَاخَ[3] بهم * كالسَّيل يغشى أصولَ الدِّنْدِنِ[4] البالى

وقال الطائىّ

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغِنَى * فالسيلُ حَرْبٌ للمكان العالى

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال أعرابىّ : الغَنىُّ من كثُرت حسناته والفقير من قلّ نصيبه منها . وقال ذو الأصبع

(١) عبارة المبرد فى الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولاتهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين فلعل ما هنا محرف عن «فأسقط النون لسكونها وسكون اللام» . (٢) عزاه فى اللسان الى حسان ابن ثابت، ثم قال وورد هذا البيت فى شعر لحية بن خلف الطائى . (٣) الطباخ : القوّة، قال فى اللسان ومعناه فى البيت : لا عقل لهم . (٤) ما بلى وعفن من أصول الشجر .

لِىَ ٱبنُ عمّ على ما كان من خُلُقى * مخــالفٌ لِىَ أَقْلِيـه ويَقْلِينى
أَزْرَى بنا أننــا شَالَتْ نَعَامتُنا * فخالنِى دونه بل خلتُــه دونى

وقال آخر

إنّ الحــرام غزيرةٌ حَلَبَــاته * ووجدتُ حالبةَ الحلال مَصُورا

قيل لأعرابى : ان فلانا أفاد مالا عظيما قال : فهل أفاد معه أياما يُنفقه فيها ؟. وفى كتاب للهند : ذو المروءة يكرَم مُعْدِمًا كالأسد يُهَابُ وإن كان رابضًا ، ومن لا مروءة له يُهَانُ وإن كان موسرا كالكلب وإن طُوِّق وحُلِّى . وقال خِدَاش بن زُهير

أعاذِل إنّ المــالَ أغــلمُ أنّه * وجامعَــه للغائلات الغوائل
متى تَجعلينى فوق نعشك تَعلَمِى * أَيُغْنِى مكانِى أَبْكُرى وأَفَائِلى

وقال آخر

اذا المرء أثرى ثمّ قال لقومــه * أنا السيّدُ المَقْضِى اليــه المعظّمُ
ولم يُعطهم خيرًا أَبَوْا أن يسودَهم * وهان عليهم رغمُــه وهو أظلم

وقال زَبّانُ بن سَيّار

ولسنا كقوم مُحْدَثِينَ ســيادةً * يُرَى مالُهــا ولا يُحَسّ فعالُهــا
مساعيهم مقصــورةٌ فى بيوتهم * ومسعاتُنا ذُبيانُ طُرًّا عِيالُهــا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصــبر على ألم الحاجة ، وذِلّةُ الفقر مانعةٌ من عزّ الصبر كما أنّ عزّ الغِنى مانعٌ من كرم الإنصاف. وقال بعض المتكلمين فى ذمّ الغِنى : ألم تر ذا الغِنَى ما أدْوَم نَصَبه ، وأقلّ راحتَه ، وأخسّ من ماله حظّه ، وأشدّ من الأيام حَذَرَه ، وأغرى الدّهر بثَلْمه ونقضه ، ثمّ هو بين سلطان يرعاه ، وحقوق تسترثيه ، وأكفاء يتنافسونه ، ووَلَد يودّون فراقَه ، قد بعث عليه الغِنى من سلطانه العَناءَ ، ومن أكفائه الحسدَ ، ومن أعدائه البَغْىَ ، ومن ذوى

الحقوق الذمّ، ومن الولَد الملامةَ، لا كَذِى البُلْغة قَنِـع فدام له السرورُ، ورفض الدنيا فسلِم له الجسدُ، ورضى بالكَفاف فتنكّبته الحقوقُ. ضَجِر أعرابىٌّ بكثرة العيال والوَلَد مع الفقر وبلغه أنّ الوباء بخَيْبَر شديد فخرج اليها بعياله يُعرِّضهم للوت ، وأنشأ يقول

قلتُ لحُمّى خيبـرَ ٱستعِدِّى * هاكِ عِيالى وٱجهَدِى وجِدِّى

وباكِرِى بصالِبٍ ووِرْدِ * أعانكِ اللهُ على ذا الجُنـدِ

فأخذته الحمّى فمات هو وبقى عيالُه. وكتب عمر بن الخطاب الى ٱبنه عبد الله: يابنىّ، ٱتق الله، فإنه من ٱتقى الله وقاه، ومن توكّل عليه كفاه، ومن شكَره زاده، فلتكن التقوى عمادَ عينيك وجِلاءَ قلبك، وٱعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حِسْبَةَ له، ولا مال لمن لا رِفق له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له. وقال محمود الورّاق

يا عائبَ الفـقر ألا تَزْدجِرْ * عَيْبُ الغِنَى أكثرُ لو تَعْتَبِرْ

مِن شَرَفِ الفقر ومن فضله * على الغِنَى إن صحّ منك النظرْ

أنك تَعْصِى اللهَ تبـغى الغِنَى * ولستَ تَعْصِى اللهَ كى تفتقرْ

وقال آخر

ليس لى مالٌ سوى كرمى * فيـه لى أمْنٌ من العُـدُمِ

لا أقول: اللهُ أعدَمنى * كيف أشكو غيرَ متّهَـمِ

قنِعتْ نفسى بما رُزِقَتْ * وتمطّت بالعُلى هِمَمِى

وجعلتُ الصبرَ سابغـةً * فهى من قَرْنِى الى قَدَمِى

فاذا ما الدّهرُ عاتَبَـنِى * لم يجِـدْنى كافرًا نِعَمِى

التجارة والبيع والشراء

قال: حدّثنى محمد بن عُبَيْد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عمّن حدّثه يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ مَرْحَمةً ومرحمةً ولم أُبْعَثْ تاجرًا ولا زَرّاعًا وإنّ شرّ هـذه الأمّة التّجارُ والزراعون إلّا مَنْ شَحّ عن دِينه». وفى حديث

آخر رواه أبومعاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جُبَير: سئل النبيّ صلى الله عليــه وسلم أيُّ الكسب أطيبُ قال : «عَمَلُ الرجل بيــده وكلُّ بيع مبرورٍ» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا عَوْن بن عُمارة عن هشام بن حسّــان عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ فى شىء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحوّل منه الى غيره . وقال : فرّقوا بين المنايا(١)، وآجعلوا الرأسَ رأسين ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجَزَةٍ . وقال : اذا آشتريتَ بعيراً فاشتَرِه عظيمَ الخَلْق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخْطِئْكَ سوقٌ . وقال : بِعِ الحيوانَ أحسَنَ ما يكون فى عينك . وقال الحسن : الأسواقُ موائدُ الله فى الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن مَعْمَر عن الزُّبيرى قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئا ، فقال : «عليك بالسَّوْم أوّلَ السوق فإن الرِّباح مع السماح» . وكان يقال : اِسْمَحْ يُسْمَحْ لك . وفى بعض الحديث المرفوع : «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياءَ باتخاذ الغنم والفقراءَ باتخاذ الدَّجاج» . وقيل للزُّبَير : بِمَ بلغتَ ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أَرُدَّ ربحًا ولم أَسْتَرْعِباً . دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيعُ الرقيق . قال : بئس التِّجارةُ ضمانُ نفسٍ ومَئُونةُ ضِرْسٍ .

باع رجلٌ ضَيْعةً فقال للمشترى : أما والله لقد أخذتَها ثقيلةَ المئُونة قليلةَ المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتَها بطيئةَ الآجتماع سريعةَ التفرّق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير فى النهاية وابن منظور فى اللسان « فرّقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين الخ » وقالا فى تفسيره : اذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تغالوا فى الثمن واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بقى الآخر فكأنكم فرقتم مالكم عن المنية اه ولا تلثوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار يعجزكم فيها طلب الرزق وتحوّلوا عنها الى غيرها .

رجل دارًا فقال له المشترى: لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بعتُك الذراع بدرهم .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ أنّ أبا سُفيان بن العَلَاء باع غلامًا له بثلاثين ألفًا فقال عمر بن أبى زائدة: هذا أحمق، قالوا: كيف؟ قال: لأنّه لم يبلغ ثلاثين ألفا حتى أُعطى قبل ذلك عشرون ألفا فكيف آنتظر ولم يغتنمها . ورُئى عبد الله ابن جعفر يُمَاكِس فى درهم فقيل له: أتُمَاكس فى درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالى جدتُ به وهذا عقلى بَخِلْتُهُ[1] . ابتاع آبن عمر شيئا فحثا له البائعُ على المكيال فقال له آبن عمر أرسل يدكَ ولاتُمسكْ على رأسه فإنّما لى ما يحمله المكيالُ . كان جريرُ بن عبد الله اذا آشترى شيئًا قال لصاحبه: إن الذى أخذنا منك خيرٌ ممّا أعطيناك اذ أظنّ أنّه كذلك فأنتَ بالخيار . اشترى عمرو بن عُبَيد إزارا للحسن بستّة دراهم ونصف فأعطاه سَبْعَةَ دراهم فقال الرجل: انما بعتُه بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إنى اشتريتُه لرجل لا يقاسِم أخاه درهما .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبى الزِّناد قال: اذا عَزَب المالُ قَلّتْ فواضلُه، لا بَلَحةَ ولا بُسْرةَ ولا رُطَبةَ ولا كُرْنَافةَ. ونحوه قول بعض الحجازيّين

سَأَبغيكَ مالًا بالمدينة إنّنى * أرى عازبَ الأموال قَلّتْ فواضلُهْ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَم سهلُ بن حُنَيف بيننا أموالنا وقال لى: يابنَ أختى إنى أُوثِرك بالقرابة، اعلمْ أنّه لامال لأخرقَ ولاعَيْلَةَ على مُصلح، وخيرُ المال ما أطعمك لا ما أطعمتَه، وإن الرقيقَ جَمَالٌ وليس بمال . قال زياد: ليس لذى ضَعْف

(١) كذا بالأصل ولعله بخلت به .

مثل أرض عُشْرٍ وليس لذى جاه مثــلُ خَراجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صامتٍ. قال رجل لآخر: بكم تبيع الشاةَ؟ قال: أخذتُها بستةٍ وهى خير من سبعةٍ وقد أُعطيتُ بها ثمــانيةً فان كانت من حاجتك بتسعةٍ فَزِنْ عشرةً . كان يقــال : خيرُ المــال عينٌ خَرّارة، فى أرض خوّارة، تُفَجِّرُها الفارة، تسهرُ اذا نمتَ، وتشهدُ اذا غبتَ، وتكون عقباً اذا متّ . عبــد الرزاق عن مَعْمَر عن الزهرىّ عن سعيد بن المسيّب قال: إن الله اذا أبغض عبدا جعل رزقه فى الصِّياح . وقال الفُضَيل مثلَ ذلك وقال: أما سمعتَ الى أهل دار البطّيخ والمَلّاحين ودَوِيِّهم .

قال حدّثنا أحمــد بن الخليل قال حدّثنا أحمــد بن الحارث الهُجَيْمىّ قال حدّثنا المُبارك بن سعيد عن بُرْد بن سِنان عن نافع عن ابن عمر أنّه كان لا يرى بالمُكَايسة والمُمَاكسة فى الشراء والبَيْع بأسًا .

قال حدّثنى محمد قال حدّثنى الأصبهانىّ عــن يحيى بن أبى زائدة عن مُجَالد عن أبى بُردة . قال : أتى عمرُ غلامًا له يبيع الحُلَل، فقال له: اذا كان الثوب عاجزا فانشره وأنت جالسٌ وإذا كان واسعا فانشره وأنت قائم . قال، فقلتُ له : اللهَ اللهَ ياعمرُ. قال : إنمــا هى السُّوق . قال عبد الله بن الحسين : غَلّةُ الدور مُسْكةٌ وغلّةُ النخلِ كَفَافٌ وغلّةُ الحَبّ الغِنَى . قال أعرابىّ

زيادةُ شىءٍ تُلحِقُ النفسَ بالمُنَى * وبعضُ الغلاء فى التجارة أربحُ

ولمّا بلغ عُتبةَ بنَ غَزْوانَ أنّ أهــل البصرة قد اتخذوا الضِّياعَ وعَمَرُوا الأرضين كتب اليهم : لا تُنْهِكُوا وجهَ الأرض فإن شَحْمتها فى وجهها . قال أعرابىّ

وفى السُّوق حاجاتٌ وفى النَّقدِ قِلّةٌ * وليس بمُقْضِى(١) الحاجِ غيرُ الدّراهمِ.

قال ميمون بن ميمون : من اشترى الأشياءَ بنَعْتِ أهلها غُبِنَ .

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى القاموس أو اللسان أقضى بمعنى قضى . ولعله : وليس مُقَضِّى الخ .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى . قال : حدّثنى شُكْر الحَرَشى[(١)] قال : جاء الحسن بشاةٍ فقال لى بِعْها وأبرأ من أنّها تقلِبُ المَعْلَف وتنزِعُ الوَتِدَ مِنْ قَبْلِ البيع لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر

اذا ما تاجرٌ لم يُوفِ كَيلاً * فصُبَّ على أنامله الجُذَام

ابن الزيات فى الطائىّ

رأيتُكَ سهلَ البيع سَمْحًا وإنما * يُغَالِى اذا ما ظَنّ[(٢)] بالشىء بائعُهْ

هو المـاء إن أحميتَه طاب شُرْبُهُ * ويَكْدُرُ يوما أن تُبَاحَ مشارِعُه

حُدّثت عن شَيْبان بن فَرّوخ عن أبى الأشهب عن الحسن قال : كان رجل يتّجر فى البحر ويحمل الخَمرَ يأتى بها قوما ، فعمَد اليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصِّرْف وآشترى قردًا فحمله معه فى السفينة ، فلمّا لَجّج فى البحر لم يَشْعُرْ إلّا وقد أخذ القردُ الكيسَ وعلا على الصّارِى وجعل يُلقِى دينارًا فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمه قِسمين . قال رجلٌ من الحاجّ : أتانا رجل من الأعراب بالرمل فى طريق مكّة بغِرارة فيهـا كَمْأة ، فقلنا له : بِكَمِ الغِرارةُ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا اليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : فى آست المغبون عُودٌ ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكمْأة قيامٌ . قيل لأعرابىّ : ألا تشترى لابنك بِطّيخةً . فقال : لا ، أوْ يبلغَ من كساده أن يكون إذا تنـاول من بين يَدَى البقّال وأخذه وعَدَا رماه بأخرى ولم يَعْدُ خلفه . اشترى أعرابىّ غلامًا فقال للبائع : هل فيه من عيبٍ ، فقال : لا ، غيرَ أنّه يبول فى الفراش . فقال : ليس هذا بعيبٍ ، إن وجد فِراشًا فليبُلْ فيه .

(١) فى الألمانية «الحارثى» .

(٢) هكذا بالأصل ظنّ بالظاء ولعله ضنّ بالضاد المعجمة بمعنى بخل .

الدَّيْن

قال ثابت قُطْنة : الدَّين عُقْلة الشريف . وقال دُلَيم

اللهُ لَقّى من عَرابة بَيْعةً * على حينَ كاد النَّقدُ يعسُر عاجِلُهْ
ولوّى بَنانَ الكفّ يحسُب ربحَه * ولم يحسُبِ المَطْلَ الذى أنا ماطِلُهْ
سيرضى من الرِّبح الذى كان يرتَجى * بأس الذى أعْطَى وهل هو قابِلُهْ

عبد الرازق عن ٱبن جُرَيج قال : رآنى عمر وأنا متقنّع ، فقال : يا أباخالد ، إن لقمان كان يقول : القِناعُ بالليل رِيبةٌ وبالنهار مذلّةٌ ، فقلتُ : إنّ لقمان لم يكن عليه دَينٌ . كتب يعقوب بن داود الى بعض العُبّاد يسأله القدومَ عليه ، فأتى محمدَ بن النضر الحارثىَّ فاستشاره وقال : لعلّ اللهَ يقضِى دَينِى ، فقال محمد بن النضر : لأن تلقَ اللهَ وعليكَ دَينٌ ولك دِينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيتَ دَيْنَكَ وذهب دِينُكَ . قال عِياض بن عبد الله : الدَّينُ رايةُ الله فى أرضــه فاذا أراد أن يُذلّ عبدًا جعلها طَوقًا فى عنقه . دخل عُتْبة بن عمرو(1) على خالد القَسْرىّ . فقال خالد يُعرّض به : إنّ ههنا رجالا يَدّانون فى أموالهم فاذا فنيت ٱدّانوا فى أعراضهم . فقال عتبة : إن رجالا لا تكون مُروءاتُهم أكثرَ من أموالهم فيَدّانون على سَعَة ما عند الله ، فخجل خالد وقال : إنّك منهم ما علمتُ . وقال أعرابىّ يذكر غُرَماء له

جاءوا إلىّ غِضابًا يَلْغَطون معا * يَشفِى أذاتَهُمُ أن غاب أنصارى
لمّا أبَوْا جَهْــرةً إلا ملازمتى * أجمعتُ مكرًا بهم فى غير إنكار
وقلت إنى ســيأتينى غدًا جَلَبى * وإنّ موعِدَكم دارُ ٱبن هَبّار
وما أُواعِــدهم إلا لِأَرْبُثَهُمْ(2) * عنى فيُخرجُنى نَقْضى وإمرارى

(1) فى الألمانية عمير بالتصغير . (2) فى العقد الفريد : لأدرأهم .

وما جلبتُ اليهم غيرَ راحلةٍ * تَخْدِى برحلى وسيفٍ جَفْنُهُ عارى
إن القضاء سيأتى دونه زمنٌ * فاطوِ الصحيفةَ وٱحفظها من الفار (١)

وقال آخر لغرمائه

ولو علّقتمونى كلَّ يوم * برجلى أو يدى فى المنجنيق
لما أعطيتُكم إلا تُرابا * يُطَيَّرُ فى الخَيَاشم والحلوق

وقال آخر

إنَ آخيتَ الأميرَ فقل سلامٌ * عليك ورحمةُ اللهِ الرحيم
وأما بعد ذاك فلى غريمٌ * من الأعراب قُبِّحَ من غريم
له ألفٌ علىّ ونصفُ ألفٍ * ونصفُ النصفِ فى صَكٍّ قديم
دراهم ما ٱنتفعتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخَ بنى تميم

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى . قال : جاء رجل من بنى مخزوم الى الحارث بن عبد الله بن نَوْفل وهو يقضى عن أخيه دينًا فقال : إنّ لى على أخيك حقًّا، قال : ثبِّتْ حقَّك تُعْطَه . قال : أفَمِنْ مَلَاءة أخيك ووفائه ندّعى عليه ما ليس لنا؟ فقال : أمِنْ صدقِكَ و بِرِّك نقبل قولَكَ بغير بينةٍ ؟ . لزم سهلَ بن هارون دَينٌ كثيرٌ، فقال أعرابىّ يوصيه بالتَّوارى عن غُرمائه

انزل أبا عمرو على حدّ قريةٍ * تَرَبَّعْ الى سهل كثير السَّلَائق
وخذ نَفَقَ اليَرْبوعِ فٱسلك طريقَه * ودع عنك إنّى ناطقٌ وٱبنَ ناطقِ
وكن كأبى قُطْب على كلّ رائع * له بابُ دارٍ ضيّق العَرْض سامق

وأبو قُطْبَة خنّاق كان بالكوفة مولى لكِنْدَة .

حدّثنى محمد بن عبيد . قال : حدّثنى سُفيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمير أنّ رجلًا كان يُبايع الناسَ ويداينهم، وكان له كاتب ومَتْجَرٌ، فيأتيه

(١) فى العقد الفريد : النار .

المُعْسِرُ والمستنظِرُ فيقول لكاتبه : أَكْلِئْ وٱستنظِرْ وتجاوَزْ ليوم يتجاوز اللهُ عنا فيه ، فمات لا يعمل عملا غيره فغفر الله له . قال شُقْرانُ القُضاعىّ

لو كنتُ مولى قيس عَيْلانَ لم تجد * علىّ لإنسانٍ من الناس درهما
ولكنّى مولى قُضاعَةَ كلهـا * فلستُ أُبالى أن أَدِينَ وتَغْرَما

بلغنى عن يحيى بن أيّوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفُه أربعمائةِ درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلِفُنى وعندك بيت المـال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إنى أتخوّف أن يصيبنى قَدَرى ، فتقول أنت وأصحابُك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين . حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلّفها منك لمـا أعلم من شُحّك فاذا متُّ جئتَ فٱستوفيتَها من ميراثى .

كتب أبو عَبّاد المهلّبى(١) إلى صديق له مُكثِرٍ يَستسلِفُه مالا ، فٱعتلّ عليه بالتعذُّر وضيق الحال ، فكتب اليه ٱبن عبّاد(١) : إن كنتَ كاذبا فجعلك الله صادقًا و إن كنتَ ملومًا فجعلك الله معذورًا . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العبّاس بن عُتبة بن أبى لَهَب الشاعر يُعَيِّن الناسَ فاذا حَلّت دراهمُه ركب حمارًا له يقال له شاربُ الريح فيقف على غرمائه ويقول

بَنِى عمّنـا رُدّوا الدراهمَ إنمـا * يُفَرِّق بين الناس حُبُّ الدراهم

وكان رجل من بنى الدِّيل عَسِر القضاء فاذا تعلّق به غرماؤه فرّ منهم وقال

فلو كنتُ الحديدَ لكسّرونى * ولكنى أشَـدُّ من الحـديد

فعيّنه الفضـلُ فلما كان قبل المَحَلّ جاء فبنى مَعْلَفًا على باب داره ، وكان يقال للرجل عَقْرب فلقى كل واحد من صاحبه شِدّةً ، فهجاه الفضل فقال

(١) فى الألمـانية المُبلى ولم نقف على من اشتهر بأبى عباد وهو ابن عباد سوى أبى عباد يحيى بن عباد الضبعى البصرى ولكن المنسوب الى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلّبى .

قد تجرت فى دارنا عقربٌ * لا مرحبًا بالعقرب التاجره
إن عادت العقربُ عُدنا لها * وكانت النعلُ لها حاضره
كُل عـدوٍ يتّقى مُقبِلًا * وعقربٌ تُخشى من الدّائره
إنّ عدوّا كيدُه فى آسته * لغيرُ ذى كيدٍ ولا نائره

قال بعضهم : ثلاثة من عازّهم عادت عزّته ذلّة : السلطان، والوالد، والغريم . وفى الحديث المرفوع : «لصاحب الحقّ اليدُ واللسانُ» . المدائنى قال : ساير بعضُ خلفاء بنى أميـة رجلًا وهو يحادثه ثم قطعَ حديثه وآصفرّ لونه، فقال له الرجل : ما هـذا الذى رأيتُ منك؟ قال : رأيت غريمًا لى، قال الشاعر

اذا ما أخذتَ الدّين بالدّين لم يكن * قضاءً ولكن كان غُرمًا على غُرم

وقال آخر

أخذتُ الدّينَ أدفع عن تِلادى * وأَخْذُ الدّين أهلكُ للتّلاد

كان لرجل من يَحصُبَ على رجل من باهلة دينٌ، فلما حل دينُه هرب الباهلىّ وأنشأ يقول

اذا حلّ دينُ اليحصُبىّ فقل له : * تزوّد بزاد وآستعِن بدليل
سَيُصبحُ فوقى أقتمُ الرأس[(1)] واقعًا * بقَالِى قَلَا أو من وراء دَبِيل

قال المحدّث بهذا : فحدّثنى من رآه بقالِى قَلَا أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت عليه عُقابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابىّ على باب قوم يسألهم، فحلفوا له : ما عندهم شىء يُعطُونه، فقال : استقرضوا لنا شـيئًا، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شـيئًا، فقال أبو فرعون : ذلك لانكم تأخذون ولا تُعطُون، أو قال ولا تَقضُون . أتى قومٌ عِبَادِيًّا فقالوا : نحبّ أن تُسلِفَ فلانا ألفَ درهم وتؤخرَه بها سنةً، قال : هـذه حاجتا ،

(1) الذى فى اللسان : سيصبح فوقى أقتم الريش واقعا .

وسأقضى لكم إحداهما، وإذا أنا فعلتُ فقد أنصفتُ، أنا أؤخرّه ماشاء. كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ: قد آن للحقّ الذى عندك أن يرجعَ إلى أهله، ونَستغفرُ اللهَ تعالى من حبسه.

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعُروة بن الزُّبَير ومُصعَبُ بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفِناء الكعبة، فقال لهم مصعبٌ: تمنَّوْا فقالوا: ابدأ أنت. فقال: ولايةُ العراق وتزوّجُ سُكَينةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عُبَيد الله، فنال ذلك وأصدقَ كلَّ واحدة خمسمائة ألف درهم وجهّزها بمثلها. وتمنى عُروةُ بن الزُّبَير الفقهَ وأن يُحمَلَ عنه الحديثُ فنال ذلك. وتمنّى عبدُ الملك الخلافة فنالها. وتمنى عبد الله بن عمر الجنةَ.

قال قُتَيبة بن مُسلم لحُصين بن المُنْذر: ما السّرورُ؟ قال: امرأةٌ حسناء، ودارٌ قَوْرَاء، وفرسٌ مُرتَبِطٌ بالفِناء. وقيل لِضرَار بن الحُسَين: ما السّرورُ؟ قال: لِواءٌ منشور، وجلوسٌ على السرير، والســلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبـد الملك بن صالح: ما السّرورُ؟ فقال

كلّ الكرامة نِلتُها * إلّا التحيةَ بالسلام

يريد أنه لم يُسَلَّم عليه بالخلافة. وأخذه من قول الآخر

مِن كلّ ما نال الفتى * قد نِلتُـه إلا التحيه

يريد المُلكَ. قيل لعبد الملك بن الأهتم: ما السّرورُ؟ فقال: رفعُ الأولياء، وحطُّ الأعداء، وطولُ البقاء، مع القدرة والنمـاء[1]. وقال آخر

أطيبُ الطيّبات قتلُ الأعادى * واختيالٌ على متُونِ الجياد

وأيادٍ حَبَوْتَهنّ كريمـا * إن عند الكريم تزكو الأيادى

(١) فى النسخة الألمـانية «والنّهى».

قيل للفضل بن سهل : ما السّرورُ؟ فقال : توقيعٌ جائزٌ وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أيُّ شيءٍ أسرُّ الى القلوب ؟ فقالوا : رجل هَوِيَ زمانا ثم قَدَر، فقال : إن هذا السّرورُ. وقال آخر : رجل طلب الولدَ زمانا فلم يولَد له ثم بُشّر بغلام ، فقال يزيد : أسرّ من هذا كلّه قَفْلَةٌ على غَفْلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ، فقال : مُحادثة الإخوان ، وكَفَاف من عيش يَسُدّ خَلّتي ويستر عورتي ، والانتقال من ظلّ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقي من مَلاذّك ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديثَ على التّلاع العُفْر في الليالي القُمْر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيش الدنيا؟ فقال : بيضاءُ رُعْبُوبة، بالطّيب مَشوبة،(1) بالشحم مكروبة . وقيل لطَرَفة مثلُ ذلك فقال : مطعمٌ شهيّ وملبسٌ دَفيّ، ومركبٌ وطيّ . وقيل للأعشى مثلُ ذلك ، فقال : صهباءُ صافية، تمزُجُها ساقية، من صَوْب غادية . وقال طَرَفة

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى * وجَدِّك لم أحْفِلْ متى قام عُوّدي
فمنهن سبقي العاذلاتِ بشَربة * كُمَيتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِدِ
وتقصيرُ يوم الدَّجْن والدجنُ مُعجِبٌ * ببهْكَنَة تحت الطِّراف المُعَمّد
وكَرّي اذا نادى المُضَاف مُحَنَّبا * كسِيدِ الغَضا نَبّهتَه المتورِّد

وقال أبو نواس

قلت بالقُفْص ليحيي * ونداماي نِيامُ
يا رَضيعي ثَدْيَ أُمٍّ * ليس لي عنه فِطَامُ
إنّما العيشُ سَماعٌ * ومُدامٌ ونِدامُ
فإذا فاتك هذا * فعلى العَيش السلامُ

وقال سُحَيمٌ

تقول حَذْراءُ: ليس فيك سوى الـ * ـخمر مَعابٌ يَعيبه أحَدُ

(1) كذا بالأصل ولعله «مشبوبة» .

فقلتُ: أخطأتِ، بل مُعَاقرتى الـ * ـخمرَ وبَذْلِى فيها الذى أجِدُ
هو السَّناء[(١)] الذى سمعتِ به * لا سَبَدٌ مَحْتِدى[(٢)] ولا لَبَدُ
ويحكِ لولا الخمورُ لم أحْفِلِ الـ * ـعيشَ ولا أن يَضُمّنى لَحَدُ
هى الحيا والحياة واللّهو لا * أنت ولا ثَرْوَةٌ ولا وَلَدُ

وقال أبو الهندىّ

تركتُ الخمورَ لأربابها * وأصبحتُ أشربُ ماءً قَرَاحا
وقد كنتُ حينا بها مُعجَبًا * كحبّ الغلامِ الفتاةَ الرَّدَاحا
وما كان تركى لها أنّنى * يَخافُ نديمى علىّ افتضاحا
ولكنّ قَوْلِى له مرحَبًا * وأهلًا مع السّهل وأنعِمْ صَباحا

وقال آخر

اسْـقِنِى بالكبير إنّى كبيرُ * إنّمـا يشربُ الصغيرَ الصـغيرُ
لا يَغُـرّنْكَ يا عُبَيدُ خُشوعِى * تحت هذا الخشوعِ فِسقٌ كثيرُ

كان ابن عائشة يُنشد

لمّـا رأيتُ الحظّ حظَّ الجاهلِ * ولم أر المَغْبونَ غـيرَ العاقـلِ
رَحَّلْتُ عَنْسًا من كروم بابل * فبِتُّ من عقـلى على مراحل

وقال آخر

شَرِبنَا من الدّاذىّ حتى كأننا * ملوكٌ لهم برُّ العِراقَينِ والبحرُ
فلمّا انجلت شمسُ النهار رأيتُنا * تَوَلَّى الغِنَى عنا وعاودَنا الفقرُ

قال بعضهم: العيشُ كله فى كثرة المـال وصحةِ البـدن وخمولِ الذكر. وكان يقال: ليس السّرورُ للنفس بالجِدَةِ، إنما سرورُ النفس بالأمل. قال يزيد بن معاوية:

(١) فى النسخة الألمانية: الثناء. (٢) فى النسخة الألمانية: مخلدى.

ثلاث تُخْلِقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضّعف : سرعةُ الجواب، وطول التمنّى، والاستغراب فى الضحك . وكان يقال : المُنَى والحُلْمُ أخَوان . وسئل ابن أبى بَكْرة : أىُّ شىءٍ أدْومُ إمتاعًا ؟ فقال : المُنَى . وقال الشاعر

إذا تمنّيتُ بتُّ الليــلَ مُغتبِطًا * إن المُنَى رأسُ أموال المَفالِيس

وقال آخر

ما فاتنى منك فإنّ المُنَى * تدنيـــه[1] منّى فكأنّا معا

وقال آخر

وإن لوًّا ليس شيئًا سوى * تسلية اللَّوْماءِ بالباطل

وقال بعض الأعراب

مُنًى إن تكن حقًّا تكن أحسنَ المنَى * وإلّا فقــد عِشنا بهــا زمنا رَغَدَا

أمانِىّ من سُــعدَى عِذَابًا كأنمــا * سَقَتْك بها سُــعدى على ظمأ بَرْدا

وقال بشار

كرِنا أحاديثَ الزمان الذى مضى * فــلَذّ لنــا محمــودُها وذميمُها

وقال المجنون

أيا حَرَجاتِ الحىّ حيث تحمّلوا * بذى سَلَم لا جَادَكُنّ ربيعُ

وخَيماتُكِ اللّاتى بمُنعَرَج اللّوَى * بَلِيِن بِلًى لم تَبْلَهن رُبوعُ

فَقدتُك من نفسٍ شَعاعٍ[2] فطالما * نهيتُك عن هــذا وأنتِ جميعُ

فقرّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفَتْ * إليك ثنــايا[3] مالهنّ طُلوعُ

(١) فى الأصل «يدنيه» . (٢) كذا فى الأغانى واللسان . وفى الأصول «قلب» .

(٣) فى الأصول «منال ثنايا الخ» . والتصويب عن الأغانى .

وقال ابن أبى الدُّمَينة[1]

يا ليتنا فَرَدَا وحش ندورُ معًا * نرعَى المِتَان[2] ونَخفَى فى نواحيها
أو ليتَ كُدْرَ القَطا حلّقن بى وبها * دون السماء فَعِشْنا فى خَوَافيها
أكثرتُ مِن ليتنا لو كان ينفعنى * ومِن مُنَى النفس لو تُعطَى أمانيها

وقال كُثيِّر

فياليتنا يا عزّ من غـير ريبة * بعيران نَرعَى فى الفلاة ونَعزُب
نكونُ لذى مالٍ كثيرٍ يُضيعُنا * فلاهو يرعانا ولا نحن نُطلَب

وقال جِرَانُ العَوْد

ألا ليتنا طارت عُقابٌ لنا معًا * لها سببٌ عنـد المَجَرَّةِ أو وَكْرُ

وقال مالك بن أسماء

ولمـا نزلنا منزلًا طَلّه النَّـدَى * أنيقًا وبُستانا مِن النَّوْر حاليَا
أَجَدّ لنا طِيبُ المكان وحسنُه * مُنًى فتمنّينا فكنتِ الأمانيَـا

وأنشدنا الرِّياشىّ

نهارى نهارُ الناس حتّى إذا دجا * لِىَ الليلُ مَلّتنى[3] هناكَ المضاجعُ
أُقضّى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعُنى والهمَّ بالليـل جامعُ

وأنشد أبو زيد

كأنّى إذ أسعى لأظفَرَ طائرٌ * مع النجم فى جوّ السماء يَطيرُ
فَتًى مُتَلَهًّى بالمُنَى فى خلائه * وهنّ وإن حسّنتُهنّ غُرورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أبى، والصواب ابن الدمينة .
(٢) المتان جمع متن وهو ما صلب من الأرض وارتفع .
(٣) فى ديوان ابن الدمينة : « هزتنى اليك » بدل « ملتني هناك» .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : زعم شيخ من بنى القُحَيف قال : تمنّيتُ دارا فمكثتُ أربعة أشهر مُغْتَمًّا للدّرجة أين أضعُها. قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيح المُغنّى : خذ بنا فى التمنّى فوالله لأغلبنّك . قال : والله لا تَغلبنى أبدا . قال : بلى . قال بُدَيحٌ : فإنى أتمنّى كِفْلَين من العذاب، وأن يلعَنَنى الله لعنا كثيرا فخذ ضِعفَىْ ذلك . قال : غلبتنى لعنك الله . قيل لِمُزْبِد : أيسرّكَ أنّ هذه الجنة لك؟ قال : وأُضْرَبُ عشرينَ سوطا . قالوا : ولِمَ تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شىء إلا بشىء .

الأصمعىّ عن مُبَشّر بن بَشير أن رجلا كان يطلبه الحجّاج فمرّ بساباط فيه كلب بين جُبَّين يَقْطُر عليه ماؤهما . فقال: ياليتنى مثلُ هذا الكلب ، فما لبث ساعةً أن مُرّ بالكلب فى عنقه حبلٌ ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجّاج يأمر فيه بقتل الكلاب . قال مَدينىّ لكوفىّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : وَدِدتُ أنّى وَقَيتُه ولم يكن وصل اليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شىءٌ من المكروه إلّا كان بى دونه . قال المدينىّ : وَدِدتُ أن أبا طالب كان أسلَمَ فسُرّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنّى كافرٌ .

تَمَنّى ابن أبى عَتِيق أن يُهدَى له مسلوخٌ يَتخِذُ منه طعاما ، فسمعته جارةٌ له فظنّت أنه قد أمر أن يُشتَرَى له ،فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقّ البابَ، وقالت : شَمِمتُ ريحَ قُدوركم فجئتُ لتطعِمونى، فقال ابن أبى عتيق : جيرانى يَشَمّون ريحَ الأمانِى .

وفى كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن فى جَرّة ، ففكّر يوما فقال : أبيعُ الجرّةَ بعشرة دراهم، وأشترى خمسةَ أعنُزٍ فأُولِدُهُنّ فى كلّ سنةٍ مرتين ؛ ويبلغ النّتاجُ فى سنين مائتين ، وأبتاعُ بكل أربعٍ بقرةً ، وأُصِيب بَذْرا فأزرع، ويَنْمِى المالُ فى يدى ؛ فأتّخِذُ المساكنَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويُولَدُ لى ابنٌ فأسميه كذا وآخذه

بالأدب ، فإن هو عصانى ضربتُ بعصاى رأســه وكانت فى يده عصا فرفعها حاكيا للضرب، فأصابت الجرّةَ فانكسرت، وانصبّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبيّ قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال

ليت أيّامنا ببُرْقة خَاخ * ولياليكَ ياطويلُ تعودُ

وإذا كان مغتمّا قال

تَرَى الشيءَ مما نَتّقِى فتخافُه * وما لا تَرَى مما يَقِى اللهُ أكثرُ

الأصمعىّ عن أبيــه قال قال زِياد : أىّ الناس أنعمُ؟ قالوا : معاوية . قال : فأين ما يَلْقَى من الناس ! قالوا : فأنت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخـراج ! قالوا: فمن ؟ قال : شابٌّ له سِدَادٌ من عيش، وامرأةٌ قد رضيها ورضيته، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإن عرَفَنا وعرَفْناه أفسدنا عليه دينَه ودنياه .

التواضــــع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خدَاش قال حدّثنا مسـلم بن قُتيبة عن شـيخ من أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حَيْوَة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلحَ من السِّراج فقلت : يا أمير المؤمنين لِمَ لا أمرتَنِى بذلك ، أو دعوتَ له من يُصلِحُه ؟ فقال : قمتُ وأنا عمرُ وعدتُ وأنا عمرُ .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القُرَظىّ ، فقيل له : أو الأنصارىّ . فقال : أكره أن أمُنّ على الله بما لم أفعل .

قال حدّثنى أحمد بن الخليــل قال حدّثنا عبد الله بن مَسْلمة عن يعقوب بن حمّاد المدنىّ عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيــه قال : كان عمر بن الخطاب اذا سافر لا يقوم فى الظلّ، وكان يراحلنا رِحالَنا و يُرَحِّلُ رحلَه وحْده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليلُ عليك بالهمّ * والبس له القميص واعتمّ[1]
وكن شريكَ نافع وأسـلم * ثم اخدُمِ الأقوامَ حتى تُخدَم

وروى وَكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل الى النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فأصابته رِعدةٌ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القَديدَ» .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جلس الأحنف على باب دار، فمرّت به ساقيةٌ فوضعتْ قِربتَها وقالت : ياشيخ، احفظ قربتى حتى أعودَ ومضت، فأتاه الآذن وقال : انهض . فقال : إن معى وديعةً، وأقام حتى جاءت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن جَرير بن حازم عن الزُّبير بن الحارث عن أبى لَبيد، قال : مرّ بنا زياد وهو أمير البَصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة قد طوّق الحبلَ فى عنقها تحت اللجام .

الأصمعىّ قال، قال يحيى بن خالد : الشريفُ اذا نُقِّرَ[2] تواضع والوضيع اذا نُقِّر تكبّر . الأصمعىّ قال : لا أُراه أخذه إلا من كِيس غيره .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزِىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيّوب عن عُمارة بن غَزِيّة عن عبد الله بن عُروة بن الزُّبَير قال : إلى الله أشكو حمدى مالا آتِى، وذَمّى مالا أتركُ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن أبى نُعَيم عن مَنْدَلٍ عن حُمَيد عن أَنَس قال : مرّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم وأنا فى غلمانٍ فسلم علينا .

وحدّثنى أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شُعْبة عن جابر عن طارق التَّيْمىّ عن جَرير بن عبدالله البَجَلىّ قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسوة فسلّم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال نقر إذا نودى باسمه من بين الأسماء .

قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : أخبرنى مَعْمر قال : قلت لجار لعَطَاء السُّلَميّ : من كان يخدُم عطاء؟ قال : مُخَنّثون كانوا فى الدار يستقون له وَضُوءَه . فقلت : أيُوضّئه مخنّثون! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعيّ عن رجل عن البَتّى قال : آذى ابن لمحمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريتُ أمّك بمائة درهم .

قال عامر بن الظَّرِب العَدْوانيّ : يامعشر عَدْوان ، إن الخيرَ ألوف عَرُوفٌ عَزَوفٌ ، وإنه لن يُفارِقَ صاحبَه حتى يفارقَه ، وإنى لم أكن حكيما حتى صحِبتُ الحكماءَ ، ولم أكن سيدَكم حتى تعبّدتُ لكم . قال عُروة بن الزبير: التواضعُ أحدُ مصايد الشرف . كان يقال : اسمان متضادّان بمعنى واحد : التواضعُ والشرفُ . وقال بُزُرْجِمْهر : ثمرةُ القناعة الراحةُ ، وثمرةُ التواضع المحبةُ . وقال الوليد : خِدمةُ الرجلِ أخاه شرفٌ . وقال عبد الله بن طاهر

أمِيلُ مع الذّمام على ابن عمّى * وأحتملُ الصديقَ على الشقيق
وإن ألفيتَنِى مَلِكا مُطاعًا * فإنك واجدى عبدَ الصديقِ
أُفرِّقُ بين معروفى ومَنِّى * وأَجْمَعُ بين مالى والحقوقِ

وقال آخر

وإنى لعبدُ الضَّيْف من غير ذِلّة * وما فىّ إلّا تلك من شِيمة العبد (١)

ويقال : كلُّ نعمةٍ محسودٌ عليها إلّا التواضعَ . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتّخذكم الناسُ رءوسا فكونوا أذنابا . اعتمّ هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليُسوِّيَ عمامتَه ، فقال هشام : مَهْ إنا لا نتخذُ الاخوان خَوَلًا . كان عمر بن الخطاب يلقُط النَّوَى ويأخذ النُّكَثَ من الطريق ، فإذا مرّ بدار رمى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت فى الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للمقنع الكندى هكذا :
وإنى لعبد الضيف مادام ثاويا * ولا شيمة لى غيرها تشبه العبدا

قال يوسف بن أَسْبَاط : يَجْزِى قليلُ الورع من كثير العلم، ويجزِى قليلُ التواضع من كثير الاجتهاد . وقال بكر بن عبد الله : إذا رأيتَ أكبرَ منكَ فقل : سبقنى بالإسلام والعمل الصالح فهو خيرٌ منّى ، وإذا رأيتَ أصغرَ منكَ فقل : سبقتُه بالذنوب والمعاصى فهو خيرٌ منّى ، وإذا رأيتَ اخوانَك يُكرِمونك فقل : نعمةٌ أحدثوها ، وإذا رأيتَ منهم تقصيرا فقل : بذنب أحدثته . قال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعةٍ، وزَهِدَ عن قُدرةٍ، وأنصف عن قوةٍ . قال ابن السَّمّاك لعيسى بن موسى : تواضعُكَ فى شرفك خيرٌ لك من شرفك . وقال عبدالملك بن مروان : ثلاثةٌ من أحسنِ شىء : جُود لغير ثواب ، ونَصَبٌ لغير دنيا ، وتواضعٌ لغير ذلّ .

قال إبراهيم النَّخَعىُّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجيب دعوةَ العَبد ويركبُ الحمارَ ردْفا . الأعمش عن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدعَى إلى خُبزِ الشعير والإهالة[(١)] السَّنِخة فيُجيبُ . قال غيره : وكان لا يأكلُ مُتَّكِئًا ويأكلُ بالحَضيض، وهو الأرض ، ويقول : إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكل العبدُ . قال أوْس ابن الحَدَثان : رأيتُ أبَا هُبيرةَ وهو أمير المدينة راكبا على حمار عُرْيٍ يقول : الطريقَ الطريقَ ، قد جاء الأميرُ . قال حَفْص بن غِيَاث : رأيتُ الأعمش خارجا إلى العيد على حمار مقطوع الذنَب قد سَدَلَ رجليه من جانب . المدائنىّ قال : بينا عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر إذ أحسّ من نفسه بريح خرجت منه ، فقال : أيها النـاسُ إنى قد مَيَّلْتُ بين أن أخافكم فى الله وبين أن أخاف اللهَ فيكم ، فكان أن أخاف اللهَ فيكم أحبَّ إلىّ ، ألا وإنى قد فسوْتُ ، وهأنذا أَنزِلُ لأُعِيدَ الوضوءَ . كان يقال : من لم يستحْيِ من الحلال قلّت كبرياؤه وخفّت موازينُه . قال معاوية : مامنا أحدٌ إلا فُتِّشَ[(٢)] عن جائفةٍ أو مُنَقِّلةٍ خلا عمر بن الخطاب . المُنَقِّلة الشجة التى يخرج منها

(١) الإهالة : ما يؤتدم به من الأدهان ، والسنخة : المتغيرة الريح .
(٢) يريد : ليس فينا أحد إلا وفيه عيب عظيم ، فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك .

العظام، والجائفة التى تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبى حمزة قال [قال] إبراهيم : لقد تكلّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا ماتكلمت، وإن زمانا تكلمتُ فيه لزمانُ سوء . كان رجل من خَثْعَم رَدِىَ فقال فى نفسه

لو كنتُ أَصْعَدُ فى التكرُّم والعُلا * كتحدُّرِى أصبحتُ سيّد خثعمِ

فباد أهلُ بيته حتى ساد فقال

خَلَتِ الدّيارُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدٍ * ومن الشَّقاء تفَرُّدِى بالسُّودد

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ فى مثله

إنّ بقوم سوّدوك لحاجةً * إلى سيّدٍ لو يَظفَرون بسيّد

قال يحيى بن خالد : لستَ ترى أحدا تكبّر فى إمارته إلّا وهو يعلم أن الذى نال فوق قَدْرِه، ولستَ ترى أحدا يضعُ نفسَه فى إمارة إلّا وهو فى نفسه أكثرُ مما نال فى سلطانه . ومثله، قيل لعُبيد الله بن بَسّام : فلان غيّرته الإمارةُ، فقال : إذا وَلِى الرجلُ ولايةً فرآها أكثر منه تغيّر، وإذا وَلِى ولايةً يَرى أنه أكثرُ منها لم يَتغيّر . ويقال : التواضُع مع السخافة والبخلِ أحمدُ من السخاء والأدب مع الكبر، فأعظِمْ بنعمةٍ عفّت من صاحبها بسيّئتين، وأقبِحْ بسيئةٍ حَرمتْ صاحبَها حسنتين . وفى بعض كتب العجم : علامةُ الأحرار، أن يُلْقَوْا بما يُحبون ويُحرَموا أحبُّ إليهم من أن يُلْقَوْا بما يكرهون ويُعطَوْا، فانظر الى خَلّة أفسدت مثلَ الجود فاجتنبها، وآنظر إلى خَلّة عفّت مثلَ البخل فالزمْها . كان يقال : الشرفُ فى التواضع، والعزُّ فى التَّقوَى، والغِنَى فى القَنَاعة . أبو الحسن قال : خَطَب سلمانُ إلى عمر فأجمعَ على تزويجه، فشقّ ذلك على عبدالله بن عمرَ وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردّه عنك، فقال : إن رددْتَه بما يكره أغضبتَ أمير المؤمنين، قال : عَلَىَّ أن أردّه عنك راضيا، فأتى سلمانَ فضرب بين كتفيه بيده، ثم قال : هنيئا لك أبا عبدالله، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك،

فالتفتَ اليـه مُغضَبًا وقال، أبى يتواضع ! والله لا أتزوّجها أبدا . وقال المرّار بن مُنْقِذ العَدَوىّ (١)

ياحبّذا حين تُمسِى الريحُ باردةً (٢) * وادِى أُشَىٍّ، وفتيانٌ به هُضُمُ
يُخدَّمون، كرامٌ فى مجالسهم، * وفى الرحال إذا لاقيتَهم خَدَمُ
وما أُصاحبُ قوما ثم أذكُرهم * إلّا يزيدهُمُ حُبّـا إلىّ هُمُ

ابن المبارك عن ذرّ عن الشعبىّ قال : ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يابن عمّ رسـول الله ، فقال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرنى يدك، فأخرج يده فقبّلها زيد، ثم قال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا عليه السـلام . قال عبـد الله بن مسعود : رأسُ التواضع أن تَبدأ مَنْ لَقِيتَ بالسّلام، وأن تَرضَى بالدُّون من المجلس . ابن أبى الزِّناد عن أبيه أن العبّاس بن عبد المطّلب لم يمرّ قط بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلّا ترجّلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يمرّ وهما راكبان وهو يمشى . كان سَلْمان يتعوّذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلْج إذا استعرب . المدائنىّ قال : سـلّم رجل على حسّان ابن أبى سِنَان فدعا له ،فقيل : أتدعو لمثل هذا! فقال : إن مما يفضُلُنى به أن يَرَى أنّى خيرٌ منه . قال عبد الله بن شدّاد : أربعٌ مَنْ كنّ فيه فقد برئ من الكبر : من اعتقلَ العنزَ، و ركب الحمار، ولبس الصوفَ، وأجاب دعوةَ الرجل الدُّونِ .

باب الكِبر والعجب

حدّثنى إبراهيم بن مسلم قال حدّثنا أبو السُّكَيْن قال حدّثنى عمٌّ أبى زَحْرُ بن حِصْن قال،قال رجل للحجّاج : أصلحَ الله الأميرَ، كيف وجدتَ منزلَكَ بالعراق ؟

(١) جاءت هذه الأبيات فى الحماسة ضمن قصيدة معزوّة الى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث، قال التبريزى : و يقال زياد بن منقذ . (٢) كذا فى الأصل، وفى الحماسة «بادرة» .

قال : خيرُ منزلٍ لو كان الله بلّغنى أربعةً فتقرّبتُ بدمائهـم إليه . قال : ومَنْ هم؟ قال : مُقاتِل بن مِسْـمَع ، وَلِى سِجِسْتانَ فأتاه الناسُ فأعطاهم الأموالَ، فلمّا عُزِل دخل مسجد البَصرة فبسط الناسُ له أردِيَتَهم فمشى عليها، وقال لرجل يُماشيه : لمثل هذا فليعمل العاملون . وعُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان التيمىّ، حزبَ أهـلَ البصرة أمرٌ فخطب خطبةً أوجزفيها ، فنادى الناسُ من أعراض المسجد : أكثر اللهُ فينا أمثالك . فقال : لقـد كلّفتم الله شَطَطًا . ومَعْبَد بن زُرَارة، كان ذات يوم جالسا فى طريق، فمرّت به آمرأة فقالت : يا عبـد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا، فقال: لهدّ عبد الله! أنا لهدّ[1]، أراد كفى بكِ أنا، يريد الفخر. وأبو سماك[2] الأسدىّ، أَضلّ راحلتَـه فآلتمسها الناس فلم يجـدوها ، فقال : والله لئن لم يَردُد علىّ راحلتى لا صلّيتُ له أبدا، فآلتمسها الناسُ حتى وجدوها، فقالوا : قد ردّ الله عليك راحلتَك فصلِّ، فقال : إن يمينى كانت صريا[3] .

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ عن كُرْدِين المِسْمَعىّ . قيل لرجل متكبّر : هل مرّت بك أَحْمِرةٌ؟ فقـال للسائل : تلك دوابّ لا يراها عمُّك . قال وقال كُرْدِين : رآنى ابنُ مَيّادةَ الشاعر فأعجبْته لِـمَا رأى مِنْ جَلَدِى وبيانى . فقال : ممن أنت؟ قلت : من بكر بن وائل، فقال : وفى أىّ الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جُبَـير بن مُطْعِم فى حَلْقة العَلَاء بن عبد الرحمن الحُرَقىّ وهو يُقْرِئُ الناسَ . فلما فرغ قال : أتدرون لِمَ جلستُ إليكم ؟ قالوا : لنسمع، قال : لا، ولكن أردتُ التّواضعَ لله بالجلوس إليكم . قال : ومرّ محمـد

(١) هكذا بالنسخ التى بأيدينا، وفى العقد الفريد الجزء الأوّل صفحة ٢٤٤ : فقال : لمثلى يقال ياعبدالله! ويلك ! (٢) كذا بالأصول، وفىالعقد الفريد: «وأبو سماك الحنفى» وفى اللسان فى مادة صرى: «أبو سَمّال الأسدى» . (٣) كذا بالفتوغرافية، وفى الألمـانية «ضريا» والذى فى اللسان والصحاح «علم ربى أنها منى صِرّى» . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة، أى عزيمة قاطعة ويمين لازمة .

ابن المنــذر بن الزبير بن العوّام فى حاجة له، فانقطع قِبالُ[1] نعله، فنزع الأخرى يقدمه ومضى وتركهما ولم يُعَرِّج عليهما . قال بعض الشعراء

وأُعرِضُ عن ذى المال حتى يُقالَ لى * قد آحدث هــذا نَخْوةً وتعظُّما
وما بى َكبرعن صديقٍ ولا أخٍ * ولكنّه فِعْلِى اذا كنتُ مُعْــدِما

قيل لبعضهم : ما الكِبر . قال : حُمْقٌ لم يدر صاحبُه أين يضعُه . قال معاوية بن أبى سُفيان : قدم عَلْقَمةُ بن وائل الحَضْرمىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأمرنى رسولُ الله أن أنطلق به الى منزل رجل من الأنصار أُنزِلُهُ عليه، وكان منزلُه فى أقصى المدينة، فآنطلقتُ معه وهو على ناقة له وأنا أمشى فى ساعة حارّة وليس علىّ حذاءٌ، فقلتُ : احملنى يا عمّ من هــذا الحَرّ فانه ليس علىّ حذاءٌ، فقال : لستَ من أرادف الملوك، قلت : إنّى آبن أبى سُفيان، قال : قد سمعتُ رسول الله عليه السلام يذكر ذلك، قال قلت : فألقِ الىّ نعلك، قال : لا تَقْبلُها قدماك ولكن آمش فى ظلّ ناقتى فكفاك بذلك شرفًا، وإن الظلّ لك لكثير. قال معاوية : فما مرّ بى مثل ذلك اليوم قطّ، ثم أدرَك سلطانى فلم أؤاخذه بل أجلستُه معى على سريرى هذا . قال ابن يَسَار

ولو لَحَـظَ الأرضَ لى والدٌ * تطأطأتِ الارضُ من لَحْظتِهْ

وقال آخر

أتيــهُ على جِنّ البــلاد وإنْسها * ولو لم أجد خَلْقًا لتِهْتُ على نفسى
أتيهُ فمــا أدرى من التّيه مَنْ أنا * سوى ما يقول الناس فىّ وفى جنسى
فان زعموا أنّى من الإنس مثلُهم * فما لىَ عيبٌ غيرَ أنى من الإنس

وكان عند الرُّشَقىّ قوم من التُّجار فحضرتِ الصلاةُ فنهض ليصلّى فنهضوا فقال : ما لكم ولهذا وما أنتم منه! الصّلاةُ ركوعٌ وسجود وخضوع ، وإنمــا فرض اللهُ هذا

(١) قبال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها .

يريد به المتكبّرين والمتجبّرين والملوك والأعاظم مثـلى ومثل فرعون ذى الأوتاد ونُمْروذ وأنوشِرْوان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليـه . قال الحسن : ليس بين العبـــد وبين ألّا يكون فيه خير إلّا أن يرى أن فيه خيرًا . رأى رجلٌ رجلًا يختال فى مِشْيته ويتلفّت فى أَعْطافه ، فقـال : جعلنى اللهُ مثلكَ فى نفسك ولا جعلنِى مثلكَ فى نفسى . قيل لعبد الله بن المُبارك : رجلٌ قتل رجلًا فقلتُ إنى خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عجبتُ لمن جرى فى مجرى البَوْل مرتين كيف يتكبّر . ابن عُلَيَّـةَ عن صالح بن رُسْتَم عن رجل عن مُطَرِّف ، قال : لأن أَبيتَ نائمًـا وأُصبِحَ نادمًا أحبُّ الىّ من أن أبيتَ قائمًـا وأُصبِحَ مُعْجَبًا . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خير من حسنة تُعجبك . قال أبو حازم : إن الرجل ليعمل السيئةَ ما عمِل حسنةً قطّ أنفعَ له منها وإنّه ليعمل الحسنةَ ما عمل سيّئةً قط أضرّ عليه منها . قال الشاعر

أما ٱبنُ فَروة يونُسٌ فكأنّه * من كِبْره أيْرُ الحمـار القائمُ
ما ٱلناسُ عندك غير نفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاكَ بهائمُ

قال المسعودىّ

مُسًّا ترابَ الأرض منها خُلقتما * وفيها المعادُ والمصـيرُ الى الحشر
ولا تَعجبا أنْ تَرجعا فتُسلّما * فما خَشِى الأقوامُ شرًّا من الكِبْر
ولو شئتُ أدلَى فيكما غيرُ واحد * علانيةً أو قال عنـدىَ فى سِتْر
فإن أنا لم آمُر ولم أنْهَ عنكما * ضحكتُ له حتى يَلِجّ ويَسْتَشْرِى

الأصمعى قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبر قط إلا تحوّل داؤه فىّ ، يريد أنى أتكبّر عليه . وقال آخر : ما تاه أحد قط علىّ مرتين ، يريد اذا تاه مرة لم أُعاوده . قال الشاعر

يا مُظْهِرَ الكِبْرِ إعجابًا بصـورته * أُنظر خَلاءَك إنّ النَّتْنَ تثريب

لو فكّر النـاسُ فيما فى بطونهـم * ما آستشعر الكِبْرَ شُبّانٌ ولا شِيبُ
هل فى آبن آدم غيرُ الرأس مكرُمة * وَهُو بخمسٍ من الأقذار مضروب
أنفٌ يَسيلُ وأُذْنٌ رِيحُها سَهِكٌ * والعينُ مُرمَصَـةٌ والثغرُ مَلْعوبُ
يا بنَ التراب ومأكولَ التراب غدًا * أَقْصِرْ فإنك مأكولٌ ومشروبُ

دفع أَرْدَشِيرُ الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتابًا، وقال له : اذا رأيتَنى قد آشتدّ غضبى فادفعه الىّ، وفى الكتاب : أمسك فلستَ بإلٰه انما أنتَ جَسَد يُوشِك أن يأكلَ بعضُه بعضا ويصيرَ عن قريب للدُّود والتراب . كان للسِّنْدىّ والى الجسر غلامٌ صغير قد أمره بأن يقوم اليـه إذا ضرب الناسَ بالسِّـيَاط فيقول له : ويلك ياسندىّ، اذْكر القصاصَ . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك

أبا جعفرٍ عَرِّج على خُلَطائكا * وأقصر قليـلًا عن مدى غُلَوَائكا
فإن كنتَ قد أُعْطِيتَ فى اليوم رِفعةً * فإنّ رجائى فى غدٍ كرجائكا

قال لى بعضُ أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعتُ رجلًا يُنشد

ألا رُبّ ذى أَجَلٍ قد حضرْ * طويلِ التمنّى قليـلِ الفِكَرْ
اذا هزّ فى المشى أعطافَه * تبيّنتَ فى مَنْكِبَيْه البَطَرْ

قال : فغدوتُ عليه لأكتبَ تمـامَ القصيدة فوجدتُه قد مات . المدائنىّ قال : رأيتُ فلانًا مولى باهلةَ يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيتُـه بعد ذلك راجلًا فى سَفَر، فقلتُ له : أراجلٌ فى هذا الموضع ؟ قال : نعم، إنى ركبتُ حيثُ يمشى الناسُ فكان حقًّا على الله أن يُرْجِلَنى حيث يركبُ الناس . وقال أبو نواس فى جعفر ابن يحيى البرمكى .

وأعظمُ زَهْوًا من ذباب على خُرْء * وأبخلُ من كلب عَقُورٍ على عَرْق
ولو جاء غيرُ البُخلِ من عند جعفرٍ * لمـا وضعوه(١) النّـاسُ إلا على حُمْقِ

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهى لغة أزدشنوءة .

وقال آخر

أَلَجُّ لَجَاجًا[1] من الخُنفساء * وأزْهَى إذا ما مشى من غراب

قيل لرجل من بنى عبد الدار : ألا تأتِى الخليفةَ ، قال : أخشى ألّا يَحْمِلَ الجسْرُ شَرفِى . وقيل له : البَس شيئًا فان البرد شديد، فقال: حَسَبِى يُدْفِئُنِى . قال أبو اليَقْظان : كان الحجّاج آستعمل بِلالًا الضَّبىّ على جيش وأغزاه قِلاعَ فارس، وكان يقال لذلك الجيش : بِيبِى ، سُمّى بذلك لأنه فرض فرضا من أهل البصرة فكان أهلوهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : بِيبِى[2] . وفى جيشه قال الشاعر

الى الله أشكو أنّنى بتُّ حارسًا * فقام بلالٌ فبـال على رجلى

فقلت لأصحابى آقطعوها فإننى * كريمٌ وإنّى لن أُبلِّغها رَحْلى

مدّ أعرابىّ يده فى الموقف وقال : اللّهمّ إن كنتَ ترى يدًا أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعتُ الحجّاج بن أَرْطَاة يقول : قتلنى حُبّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضُر الجماعة؟ قال : أكره أن يَزْحَمنى البقّالون . كان جَذِيمةُ الأبرشُ — وهو الوَضّاح سُمّى بذلك لبرَص كان به — لا يُنادمُ أحدًا ذَهَابًا بنفسه، وقال : أنا أعظمُ من أن أُنادمَ إلا الفرقدين، فكان يشرب كأسا و يصبّ لكلّ واحدمنهما فى الأرض كأسًا، فلما أتاه مالك وعَقيل بابن أخته الذى آستهوته الشياطين قال لهما : احتكما، فقالا له : مُنادمتُك، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثًا . وفيهما يقول مُتَمِّم بن نُوَيْرة

وكنّا كنَدْمَانَىْ جَذِيمَـةَ حِقْبَـةً * من الدّهر حتى قِيلَ لن نتصدّعا

---

(١) كذا بالأصل وفى لسان العرب فى مادة زها . وأورد الميدانى المثل هكذا «ألح من الخنفساء» بالحاء المهملة ولم يشرحه ، وعلله فى كتاب فرائد اللآل بأن الخنفساء اذا وقعت عن موضع عادت اليه .

(٢) أصله بأبى، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان فى مادة أبى . وفى الأغانى ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجىء الى ابنها وقد جُرّد فتضمّه اليها وتقول له بأبى جزعا عليه فسمى ذلك الجيش جيش بأبى .

وقال الهُذَلىّ

ألم تَعْلَمِى أنْ قد تفرّق قبلنا * خليلَا صفاء مالكٌ وعقيــلُ

قيل لإياس بن معاوية : مافيك عيبٌ إلا أنك مُعجَبٌ، قال: أفأُعجِبكم؟قالوا: نعم قال : فأنا أحقّ أن أُعجَب بما يكون منّى . ويقال : للعادة سلطانٌ على كلّ شىء، وما ٱستُنبط الصوابُ بمثل المشاورة، ولا حُصّنتِ النعمُ بمثل المواساة، ولا اكتُسبت البِغْضَة بمثل الكِبْر .

باب مَدْح الرجل نفسَه وغيره

قال الله عزّ وجلّ حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ". وقال للأنصار: "والله ما علمتُكم إلّا تَقِلُّون عند الطمع وتَكْثُرون عند الفزع". وذكر أعرابىّ قومًا فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئًا إلا وقد وطِئناه بأَخَامص أقدامنا، وإن أقصى مُنَاهم لأدنَى فعالنـا . ابن إدريس عن إسمعيل بن أبى خالد، قال : كنتُ أمشى مع الشَّعْبىّ وأبى سَلَمَة ، فسأل الشّعبىُّ أبا سَلَمة : مَنْ أعلمُ أهل المدينة؟ فقال: الذى يمشى بينكما، يعنى نفسَه . وقال الشّعبى : ما رأيتُ مثلى، وما أشاءُ أن ألقى رجلًا أعلمَ منّى بشىء إلا لقيتُه . قال معاوية لرجل : مَنْ سيّدُ قومك؟ قال : أنا . قال : لو كنتَ كذلك لم تَقُلْ . الوليد بن مُسْلِم عن خليد عن الحسن قال : ذَمُّ الرجلِ نفسَه فى العلانية مَدحٌ لها فى السرّ. كان يقال: مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاها . الأعمش عن إبراهيم عن عبـد الله قال : إذا أثنيتَ على الرجل بمـا فيه فى وجهه لم تُزَكِّه . قال عمر بن الخطاب: المدح ذَبْح . ويقال: المدح وافدُ الكِبْر. وقال علىّ بن الحسين : لا يقول رجل فى رجل من الخير ما لا يعلمُ إلا أوشك أن يقولَ فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا يصطحب ٱثنان على غير طاعة الله إلا أوشكا أنـ يفترقا على غير طاعة الله . قال وهب بن منبِّه : اذا سمعتَ الرجلَ يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمنْ

أن يقولَ فيك من الشرّ ما ليس فيك . ويقال فى بعض كتب الله عزّ وجلّ : عَجَبًا لمن قِيل فيه الخيرُ وليس فيه كيف يفرحُ ! ولمن قِيل فيه الشرُّ وليس فيه كيف يَغضَبُ ! وأعجبُ من ذلك من أحبّ نفسَه على اليقين وأبغضَ الناسَ على الظُّنون ! . وكان يقال : لا يَغلِبنّ جهلُ غيرك بك عِلمَك بنفسك . وقال أعرابىّ : كفى جهلًا أن يَمدَح المادحُ بخلاف ما يَعرِف الممدوحُ من نفسه ، وإنّى(١) والله ما رأيتُ أعشقَ للمعروف منه . قال ٱبن المقفع : إيّاكَ إذا كنتَ واليًا أن يكون من شأنك حبُّ المدح والتزكية وأن يَعرِفَ الناسُ ذلك منك فتكونَ ثُلْمةً من الثُّلَم يَقتَحِمون عليك منها ، وبابًا يفتتحونك منه ، وغِيبَةً يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وٱعلم أن قابِلَ المدح كمادح نفسه ، والمرءُ جديرٌ أن يكون حُبُّه المدحَ هو الذى يحملهُ على ردّه ، فإن الرادَّ له ممدوحٌ والقابلَ له مَعيبٌ . وقال البَعيثُ

ولستُ بمِفْراحٍ اذا الدّهرُ سَرّنى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفه المتقلِّبِ
ولا أتمنَّى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ
ويعتــدّه قومٌ كثيرٌ تجارةً * ويَمنعُنى مِن ذاكَ دِينى ومَنصبى
فان مسيرى فى البـلاد ومنزلى * لبـالمنزِل الأقصى اذا لم أُقرَّبِ

قول الممدوح عند المِدْحَة

حدّثنى سَهلُ بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان أبو بكر يقول عند المِدحة : اللهم أنتَ أعلَمُ بى منّى بنفسى وأنا أعلمُ بنفسى منهـم ، اللهم ٱجعلنى خيرًا ممـا يَحسَبُون وٱغفر لى ما لا يعلمون ولا تُؤاخذنى بما يقولون . قال حدّثنا الرِّياشى عن الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمة قال : أثنى رجلٌ على علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وجهه ، وكان تُهَمَةً ، فقال علىّ : أنا دونَ ما تقولُ وفوقَ ما فى نفسكَ .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينتظم به السياق ، ففى العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابى رجلا فقال : ما رأيت أعشق للمعروف منـه . وفى الصحيفة نفسها : ودخل أعرابى على بعض الملوك فقال : ان جهلا أن يقول المـادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وانى والله ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك .

قيل لأعرابى : ماأَحسَنَ الثناءَ عليك! فقال : بلاءُ الله عندى أحسنُ من وصف المـادحين وإن أحسنوا ، وذنوبى الى الله أكثر من عيب الذامّين وإن أكثروا ، فيا أسفًا على مافرطتُ ويا سوءتا مما قدّمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقبل الثناءَ إلا من مُكافئ[1] . ومِن احسنِ ما قِيلَ فى مدح الرجلِ نفسَه قولُ أعشى بنى ربيعة

ما أنا فى أهلى ولا فى عشـيرتى * بمهتضَمٍ حقّى ولا قارعٍ سِنّى
ولا مُسـلِمٍ مولاىَ عنـد جنايةٍ * ولاخائفٍ مولاى من سوء ما أجنى
وإن فؤادًا بين جَنْبَىَّ عالمٌ * بما أبصرتْ عينى وما سمعتْ أُذْنى
وفضّلنى فى الشّـعر واللُّبُّ أنّنى * أقول على علم وأعـلَمُ ما أعْنِى
فأصبحتُ إن فضَّلتُ مروانَ وآبنَه * على الناس قد فضَّلتُ خيرأَبٍ وآبْنِ

وقال آخر

اذا المـرءُ لم يمدَحْه حسنُ فَعـاله * فمادِحُه يَهْـذِى وإن كان مُفْصِحَا

وقال آخر

لعمرُ أبيكَ الخـيرِ إنّى لخادمٌ * لِصَحْبِى وإنّى إن رِكبتُ لَفارسُ

وقال آخر

ونحن ضِياءُ الأرض ما لم نَسرْبها * غِضَابًا، وإن نَغْضَبْ فنحن ظَلَامها

وأنشدَ الحسنُ البصرىّ[2] قولَ الشاعر

لولا جَريرٌ هلكتْ بَجيلهْ * نعم الفتى وبئستِ القَبيـلهْ

---

(١) فى اللسان مادة كفأ بعد أن أورد الحديث : قال القتيبى معناه اذا أنعم على رجل نعمة فكافأه بالثناء عليه قبل ثناءه واذا أثنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنبارى هذا غلط اذ كان أحد لا ينفك من إنعام النبي صلى الله عليه وسلم لان الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافىء ولا غير مكافىء والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام الا به وانما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه الا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده فى جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم . قال وقال الأزهرى وفيه قول ثالث : الامن مكافىء أى مقارب غير مجاوز حدّ مثله ولا مقصر عما رفعه الله اليه ا ه ومثله بالحرف فى ابن الأثير .

(٢) فى الأصل «الحسن بن البصرى» وظاهر أن لفظة «ابن» من زيادات النساخ .

قال الحسنُ : ما مُدح رجلٌ هُجِىَ قومُه . وقال أبو الهِنْدام

يقولون : الحديدُ أشدُّ شىءٍ * وقد ثُنِىَ الحديدُ وما ثُنِيتُ
تَخِرُّ الأرضُ إن نُودِيتُ باسمى * وتَنهـدُّ الجبـالُ اذا كُنِيتُ

ومَدْحُ النفسِ فى الشِّعر كثيرٌ، وهو فيه أسهل منه فى الكلام المنثور .

باب الحيـاء

حدّثنى أبو مسعود الدّارِمىّ ، قال : حدّثنى جَدّى خِرَاش عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعْبةٌ من الإيمان» . وروى ٱبنُ نُمَير عن الأحوص ابن حَكيم ، قال : حدّثنى أبو عَوْن المدنىّ قال : سمعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلّةُ الحياءِ كفرٌ» . وروَى جريرُ بن حازم عن يَعْلى ابن حَكيم عن رجل عن ٱبن عمر ، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرونانِ جميعا فاذا رُفِع أحدُهما ٱرتفع الآخرُ . وكان يقال : أَحْيُوا الحياءَ بمجالسة مَنْ يُسْتَحيا منـه . ذكر أعرابىٌّ رجلًا فقال : لا تراه الدّهرَ إلا وكأنه لا غنَى به عنك وإن كنتَ اليه أحوجَ ، فإن أذنبتَ غفَر وكأنه المذنبُ ، وإن أسأتَ اليـه أحسن وكأنه المسىء . وقالت ليلى الأَخْيليّةُ

ومُقدَّرٍ عنـه القميصُ تَخالُه * وَسْطَ البيوتِ من الحيـاء سقيماَ
حتى اذا رُفِع اللواءُ رأيتَـه * تحت اللواءِ على الخميس زعيماَ

ونحوه قول الآخر إلّا أنه فى التواضع

يبدو فيبدو ضعيفًا من تَواضُعه * ويكفَهِرّ فُيلفَى الأسـودَ الَّلِما

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحىّ (١)

إن البيوتَ معادنٌ فنِجارُه (٢) * ذَهَبٌ وكلُّ جُدوده (٣) ضَخْمُ

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) فى الأصول . «فتجارة» وهو تحريف والتصويب عن الحماسة . (٣) فى الحماسة «بيوته» يعنى القبائل التى اكتنفته من أخواله وأعمامه .

مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمْ للاء مُجانبٌ * سِيّانِ منـه الوَفْر والعُـدْمُ
نَزْرُ الكلام من الحياء تَخالُه * ضَمِناً وليس بجسمه سُقْمُ
عُقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ شبيهَهُ * إنّ النساءَ بمثـله عقْمُ

حدّثنا أبو الخطاب قال : حدّثنا المعتمر، قال : سمعتُ لَيْثَ بن أبى سليم يُحدّث عن واصـل بن حَيّان عن أبى وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حُفِظ من كلام النبوّة « اذا لم تَسْتَحْيِ فاصنع ما شئت » . قال الشاعر

تَخالُهُمُ للحِـلم صُمّـا عن الخَنا * وخُرْسًا عن الفحشاء عند التهاجُرِ
ومَرْضَى اذا لُوقوا حياءً وعِفـةً * وعند الحِفاظ كالّليوث الخَوادر

وقال آخر

عليه من التقوى رداءُ سكينةٍ * وللحـقّ نورٌ بين عينيه ساطعُ

وقال الشَّعْبى : تعايَش الناسُ زماناً بالدّين والتّقوى،ثم رُفِع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمّم ، ثم رُفِع ذلك فما يتعايش الناسُ الا بالرغبةِ والرهبةِ ، وأظُنه سيجيء ما هو أشدّ من هذا .

باب العَقْل

حدّثنى اسحاق بن ابراهيم الشّهيدى، قال : حدّثنا الحارثُ بن النّعمان، قال: حدّثنا خَليد بن دَعْلَج عن معاوية بن قُرّة يرْفعه، قال : « إن الناس يعملون الخيرَ وإنما يُعْطَوْنَ أجورَهم يوم القيامةِ على قَدْر عقولهم» . مَهْدىُّ بن غَيْـلان بن جرير قال : سمعت مُطرّفا يقول : عُقولُ الناس على قَدْر زمانهم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيـه عن وهب بن مُنبّه قال : وجدتُ فى حكمة داودَ: ينبغى للعاقل أن لا يَشْغَلَ نفسَه عن أربع ساعاتٍ، ساعةٍ يُناجى فيها ربّه، وساعةٍ يُحاسِبُ فيها نفسَه، وساعةٍ يخلُو فيها هو وإخوانُه والذين يَنصحُون له

فى دينه ويَصْدُقُونه عن عيوبه، وساعةٍ يُخَلِّى بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلّ ويُحْمَد فان هذه الساعةَ عونٌ لهذه الساعات وفَضْلُ بُلْغَةٍ واستِجمامٌ للقلوب . وينبغى للعاقل أن لا يُرَى الا فى إحدى ثلاثِ خِصَالٍ: تزوّدٍ لمَعادٍ، أو مَرَمّةٍ لمعاشٍ، أو لذّةٍ، فى غير محرّم . وينبغى للعاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مُقْبِلًا على شانه . قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا هِلالُ بنُ حِقٍّ قال، قال عمرو بن العاص: ليس العاقلُ الذى يَعرِفُ الخيرَ من الشرّ ولكنه الذى يعرِفُ خيرَ الشّرّين، وليس الواصلُ الذى يصِلُ مَنْ يصِلُه ولكنه الذى يصِلُ مَنْ قطعه . وقال زياد: ليس العاقلُ الذى يحتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذى يحتال للأمر ألّا يقعَ فيــه . قال معاوية لعمرو : ما بلغَ من دَهَائك ياعمرو؟ قال عمــرو : لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فكرِهتُه إلا خرجتُ منه . قال معاويةُ: لكنّى لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه . وقرأتُ فى كتابٍ للهند: الناسُ حازمانِ وعاجزٌ، فأحدُ الحازمِين الذى إذا نزل به البلاءُ لم يَبْطَرْ به وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يَخرُجَ منه، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر اذا أقبلَ فيدفعُه قبــل وقوعه، والعاجزُ فى تردُّدٍ وتَمَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمر رَشَــدًا ولا يُطيعُ مُرشِدًا . وقال أعرابىٌّ : لو صُــوِّرَ العقلُ لأظلمتْ معه الشّمسُ، ولو صُوِّرَ الحمقُ لأضاءَ معه الليــلُ . قال بعض الحكماء : ما عُبِــد اللهُ بشىءٍ أحبَّ اليه من العقل وما عُصِىَ اللهُ بشىءٍ أحبّ اليه من السّتر . أبو رَوْقٍ عن الضّحاك فى قول الله عز وجل (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال: مَنْ كان عاقلا . ذكر المغيرةُ بن شُعْبةَ عمرَ بن الخطاب فقال : كان أفضَلَ مِنْ أن يَخْدَعَ وأعقلَ مِنْ أن يُخْدَعَ .

حدّثنى إسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال، قال إياس : لستُ بخَبٍّ والخَبُّ لا يَخْدَعُنى ولا يخدعُ ابنَ سِيرينَ ويخدعُ أبى ويخدعُ الحسنَ. قال غيرُه : وكان كثيرا ما يُنشِدُ

أَبَالِى البلاءَ وإنّى امرؤٌ * اذا ما تَبَيَّنْتُ لم أَرْتَبِ

وفى كتاب كليلة ودمنة : الأدبُ يُذْهِبُ عن العاقلِ السّكرَ ويَزِيدُ الأحمقَ سُكرًا، كما أن النهارَ يَزيدُ كُلَّ ذِى بصرٍ بصرًا ويَزِيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصرٍ . وفيه : ذو العقل لاتُبطِرُه المنزلةُ والعِزُّ كالجبل لايَتزعزعُ وإن آشتدّتْ عليه الريحُ، والسّخيفُ يُبطِرُه أدنَى منزلةٍ كالحشيشِ يُحرّكه أضعفُ ريحٍ . وقال تأبّط شرًّا فى هذا المعنى (١)

ولستُ بمِفْرَاحٍ إذا الدّهرُ سَرَّنى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفِه المتقلّبِ

ولا أتمنّى الشرّ والشرُّ تاركِى * ولكن متى أُحْمَلْ على الشرّ أَرْكَبِ

وفى كتاب كليلة : رأسُ العقلِ التميـيزُ بين الكائن والممتنع، وحسنُ العَزاءِ عما لايُستطاعُ . وفيه : العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ ويُبالِـغُ فى العملِ ويَعترفُ بزلّة عقله ويَستقيلُها كالرجلِ يَعثُرُ بالأرض وبها ينتعشُ . ويقال : كُلُّ شيءٍ محتاجٌ الى العقلِ، والعقلُ محتاجٌ الى التّجارِب . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أشياءَ تدلُّ على عقول الرجال : الكتّابُ، والرسولُ، والهديةُ . وكان يقال : دَلَّ على عقلِ الرجلِ آختيارُه، وما تمَّ دِينُ أحدٍ حتى يتمَّ عقلُه، وأفضلُ الجهادِ جهادُ الهوى . سُئِلَ أنوشرْوانُ : ما الذى لا تَعلُّمَ له، وما الذى لا تَغيُّرَ له، وما الذى لا مَدْفَعَ له، وما الذى لا حِيلةَ له . فقال : تَعلُّمُ العقلِ، وتَغيُّرُ العُنصُرِ، ودَفعُ القَدَرِ، وحِيلةُ الموت . وكان يقال : كتابُك عقلُك تضعُ عليه خاتَمكَ . وقالوا : كتّابُ الرجلِ مَوضعُ عقـله، ورسولُه موضعُ رأيه . كان الحسنُ اذا أُخبرَ عن رجلٍ بصلاح قال : كيفَ عقلُه . وفى الحديث "أن جبريلَ عليـه السلام أَتَى آدمَ عليه السلامُ فقال له : إنى أتيتُك بثلاثٍ فاخترْ واحدةً، قال : وما هى يا جبريلُ ؟ قال : العقلُ والحياءُ والدينُ . قال : قد آخترتُ العقلَ فخرج جبريل الى الحياء والدينِ فقال : ارجعا فقد اختار العقلَ عليكما، فقالا : أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان"

(١) تقـدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران فى باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة منسوبة هناك للبعيث .

كان يقال : العقلُ يظهرُ بالمعاملة وشِيَمُ الرجالِ تظهر بالوِلاية . ويقال : العاقل يَقِي ما لَه بسلطانه، ونفسَه بمــاله، ودِينَه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعًا عقولٌ لخرِبتِ الدنيا . خُيِّرَ رجلٌ فأبَى أن يختارَ وقال : أنا بِحَظِّى أوثَقُ مِنِّى بعقلى فأَقرِعُوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدّثنى الزِّيَادِىُّ قال : حدّثنا حمّاد بن زيد عن هشام عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيَعْجِزُ أحدُكم أن يكونَ كأبى ضَمْضَمٍ كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنّى قد تصدّقتُ بِعِرْضِى على عبادِكَ" .

حدّثنا زياد بن يحيى قال : حدّثنا بِشر بن المفضّل عن يونس عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الغضبَ جمرةٌ تُوقَدُ فى جوف ٱبن آدم، ألم تَرَوْا الى حُمرةِ عينيه وٱنتفاخ أوداجه" . قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى عبــد الله بن رَجَاء عن إسرائيل عن أبى حُصَين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال، قال رجل : يا رسول الله أوصِنِى، فقال : لا تَغْضَبْ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدّثنى أحمــد بن الخليل قال، حدّثنى عبد الله بن نافع عن مالك عن ٱبن شِهاب عن سعيد بن المسيّب عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ إنما الشديدُ الذى يَملِكُ نفسَه عند الغضب" . قال: حدّثنا حسين بن الحسن المَرْوَزِىّ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك قال : حدّثنا حبيب بن حجر القَيْسىّ قال، كان يقال: ما أحسنَ الإيمانَ يَزِينُه العِلْمُ وما أحسنَ العِلْمَ يَزِينُــه العملُ وما أحسنَ العَمَلَ يَزِينُه الرفقُ، وما أُضِيفَ شىءٌ الى شىءٍ أَزْيَنَ مِن حلم الى عِلم ومِنْ عفوٍ الى مَقْدُرَة . وكان يقال: مَنْ حَلُمَ ساد ومن تَفَهَّمَ ازداد . والعرب تقول : ٱحْلُمْ تَسُدْ . وقال : سمّى اللهُ يحيى

سيدًا بالحِلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحِلْمُ يَحْيا بحياة السُّودَد . أغلظَ رجلٌ لمعاوية فحَلُمَ عنه، فقيل له : تحلُم عن هذا! فقال: إنّى لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولُوا بيننا وبين سلطاننا . شتَمَ رجلٌ الأحنفَ وألَحَّ عليه، فلما فرغ قال له : يابن أخى، هل لك فى الغداء؟ فانك منذ اليوم تَحْدُو بجمَلٍ ثَفَالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المُزَنىّ قال: جاء رجل فشتم الأحنفَ فسكتَ عنه، وأعاد فسكت، فقال: والَهْفَاه ! ما يَمنعه مِنْ أن يَرُدَّ علىّ إلّا هَوَانِى عليه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن لَأْمٍ، قال : نزلتُ برجلٍ من بنى تغلِبَ فأتانى بِقِرًى فانفلتَ(١) منّى فقال

والتَّغلِبِىُّ اذا تنحنحَ للقِرَى * حَكَّ آسْتَهُ وتَمثَّلَ الأمثالَا

فانقبضتُ فقال : كُلْ أيها الرجلُ فإنما قلتَ كلمةً مقولةً .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ، قال: أسمع رجلٌ الشعبىَّ كلاما فقال له الشعبىّ: إن كنت صادقا فغفر اللهُ لى وإن كنتَ كاذبا فغفر اللهُ لكَ . ومرّ بقوم ينتقصونه فقال

هَنِيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ * لِعَزَّةَ مِن أعراضنا ما آستحلَّتِ

وآستطال رجلٌ على أبى معاوية الأسود فقال : أستغفر اللهَ من الذنب الذى سُلِّطتَ به علىّ. قال معاوية: إنى لأرفعُ نفسى أن يكون ذنبٌ أوزنَ من حِلمى. وقال معاوية لأبى جهم العَدَوىّ: أنا أكبرُ أم أنتَ يا أبا جهم(٢)؟ قال: لقد أكلتُ فى عرس أُمِّكَ هند، قال : عند أىّ أزواجها؟ قال : عند حَفص بن المُغيرة، قال: يا أبا جهم، إياكَ والسلطانَ فانه يغضبُ غضبَ الصبىّ ويُعاقِب عقوبةَ الأسدِ، وإن قليله يغلبُ كثيرَ الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل فى معاوية

(١) هكذا بالنسخ التى بين أيدينا، ولعل الصواب "فقلت" . (٢) فى النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

نَميلُ على جوانبــه كأنّا * اذا مِلنا نَميــلُ على أبينا
نُقلّبـــه لِنَخْبُرَ حالتيـــه * فنَخبُرَ منهما كرمًا ولِينا

سمِـع الأحنفُ رجلا ينازع رجلا فى أمرٍ فقال له الأحنف: حسبك إلا ضعيفا (١) فيما تُحاوِلُ، فقال الرجل: ما على ظنّك خرجتُ من عند أهلى، فقال الأحنفُ لأمرٍ مّا قيل: احذروا الجوابَ. جعل رجلٌ جُعلًا لرجلٍ على أن يقومَ الى عمرو بن العاص يسألُه عن أمّه، فقام اليه وهو يخطبُ على منبر تنّيس، فقال له: أيها الرجل أَخْبِرنا مَنْ أُمُّكَ، فقال: كانت امرأةً من عَنَزَةَ أُصيبت بأطرافِ الرّماح فوقعت فى سهم الفاكه بن المغيرة فاشتراها أبى فوقع عليها، انطلِق وخُذْ ما جُعِلَ لك على هذا. قال الشاعر

قل ما بدا لكَ مِنْ زُورٍ ومن كذِبٍ * حِلْمِى أصَمُّ وأُذْنِى غيرُ صَمّاء

نظر معاويةُ الى ابنه يزيدَ وهو يضرب غلاما له، فقال له: أتُفْسِدُ أدبكَ بأدبه فلم يُرَ ضارِباً غلامًا له بعــد ذلك. قيــل ليحيى بن خالد: إنك لا تُؤدّبُ غِلمانَكَ ولا تَضرِبُهم، قال: هم أمناؤنا على أنفسنا فاذا نحن أخفناهم فكيف نأمَنُهم. وكان يقال: «الحليم مَطِيّةُ الجَهُول» (٢). وذكر أعرابىّ رجلا فقال: كان أحلَمَ من فَرْخِ طائر. وفى الإنجيل: كونوا حُلَماء كالحيات وبُلَهاء كالحمام. قال بعض الشعراء

إنى لأُعْرِضُ عن أشياء أسمعُها * حتى يقــولَ رجالٌ إنّ بِى حُمُقَا
أَخْشَى جوابَ سفيهٍ لا حياءَ له * فَسْلٍ (٣)، وظنَّ أناسٍ أنه صــدَقَا

قال الأحنف: مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سَمِـعَ كلماتٍ ورُبَّ غيظٍ قد تجرّعتُه مَخافةَ (٤) ماهو أشدُّ منه. قال أكثم بن صيفىّ: العِزُّ والغلبةُ لِلحلم. وقال علىّ بن أبى طالب

(١) هكذا بالأصول. ولعله «لا أحسبك». (٢) فى النسخة الألمانية «الجود»، وفى الفتوغرافية «الجول» وكلاهما تحريف والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى.
(٣) بهامش النسخة الفتوغرافية: الفسل من لا خير فيه. وفى القاموس: الرذل الذى لا مروءة له.
(٤) فى الأصل الألمانى «أخاف». وفى الفتوغرافية «يخافه» والتصويب عن العقد الفريد.

عليــه السلام : أوّلُ عِوَضِ الحليمِ مِنْ حِلمِه أنّ الناسَ أنصارُه على الجَهُول . وقال المنصور : عقوبةُ الحلماءِ التّعريضُ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدّثنى سُهيل قال حدّثنا الأصمعىّ قال : بلغنى أن رجلا قال لآخر : والله لَئِنْ قلتَ واحدةً لَتَسْمَعَنَّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكنّك إن قلتَ عشرًا لم تَســمَعْ واحدةً . قال : وبلغنى أن رجلا شتم عمر بن ذَرّ فقال له : يا هذا لا تُغْرِقْ فى شتمنا ودَعْ للصلح موضعاً ، فانّى أَمَتُّ مُشاتَمَــةَ الرجال صغيرا ولن أُحييها كبيرا ، وإنى لا أُكافئ مَنْ عَصَى اللهَ فِىّ بأ كثَرَ مِنْ أن أُطيعَ اللهَ فيه . وقال بعض المحدَثين

وإنّ اللهَ ذو حلم ولكن * بِقَــدْرِ الحِلمِ يُنتقَــدُ الحليمُ
لقــد وَلَّتْ بِدولتك الليــالى * وأنتَ مُعَـــلَّقٌ فيهـا ذَميمُ
وزالَتْ لم يَعِشْ فيهـا كريمٌ * ولا ٱســتَغْنَى بِثَروتِها عَديمُ
فَبُعْدًا لا انقضــاءَ له وسُحْقًا * فَغَيرُ مُصَابِكَ ٱلحدَثُ العظيمُ

المدائنى قال : كان شَبِيب بن شــيبةَ يقول : مَنْ سَمِــع كلمةً يكرهُها فسكتَ عنها ٱنقطع عنه مايكره، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره، وكان يتمثّل بهذا البيت

وتَجزَعُ نفسُ المرءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمةٍ * ويُشْتَمُ أَلفًا بعدها ثم يَصْــبِرُ

قاتَلَ الأحنفُ فى بعض المواطن قتالًا شديدا، فقال له رجل : يا أبا بحر، أين الحِلْمُ قال : عند الحُبَى . وقال مسلم بن الوليد

حُبًى لا يَطيرُ الجهــلُ فى جَنَباتها * اذا هى حُلَّتْ لم يفُتْ حَلَّها ذَحْلُ

أَغْضَبَ زيدُ بنُ جَبَلَةَ الأحنفَ ، فوثب اليــه فأخذ بِعِمامتــه وتناصبا ، فقيــل للأحنف : أينَ الحلمُ اليومَ! فقال : لو كان مِثــلِى أو دونى لم أفعَلْ هذا به . كان يقال : آفةُ الحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجَعْدىّ

ولا خيرَ فى حِلْمٍ اذا لم تكن له * بوادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أن يُكدَّرَا

وقال إياس بن قَتَادةَ

تُعاقِبُ أَيدينا ويَحْلُمُ رَأيُنا * ونَشْتِمُ بالأفعال لا بالتكلم

وأنشد الرِّياشيّ

إنى آمرُؤٌ يَذُبُّ عن حَرِيمِى * حِلْمِى وتَرْكِى اللَّوْمَ لِلئيم *
* والعِلْمُ(1) أَحْمَى من يدِ الظَّلُومِ *

وقال الأحنف : أصبْتُ الحلْمَ أنْصَرَ لى من الرجال . قال أبو اليقظان : كان المتَمَشْمِشُ بنُ معاويةَ عمُّ الأحنف يَفْضُلُ فى حِلمه على الأحنف قَبْلُ، فأمره أبو موسى أن يَقْسِمَ خيلًا فى بنى تميم فقسمَها، فقال رجل من بنى سعد : مامنعكَ أن تُعطِيَنى فرسًا ووثبَ عليه فَخَرَش وجْهَه، فقام اليه قوم ليأخذوه، فقال : دَعُونِى وإياه، إنى لا أُعَانُ على واحد، ثم انطلَقَ به الى أبى موسى، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال : دَعْ هذا ولكن آبنُ عمِّى ساخطٌ فآحمِله على فرس، ففعل .

قيل للأحنف : ما أحلمَكَ قال : تعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المِنْقَرى، بينا هو قاعد بِفِنائه مُحْتَبٍ بكسائه، أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له : هذا آبنك قتله ابن أخيك، فوالله ماحَلَّ حُبْوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفتَ إلى آبن له فى المجلس، فقال له : قم فأطلقْ عن آبن عمك ووارِ أخاك وآحمِلْ إلى أمه مائةً من الإبل فإنها غَرِيبةٌ(2)، ثم أنشأ يقول

إنى آمرؤٌ لا شائنٌ(3) حَسَبِى * دَنَسٌ يُغَيِّرُه ولا أَفَنُ
مِنْ مِنْقَرٍ فى بيتِ مَكْرُمةٍ * والغُصْنُ يَنْبُتُ حولَهُ الغُصُنُ

(1) كذا فى الأصول ولعله «والحلم» . (2) فى الأصلين «عربية» وهو تحريف والتصويب عن العقد الفريد . (3) رواه فى العقد الفريد :

إنى امرؤ لا يطّبى حسبى * دَنَس يهجّنه ولا أفن

خُطَباءُ حين يَقُولُ قائلُهم * بِيضُ الوجوهِ، أعِفَّةٌ لُسُنُ
لا يَفْطَنُونَ لِعَيبِ جَارِهِمُ * وهُمُ لِحِفْظِ جِوارِه فُطُنُ

ثم أقبلَ على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرابَتَك، وقَطَعْتَ رَحِمَكَ، وأَقلَلْتَ عَدَدَكَ، لايُبْعِدِ اللهُ غيرَكَ . وفى قيس بن عاصم يقول عَبْدَةُ بنُ الطَّبِيب، إسلاميّ

عليكَ سَلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصِمٍ * ورحمتُه ماشاء أن يَترحَّمَا
تَحِيَّةَ مَنْ أَلْبستَه منك نِعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَّمَا
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحدٍ * ولَكِنّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا

وقال الأحنفُ : لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم فى الحِلْم كما نَختَلِفُ إلى الفقهاء فى الفقه . شتم رجلٌ الأحنفَ وجعل يتبعُه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف : يا هذا إن كان بَقِىَ فى نفسك شىء فهاتِه وانصرفْ لَا يَسمَعْكَ بعضُ سُفَهائنا فتَلْقَى ما تكرُه. شتم رجلٌ الحسنَ وأَرْبَى عليه، فقال له : أمّا أنتَ فما أبقيتَ شيئاً، وما يعلمُ اللهُ أكثرُ. قال بعضُ الشعراء

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا * حتَّى يذِلُّوا — وإنْ عَزُّوا — لِأَقوامِ
ويُشْتَمُوا فتَرَى الألوانَ مُشْرِقَةً * لَا صَفْحَ ذُلٍّ ولَكِن صَفحَ أَحْلَامِ

قال[حدّثنى] أبو حاتم عن الأصمعى قال : لا يَكَادُ يَجتمعُ عشرةٌ إلا وفيهم مُقاتِلٌ وأ كثرُ، ويجتمعُ ألفٌ ليس فيهم حليمٌ . ابن عُيينة قال : كان عُرْوة بن الزُّبير إذا أسرع إليه رجلٌ بِشَتْمٍ أو قولٍ سَيِّئٍ لم يُجِبْهُ وقال : انّى أتْرُكُكَ رفعًا لنفسى عنكَ، فجرى بينه وبين علىّ بن عبد الله كلامٌ، فأسرع اليه، فقال له علىّ : خَفِّضْ عليكَ أيها الرجلُ فإنّى أتركُكَ اليومَ لِمَا كنتَ تتركُ له الناسَ .

قال حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال، قال رجل : لمثلِ هذا اليومِ كنتُ أدعُ الفُحْشَ على الرجال، فقال له خَصْمُه : فإنّى أدعُ الفحشَ عليكَ اليومَ لِمَا تركتَه

أنتَ له قبل اليومِ . وأغلظَ عبدٌ لسيده، فقال : إنى أَصْبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَرَوْنَ لأَرُوضَ نفسِى بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكروه كانَتْ لغير الملوك أَصْبَرَ .

كلّم عمر بن عبد العزيز رجلا من بنى أميّة وقد ولدته نساء بنى مُرّة فعاب عليه جَفَاءً رآه منه، فقال: قبّح الله شَبَهًا [غلب] [1] عليك من بنى مرّة، وبلغ ذلك عَقِيلَ بنَ عُلَّفَةَ المُرّىّ وهو بجَنَفَاءَ من المدينة على أميال فى بلد بنى مرة ، فركب حتى قدم على عمر وهو بدَيْرِ سِمْعَان، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغنى أنك غضبت على فتى من بنى أبيك، فقلت : قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة، وإنى أقول : قبّح الله ألأمَ طرفيه، فقال عمر : دَعْ ويحك هذا وهات حاجتك . فقال : والله مالى حاجة غير حاجته [2]، وولّى راجعا من حيث جاء، فقال عمر : ياسبحان الله! من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جنفاء ليس إلّا يشتِمُنا ثم انصرف! فقال له رجل من بنى مرة : إنه والله ياأمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله ألأم طرفيه .

المدائنى قال : لما عزل الحجاج أميةَ بن عبد الله عن خراسان أمر رجلا من بنى تميم فعابه بخراسان وشنّع عليه ، فلما قفل لقيه التميمىّ فقال : أصلح الله الأمير لاتَلُمْنى فإنى كنت مأمورا، فقال : يا أخا بنى تميم أوَحدّثتْك نفسُك أنّى وَجَدْتُ عليك؟ قال : قد ظننتُ ذاك، قال : إن لنفسك عندك قَدْرا! . كان يقال: طَرّوا دماءَ الشباب فى وجوههم . ويقال : الغضب غُول الحلم . ويقال : القدرة تُذْهب الحَفِيظَةَ . وكتب كِسْرى أَبْرَوِيز إلى ابنه شِيرَوَيْهْ من الحبس : إن كلمة منك تَسْفِك دما، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِن دما ، وإن سخطك سيوفُك [3] مسلولةٌ على من سَخِطتَ عليه، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه، وإن نَفاذ

(١) زيادة فى العقد الفريد .
(٢) رسم فى النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل الناسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيها السياق .
(٣) لعله «وإن سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتنكير ليتناسب فى السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لونك أن يتغيّر ومن جسدك أن يَخِفَّ، وإن الملوك تُعاقب قدرةً وحزما، وتعفو تفضُّلا وحلما، ولا ينبغي للقادر أن يُستخفَّ ولا للحليم أن يَزْهو، وإذا رضيتَ فأبلغ بمن رضيت عنه يَحرِصْ من سواه على رضاك، وإذا سخطتَ فضَعْ من سخطتَ عليه يهرُبْ مَنْ سواه من سخطك، وإذا عاقبتَ فأَنْهِكْ(١) لئلا يُتعرّض لعقوبتك، واعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب وأن غضبك يصغُر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب. قال محمد بن وُهَيب

لئن كنتُ محتاجا إلى الحِلم إنني * إلى الجهل في بعض الأحايين أَحْوجُ
ولي فرس للحلم بالحلم مُلْجَمٌ * ولي فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ
فمن رام تقويمي فإني مُقوَّمٌ * ومن رام تعويجي فإني مُعوَّجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْنا وصاحبا * ولكنني أرضى به حين أُحْرَجُ
ألا ربّما ضاق الفضاءُ بأهله * وأمكن من بين الأسنّة مَخْرَجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا، والذلُّ بالحرِّ أَسْمَجُ

وقال ابن المقفع: لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا يبخَل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يَحْقِد لأن خطره قد جَلَّ عن المجازاة. قال سُوَيد بن الصامت(٢)

إني إذا ما الأمرُ بُيِّن شكُّه * وبدتْ بصائرُه لمن يتأمّلُ
أَدَعُ التي هي أرفق الحالات بي * عند الحَفيظة للتي هي أجمل

أُتي عمرَ بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه، فقال: لولا أني غضبان لعاقبتُك، وكان اذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه،

(١) نهك السلطان: بالغ في العقوبة. (٢) في الأغاني ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام.

كراهةَ أن يَعْجَل عليه فى أوّل غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردتَ أن يستفِزّنى الشيطانُ بعِزّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّى غدًا، انصرفْ رحمك الله.

قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضِى لم يُخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا غضِب لم يُخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه، فان أنصفك فى غضبه وإلّا فدَعْه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبتَ، فنزل مُغضَبا فدخل منزله، ثم خرج عليهم تقطرُ لحيتُه ماءً، فصَعِد المنبرَ فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، فإذا غضب أحدكم فليُطفِئه بالماء، ثم أخذ فى الموضع الذى بلغه من خطبته . وفى الحديث المرفوع : "إذا غَضِب أحدُكم فإن كان قائما فَلْيَقعُدْ وإن كان قاعدا فَلْيضطَجِع" . وقال الشاعر

إحذر مَغَايِظَ أقوامٍ ذوى أَنَف * إن المَغِيظَ جهولُ السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أَشْفِى غيظى ؟ أحينَ أَقْدِرُ فيقال لى : لو عفوتَ، أو حينَ أَعْجَز فيقال لى : لو صبرت ؟ . والعرب تقول : «إن الرَّثيئة[1] مما يَفْثَأُ[2] الغضبَ» والرَّثيئة[1] اللبن الحامض يُصَبُّ عليه الحليب، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولّى سَلْمَ بن قتيبة البصرةَ وولى مولًى له كُوَرَ البصرة والأُبُلَّة، فورد كتاب مولاه أنّ سَلْما ضربه بالسِّياط ، فآستَشَاط المنصور وقال : علىّ تجرّأ سَلْم ! لأجعلنّه نَكَالا ، فقال آبن عيّاش — وكان جريئا عليه — : يا أمير المؤمنين، إن سَلْمًا لم يضرب مولاك بقوّته ولا قوّة أبيه، ولكنّك قلّدْتَه سيفَك وأصعدتَه منبَرك، فأراد مولاك أن يُطاطِئَ منه مارفعتَ ويُفسِدَ ما صنعتَ، فلم يحتمل ذلك، ياأمير المؤمنين

(١) فى الأصل «الربثة» وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل، وهو مثل . ونصه كما فى اللسان ومجمع الأمثال للميدانى «ان الرثيئة تفثأ الغضب» وفثأ الغضب سكنه وكسر حدّته .

إن غَضَبَ العربىّ فى رأسه فإذا غضب لم يهدأ حتى يُخرجه بلسان أو يد، وإن غَضَبَ النَّبَطىّ فى آسته فإذا غَضِب [و] خَرِئَ ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال : فعل الله بك يامنتوف وفعل، فكفَّ عن سَلْم .

كان يقال: إياكوعِزَّةَ الغضب فإنها مُصيِّرتُك إلى ذلّ الاعتذار. قال بعض الشعراء

الناسُ بعدك قد خفّت حُلُومُهُمُ * كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال: كنت مع رجل فوقع فى إبراهيم، فأتيت إبراهيم فأخبرته وقلت : والله لهَمَمْتُ به، فقال: لعل الذى غضبتَ له لو سمعه لم يقل شيئا .

باب العزّ والذلّ والهيبة

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا عمر بن السَّكَن قال قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلّب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ فقال : فينا وفى حلفائنا من ربيعة ، فقال عمر بن عبد العزيز : ينبغى أن يكون العزّ فيمن تُحُولِفَ عليه يا أمير المؤمنين . قالت قريبةُ : إذا كنت فى غير قومك فلا تَنْسَ نصيبَك من الذِّلّة . قال رجل من قريش لشيخ منهم : عَلِّمْنِى الحِلْمَ، قال : هو يابن أخى الذلّ، أفتصبر عليه؟ . وقال الأحنف : ما يسرّنى بنصيبى من الذلّ حُمْرُ النَّعَم ، فقال له رجل : أنت أعزّ العرب، فقال: إن الناس يَرَوْن الحلمَ ذلّا، فقلت ما قلت على ما يعلمون .

وقرأت فى كتاب للهند أن الريح العاصف تَحطِم دَوْحَ الشجر ومُشيَّدَ البنيان ويَسلَمُ عليها ضعيفُ النبت لِلينه وتثنّيه . ويقال فى المثل : «تَطَاْطَأْ لها تُخطِئْكَ» . وقال زيدبن علىّ بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغضَبا : ما أَحب أحد قطّ الحياةَ إلا ذلّ ، وتمثّل

شرَّده الخوفُ وأَزْرى به * كذاك مَنْ يكره حَرَّ الجلاد

منخرقُ الخُفّين يشكو الوَجى * تنكُبه أطرافُ مَرْوٍ حدَاد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه * والمرء ينكره والجَسْرة الأُجُدُ(١)
ولا يُقيم بدار الذلّ يَعرفها * إلا الحمارُ حمارُ الأهل والوَتدُ

وقال الزُّبير بن عبد المطلب

ولا أُقيم بدار لا أَشُدُّ بها * صوتى إذا ما اعترتنى سَورَةُ الغضب

وقال آخر

إذا كنتَ فى قومٍ عِدًا لستَ منهم * فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيّبِ

وقال العباس بن مِرْداس

أبلغْ أبا سَلْمٍ رسولا نصيحة * فإن معشرٌ جادوا بعِرْضك فابخلِ
وإن بوّءوك منزلا غيرَ طائل * غليظا فلا تنزلْ به وتحوَّلِ
ولا تَطْعَمَنْ ما يَعْلِفونك إنهم * أَتَوْكَ على قُرْبانهم بالْمُثَمَّلِ
أراك إذن قد صرت للقوم ناضحا * يقال له بالغَرْب أَدْبِرْ وأَقْبِلِ

وقال آخر

فأبلغْ لديْكَ بنى مالكٍ * على نأيها وسَراة الرَّباب
بأنّ آمرأً أنتم حوله * تحُفّون قُبّته بالقِباب
يُهينُ سَراتَكُمُ عامدا * ويقتلكُمْ مثلَ قتل الكلاب
فلو كنتمُ إبلا أَمْلَحَتْ(٢) * لقد نَزَعَتْ للمياه العذاب
ولكنكم غَنَمٌ تُصطَفى * ويُترك سائرُها للذئاب

(١) ناقة أجد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر، خاص بالاناث . قاموس .
(٢) يقال : أملحت الابل أى وردت ماء ملحا وفى الأصل أملجت بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر

تالله لولا آنكسارُ الرُّمح قد علموا * ماوجدونى ذليلا كالذى أجد

قد يُحْطَم الفحلُ قَسْرًا بعد عزّته * وقد يُرَدّ على مكروهه الأسد

وقال بعض العَبْديين

ألا أَبلغا خُلّتِى راشــدًا * وصِنْوِى قديما إذا ما آتصــلْ

بأن الدَّقيق يَهِيــجُ الجليــل * وأنّ العزيزاذا شاء ذَلّْ

وأنّ الحَزَامة أن تصرفوا * لحىٍّ ســوانا صُــدورَ الأَسَلْ

فان كنتَ ســيّدَنا ســُدْتَنا * وإن كنت للخَال فآذهبْ فَخَلْ

وقال البَعيث

ولو تُرمى بلُؤم بنى كليب * نجومُ الليل ماوَضَحتْ لِسارِى

ولو لَبِس النهارَ بنو كليب * لدنَّس لُؤمُهــم وَضَحَ النهار

وما يغدو عزيزُ بنى كليب * لِيطلب حاجة إلا بجــار

جاور آبنُ سَيَابَةَ مولى بنى أسد قوما فأزعجوه، فقال لهم : لمَ تُزعجونى من جواركم؟ فقالوا : أنت مُرِيب، فقال : فمن أذلُّ من مريب ولا أحسنُ جوارا . أبو عبيــدة عن عَوَانَةَ قال: إذا كنتَ من مُضَر ففاخرْ بكنانة وكاثِرْ بتميم وآلْقَ بقَيْس، وإذا كنت من قحطان فكاثرْ بقُضَاعة وفاخرْ بمَذْحِج وآلْقَ بكلب ، وإذا كنت من ربيعة ففاخر بشيبان وآلق بشيبان وكاثر بشيبان . كان يقال : مَنْ أراد عزًّا بلا عَشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : مَنِ السّيدُ عندكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هِبْناه وإذا أدبر آغتَبْناه . ونحوه قول مسلم

وكم مِنْ مُعِدٍّ فى الضمير لِىَ الأذى * رآنى فألقى الرعبُ ما كان أضمرا

وقال أيضا

ياأيها الشاتِمى عِرْضى مُسَارَقَةً * أَعْلِنْ به، أنت إن أعلنتَه الرجلُ

ومن أحسن ما قيل فى الهيبة

فى كفّه خَيزُرانٌ ريحُها عبِقٌ * من كفّ أَرْوَعَ فى عِرْنِينه شَمَمُ
يُغضِى حياءً ويُغْضَى من مَهَابته * فما يُكلَّم إلا حين يَبتسِمُ

وقال ابن هَرْمة فى المنصور

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ سريره * إذا كَرّها فيها عِقَابٌ ونائلُ
فأمّ الذى آمنتَ آمنــةُ الرَّدَى * وأمّ الذى أوعدتَ بالثُّكْل ثاكلُ
كريم له وجهان وجه لدى الرضا * أَسِيلٌ، ووجه فى ٱلكريهة باسلُ
وليس بمُعْطِى العفوِ عن غير قدرة * ويعفو إذا ما أمكنتْه المَقَاتِلُ

وقال آخر فى العفو بعد القدرة

أســدٌ على أعــدائه * ما إن يَلينُ ولا يهون
فإذا تمكّن منهــمُ * فهنـاك أحلم ما يكون

وقال آخر فى مالك بن أَنَس

يأبى الجوابَ فما يُرَاجَعُ هيبةً * والسائلون نَوَاكسُ الأذقانِ
هَدْىُ التَّقِىِّ[1] وعزُّ سلطانِ ٱلتُّقَى * فهــو ٱلمُطَاع وليس ذا سلطانِ

وقال آخر

وإذا الرجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهــم * خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصار

وقال أبو نواس

أُضمِرُ فى القلب عتَاباً له * فإن بدا أُنْسِيتُ من هيبتهْ

ٱلمدائنى قال: قال ابن شُبرُمة القاضى لابنه: يابُنَىّ لا تُمكّن الناسَ من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرُهم لها مُعاينةً. قيل لأعرابىّ: كيف تقول: استخذأْتُ أو ٱستخذيتُ؟ قال: لا أقوله، قيل: ولِمَ؟ قال: لأن العرب لاتَستخذى. وكان يقال: اصفَحْ أو ٱذبَحْ.

(١) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢: هَدْىُ الوَقَار.

باب المروءة

فى الحديث المرفوع : قام رجل من مُجَاشِع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله، ألستُ أفضلَ قومى؟ فقال: "إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خُلُق فلك مروءة ، وإن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك تُقًى فلك دين" وفيه أيضا « إن الله يُحِبّ مَعَالِىَ الأمور ويكره سَفْسافَها» . روى كَثِير بن هشام عن الحكم بن هشام الثّقفىّ قال : سمعت عبد الملك بن عُمير يقول : إن من مروءة الرجل جلوسَه ببابه . قال الحسن: لا دينَ إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال : إصلاح المـال، والرَّزانةُ فى المجلس، والغداء والعشاء بالفِناء . قال ابراهيم : ليس من المروءة كثرةُ الالتفات فى الطريق ولا سرعةُ المشى . ويقال : سرعةُ المشى تُذهِب بَهاءَ المؤمن .

قال معاوية : المروءة ترك اللذة . وقال لعمرو : ما ألذُّ الأشياء ؟ فقال عمرو : مُرْ أَحْداثَ قريش أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد عن أبيه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَرُّوا[(١)] لذوى المروءات عن عَثَراتهم، فوالذى نفسى بيده إن أحدهم ليعثُر وإنّ يدَه لفى يد الله". كان عروة بن الزبير يقول لولده : يابَنِىّ العبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف : ما المروءة؟ فقال : العِفّةُ[(٢)] والحِرفة . قال محمد بن عِمْران التَّيْمى : ما شىءٌ أشدَّ حَمْلا علىّ من المروءة، قيل : وأىّ شىءٍ المروءةُ ؟ قال : لا تعملُ شيئا فى السرّ تستحى منه فى العلانية .

وقال زهير فى نحو هذا

السِّتْرُ دون الفاحشات، ولا * يلقاك دون الخير من سِتْر

(١) كذا فى الأصول، وفى العقد الفريد «تجاوزوا» .
(٢) فى الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فِسرّى كإعلانى ، وتلك خليقتى * وظلمةُ ليــلى مثلُ ضــوء نهاريا

قال عمــر بن الخطاب : تعلّموا العربيةَ فإنهــا تزيد فى المروءة، وتعلّموا النسبَ فرُبَّ رَحِمٍ مجهولة قد وُصلت بنسبها . قال الأصمعىّ : ثلاثة تحكُمُ لهم بالمروءة حتى يُعرفوا : رجل رأيتَــه راكبا ، أو سمعته يُعرِب ، أو شَمِمتَ منه رائحةً طيبة. وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا : رجل شَمِمتَ منه رائحةَ نبيذ فى مَحْفِل ، أو سمعتَه يتكلم فى مصرٍ عربىّ بالفارسية ، أو رأيتَه على ظهر الطريق ينازع فى القَدَر . قال ميمون آبن ميمون : أوّل المروءة طلاقة الوجه ، والثانى التودّد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسَبُ نفسه لم ينفعه حسَبُ أبيه . قال مَسْلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان : الرِّياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثيابُ الطاهرة. قالوا : كان الرجل اذا أراد أن يَشِينَ جارَه طلب الحاجةَ إلى غيره . وقال بعض الشعراء

نومُ الغداةِ وشُربٌ بالعشيّاتِ * موكّلان بتهــديم المروءات

باب اللباس

حدّثنى محمــد بن عبيد قال ، حدّثنا آبن عيينة عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاوس عن آبن عباس ، قال : كُلْ ما شئتَ والبَسْ ما شئتَ اذا ما أخطأكَ شيئان : سَرَفٌ أو مَخِيلةٌ .

قال حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنــا آلمِنْهال بن حمّاد عن خارجة بن مُصْعَب عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت مِلْحَفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يَلبسُ فى أهله مُورّسةً (١) حتى إنها لتَرْدَعُ (٢) على جلده .

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر باليمن . وفى الأصول : "مورّشة" بالشين المعجمة وهو تحريف .
(٢) تنفض صبغها .

حدّثنى أبو الخطّاب ، قال حدّثنـا أبو عَتّاب قال حدّثنا المختار بن نافع عن إبراهيم التيمىّ[1] عن أبيــه عن علىّ ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما إزارا فيه إحدى وعشرون رُقْعة من أَدَم ورقعةٌ من ثيابنا .

حدّثنا الزِّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريرىّ عن ابن عباس ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأدَمٍ . نظر معاوية الى النَّخّار العُــذْرىّ[1] الناسب فى عباءة فازدراه فى عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلّمك وإنمـا يكلّمك مَنْ فيها . قال سُحَيم بن وَثِيل

أَلَا ليس زينُ الرحل قِطْعًا يُمَزَّق * ولكنّ زينَ الرحل يا مَىّ راكبُهْ

وقال آخر

إيّاك أنــ تَزْدرِى الرجالَ فما * يُدرِيكَ ماذا يُكِنُّــه الصَّدَفُ
نفسُ الجــواد العتيقِ باقيــةٌ * يومًا وإن مسّ جسمَه العَجَفُ
والحــرُّ حرّ وإنــ ألمّ به الضّــرُّ وفيــه العَفَافُ والأَنَفُ

وقال آخر من المحدَثين

تَعجَّبَتْ دُرُّ مِنْ شَيبى فقلتُ لهــا * لا تَعْجَبِى قد يلوحُ الفجرُ فى السَّدَف
وزادها عَجَبًا أَنــ رُحْتُ فى سَمَلٍ * وما دَرَتْ دُرُّ أنّ الدُّرَّ فى الصَّدَف

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ أن ابن عَوْن آشــترى بُرْنُسا من عمر بن أنس بن سيرين فمرّ على مُعَاذةَ العَدَويّة ، فقالت : أمِثلُكَ يلبَسُ هذا ! قال : فذكرتُ ذلك لآبن سيرين فقال : ألا أَخبرتَها[2] أن تميما الدارىّ آشترى حُلّة بألف يُصلّى فيها .

(١) كذا فى النسختين .
(٢) فى الاصل : ألا أخبرتكم . والتصويب عن العقد الفريد . ج ٣ ص ٣٤٨

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا مُصعَبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرنى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيــه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رِداءٌ وعِمَامةٌ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا على بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيْبانىّ قال: رأيتُ محمد آبن الحنفية واقفا بعرفات على بِرْذونٍ عليه مُطْرَفُ خَزٍّ أصفرُ .

حدّثنى الرِّياشىّ عن الأصمعىّ عن حَفْص بن الفُرَافِصة[1] قال: أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيقَ بن ثَوْر فمن دونه وآنيتُهم فى بيوتهم الجِفانُ والعِسَسَةُ فإذا قعدوا بأفنيتهم لَبِسوا الأكسيةَ وإذا أتَوا السلطانَ ركبوا ولبِســوا المَطَارِفَ .

قدم حَمَّادُ بن أبى سليمان البصرة فجاءه فَرقَدٌ السَّبَخِىٌّ وعليــه ثيابُ صوف فقال حماد : ضَعْ نصرانيتَك هــذه عنك، فلقد رأيتُنا ننتظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليــه مُعصفَرةٌ ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له .

وروى زيد بن الحُبَاب عن الثَّورىّ عن آبن جُرَيْج عن عثمان بن أبى سليمان أن ابن عباس كان يرتدِى رداءً بألفٍ . قال مَعْمَر : رأيت قميصَ أيوبَ يكاد يمَسّ الأرض، فكلمتُه فى ذلك فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت فى تذييل القميص وإنها اليومَ فى تشميره .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال: جاء سَيَّار أبو الحَكَم الى مالك بن دينار فى ثيابٍ آشتهرها[2] مالكٌ، فقال له مالك: ماهذه الشّهرةُ؟ فقال له سيار : أتضعنى عندك أم ترفعنى ؟ قال : بل تضعك، قال : أراك تنهانى عن التواضع، فنزل مالك فقعد بين يديه .

---

(١) فى لسان العرب : كل ما فى العرب فرافصة بضم الفاء الا فرافصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمــه الله فانه بفتح الفاء لا غير . (٢) اشتهرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الخُرَيمىّ : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعىّ فدفع الى خادم كيسا فيه ألفُ دينارٍ وقال : إنى سأنزل فى رجعتى الى الأصمعىّ وسيحدّثنى ويُضحِكنى فاذا ضحِكتُ فضَعِ الكيسَ بين يديه، فلما رجع ودخل عليه رأى حُبًّا[1] مكسور الرأس وجَرّة مكسورة العنق وقصعة مُشَعَّبة وجَفْنَةً أَعْشارا ورآه على مصلًّى بالٍ وعليه بَرْكَانٌ[2] أجردُ فغمز غلامَه ألّا يضعَ الكيسَ بين يديه ولم يَدَعِ الأصمعىُّ شيئا مما يُضحِكُ الثَّكْلانَ إلا أورده عليه فما تبسّم وخرج، فقال لرجل كان يُسَايِره : "مَنْ آسترعى الذئبَ ظلَم" ومن زرع سَبَخَةً حصد الفقرَ، فإنى والله لو علمتُ أن هـذا يكتُم المعروفَ بالفعل لما حَفَلتُ نشرَه له باللسان ، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغِنى ، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب . ولله درّ نُصَيبٍ حيث يقول

فعاجُوا فأثْنَوْا بالذى أنت أهـلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال له : أعلمتَ أن ناووسَ أبرويزَ أمدحُ لأبرويزَ من شعر زهير لآل سِنَان .

قال ربيعة بن أبى عبد الرحمن : رأيت مشيخةً بالمدينة فى زِىّ الفتيان لهم الغدائرُ وعليهم المُوَرَّد والمُعصفَر وفى أيديهم المَخَاصِرُ وبها أثر الحِنّاء، ودِينُ أحدهم أبعدُ من الثريّا إذا أُرِيدَ دِينُه . ذمّ آبن التوءم رجلا فقال : رأيتُه مُشحَّم النعل دَرِنَ الجَوْرب مُغضَّن الخفّ دقيقَ الخِزَامة . أنشد آبن الأعرابىّ

فإن كنتَ قد أُعطيتَ خَزًّا تجرّه * تبدّلتَـه من فروةٍ وإهابِ
فلا تأيسَنْ أن تَملِكَ الناسَ إنّنى * أرى أُمـةً قد أدبرت لِذَهـاب

قال أيوب يقول الثوبُ : آطوِنى أُجمِّلْك . هِشَامُ بن عُرْوة عن أبيه قال، يقول المـال : أرِنى صاحبى أعمِّر، ويقول الثوب : أَكْرِمْنى داخلا أُكرِمْك خارجا .

(١) فى اللّسان وغيره : الحُبّ الخابية فارسىّ معرب . (٢) كساء أسود .

ويقال: لكل شيء راحةٌ، فراحةُ البيت كنسُه، وراحةُ الثوب طيّه. قيل لأعرابيّ: إنك تُكثِرُ لُبسَ ٱلعِمامة، فقال: إن عظماً فيه السّمعُ والبصرُ لَجديرٌ أن يُكَنّ من ٱلحرّ والقُـرّ. ويقال: حُبَى العرب حيطانُها، وعمائمها تيجانُها. وذكروا العمامةَ عنـد أبي الأسود الدؤلي فقال: جُنّةٌ في الحرب، ومَكَنّةٌ في الحرّ والقرّ، وزيادةٌ في القامة، وهي بعدُ عادةٌ من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدّهنُ يُذهِبُ البؤس، والكِسوةُ تُظهِرُ الغِنى، والإحسانُ إلى الخادم مما يَكبِتُ ٱللهُ به العدوّ.

أبو حاتم قال حدّثنا العتبيّ قال: سمعت أعرابيا يقول: لقـد رأيتُ بالبصرةَ بُرُودا كأنما نُصِحَت(١) بأنوار الربيع وهي تَروعُ، واللابسوها أروعُ. قال يحيى بن خالد للعتّابيّ في لباسه — وكان لا يُبالي ما لبس —: يا أبا عليّ أخزى الله آمرأً رضِيَ أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله، فإنما ذلك حظُّ الأدنياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعَه أكبراه: همّتُه ونفسُه، وأصغراه: قلبُه ولسانُه. وفي الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أحبّ أن يَرَى أثرَها عليه". قال حبيب بن أبي ثابت: أن تَعِزّ في خَصَفَةٍ خيرٌ لك من أن تَذِلّ في مُطْرَفٍ، وما ٱقترضتُ من أحد خيرٌ مِنْ أن أقترضَ من نفسي. قال عمرو بن معديكرب

ليس ٱلجمـالُ بمِـــئزَرٍ * فٱعـلمْ وإن رُدِّيتَ بُرْدَا
إنّ ٱلجمالَ معــادنٌ * وموارثٌ أورَثْنَ مَجْــدَا

وقال آبن هَرْمة

لو كان حولي بَنُــو أميــة لم * يَنطِق رجال إذا هــمُ نطقـوا
إن جلسوا لم تَضِــقْ مجالسُهم * أو رَكِـبوا ضاق عنهمُ ٱلأفقُ

(١) نصح الثوب: خاطه.

كم فيهمُ مِن أخ وذى ثِقةٍ * عن منكبيه ٱلقميصُ مُنخَرِقُ
تجهَمُ عُوَّذَ النساء إذا * ما ٱحمرّ تحت القَوانس الحَدَقُ
فريحُهم عند ذاك أندى من ٱلـ * ـمسك وفيهمْ لخابطٍ وَرَقُ

قال حدّثنى أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبى سعْد[1] ٱلمخزوميّ الشاعر كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد، هذا خزّ؟ فقال : لا ، ولكنه دَعِىٌّ على دَعِىّ ، وكان أبو سعد دعيا فى بنى مخزوم، وفيه يقول أبو البرق

لما تاه على الناس * شريفٌ يا أبا سعد
فتِهْ ما شئتَ إذ كنت * بلا أصلٍ ولا جَدِّ
وإذ حَظُّك فى ٱلنسبـ * ـة بين الحرّ وٱلعبد
وإذ قاذفُك المُفحِـ * ـشُ فى أمنٍ مِنَ الحَدّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدّبنى ؟ قال: أحسن طاعةٍ، قال : فأَطِعْنى ٱلآن كما كنتُ أطيعك ، خذ من شاربك حتى تبدوَ شَفَتاك، ومن ثوبك حتى يبدوَ عَقِباك . وكيع قال : راح ٱلأعمش إلى الجمعة وقد قلَب فروةً جِلدُها على جلده وصوفُها إلى خارج ، وعلى كتفيه مِنديلُ الخِوان مكانَ الرِّداء . قال حدّثنى أبو الخطاب عن أبى داود عن قيس عن أبى حُصَين قال: رأيت ٱلشعبيّ يَقضِى على جِلْدٍ . قال الأحنف : ٱستجِيدوا النِّعال فانها خلاخيلُ الرجال. أبو الحسن المدائنىّ قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسْلم فى مِدْرَعةِ صوف فقال له قتيبة : ما يدعوك الى لُبس هذه؟ فسكتَ، فقال له قتيبة : أُكلّمك فلا تجيبنى ! قال : أكره أن أقولَ زهدا فَأُزكِّىَ نفسى، أو أقول فقرا فأشكوَ ربى.

(١) فى الأصول : "سعيد" والتصويب عن الأغانى وهو الموافق لما فى البيت الأوّل .

قال ٱبن السَّماك لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسُكم هــذا موافقا لسرائركم لقد أحببتم أن يطَّلع الناسُ عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم. وقال بعض المحدثين يعتذر من أطمارٍ عليه

فما أنا إلا السَّيفُ يأ كلُ جفنَهَ * له حليةٌ من نفســه وهو عاطِلُ

التَّخــــتُّم

قال حدّثنى أبو الخطاب زِياد بن يحيى الحَسَّانىّ قال حدّثنا عبــد الله بن ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم تختَّم فى يمينه .

قال حدّثنى أبو الخَطَّاب قال حدّثنا سهل بن حَماد قال حدّثنا أبو خَلْدة خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ماكانــ نقشُ خاتَم النبىّ صلى الله عليه وسلم؟ قال: "صَدَقَ اللهُ" قال : فألحق الخلفاء بعد صدق الله "محمد رسول [الله]"(١) .

قال أبو الخطاب حدّثنــا عَتَّاب(٢) قال حدّثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ٱبن عمر : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يذكر الشىء أَوْثَقَ فى خاتمه خيطا.

حدّثنى أبوالخطاب قال حدّثنا عبد الله بن ميمون قال: حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علىّ كان من وَرِقٍ نقشُه "نِعمَ القادرُ اللهُ". كان على خاتم علىّ بن الحسين بن علىّ "عَلِمتَ فَٱعمَلْ" . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علىّ "تبــارك مَنْ

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من الناسخ . ويؤيده ما فى "شرح المواهب اللّدنية" للزرقانى فى رواية ابن سعد عن أبى العاليــة : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد فى شيوخ أبى الخطاب الا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آنفا . وقد جاءت الرواية عنه فى أوّل سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبى عتاب .

فَخْرِىَ بأنى له عبد" ونقشُ خاتم شريح "الخاتمُ خيرٌ من الظن". ونقش خاتم طاهر "وَضعُ الخدِّ للحق عِزٌّ". وكان لأبى نواس خاتمان: أحدهما عقيق مربع وعليه

تعاظَمَنى ذنبى فلما عَدَلْتُهُ * بعفوك ربِّى كان عفوُك أعظَمَا

والآخر حديد صينىّ مكتوب عليه: "الحَسَنُ يشهدُ أن لا إله إلا الله مخلصًا" فأوصى عند موته أن يُقلَعَ الفصُّ ويُغسلَ ويُجعلَ فى فمه.

باب الطِّيب

قال حدّثنا محمد بن عُبَيد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن أبى عثمانَ النَّهدىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرُ طِيب الرجال ما ظهر ريحُه وخَفِى لونُه، وخيرُ طيبِ النساء ما ظهر لونُه وخَفِى ريحُه».

حدّثنا القُطَعِىُّ قال حدّثنا بِشر عن ٱبن لَهِيعَةَ قال حدّثنى بُكَير عن نافع: أن ٱبن عمر كان يستجمر بعُودٍ غيرِ مُطَرًّى ويجعل معه الكافور ويقول: هكذا كان رسول الله يستجمر.

قال حدّثنا زياد بن يحيى قال حدّثنا زياد بن الربيع عن يونس، قال قال أبو قِلَابة: كان ٱبن مسعود إذا خرج الى المسجد عرف جيرانُه ذاك بطيب ريحه.

حدّثنى القُومَسِىّ قال حدّثنا أبو نعيم عن شَقيق عن الأعمش قال قال أبو الضّحى: رأيتُ على رأس ٱبن الزبير من المسك ما لو كان لى كان رأسَ مال.

قال حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو قتيبة وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشمىّ عن أبيه قال: رأيت ٱبن عباس حين أَحْرم والغاليةُ على صلعته كأنها الرُّبّ.

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن عمرو بن عون عن خالد عن عمرو بن يحيى عن محمد بن يحيى بن حَبّان قال: كان عبد الله بن زيد يتخلّق بالخَلُوق ثم يجلسُ فى المجلس.

وحدّثنى أيضا عن سُوَيد بن سعيد عن ضِمام بن إسماعيل عن عُمَارة بن غَزِيّة قال : لما أولم عمرُ[1] بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج فى مسارجه تلكَ الليلةَ الغاليةَ .

قال وحدّثنى عن أبى عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبى أيوب عن عبيد الله ابن أبى جعفر عن الأعرج، قال : قال أبو هريرة، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «لا تَرُدُّوا الطِّيبَ فإنه طَيِّبُ الريح خفيفُ المَحمِل» .

قال حدّثنى زيد بن أَخْزم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا أنس بن مالك قال حدّثنا عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كأنى أنظر إلى وبِيص الطِّيب فى مَفَارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال [قال][2] عِكرمة : كان ابن عباس يَطْلِي جسدَه بالمسك فاذا مرّ بالطريق قال ابن عباس : أمَرّ ابنُ عباس أم مَرّ المسكُ؟ . قال المُسيَّب بن عَلَس يمدح بنى شيبان

تَبيتُ الملوكُ على عَتْبها * وشيبانُ إن غَضِبتْ تَعْتِبِ
وكالشُّهْد بالراح أحلامُهُم * وأحلامُهم منهما أعذبُ
وكالمسك تُربُ مَقاماتهم * وتربُ قبورِهمُ أطيبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وأنت إذا ما وطِئتَ الترا * بَ صار ترابُك للناس طِيبا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

المطعمون إذا ما أَزمةٌ أَزَمَتْ * والطيِّبونَ ثِياباً كُلَّما عَرِقُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفتوغرافية فالفعل فيها محذوف سهوا .

(٣) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابي

خَوْد يكون بها القليل(١) تَمَسُّه * من طيبها عَبِقًا يطيبُ ويكثُرُ
شَكَرَ الكرامةَ جلدُها فصَفَا لها * إن القبيحةَ جلدُها لا يَشْكُرُ

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : ذُكِر لأيوب هؤلاء الذين يتقشّفون فقال : ما علمتُ أن القذرَ من الدّين .

باب المجالس والجُلَساء والمحادثة

قال حدّثني أحمد بن الخليل عن حبّان بن موسى قال حدّثنا ابن المبارك عن مَعْمر عن سُهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الرجلُ أحَقُّ بمجلسه اذا قام لحاجةٍ ثم رجَع» .

وحدّثني أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المُسيَّب بن رافع عن عبد الله بن يزيد الخَطْميّ عن عبد الله بن الغَسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المرءُ أحقُّ بصَدْر بيته وصدرِ دابته وصدرِ فراشه ، وأحَقُّ أن يَؤُمَّ في بيته» .

قال حدّثني محمد بن عُبيد قال حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن علي قال : أُلقِيَ لعليّ وِسادةٌ فجلس عليها وقال : إنه لا يأبى الكرامةَ إلا حمارٌ . وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ الجليس الصالح مَثَلُ الدّاري إن لم يُحْذِك(٢) من طيبه عَلِقَكَ من ريحه ، ومَثَلُ الجليس السوء مَثَلُ الكير إن لم يُحْرِقْكَ بشَرار ناره عَلِقَكَ من نَتْنه» . قال أبو إدريس الخَوْلانيّ :

---

(١) في النسخة الألمانية : الغليل وفي الفتوغرافية : العليل ، وكلاهما محرّف عن «القليل» اذ هو الذي يقتضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أطْيَبُ المجالسِ ما سافرَ فيــه البصرُ وأتّدع(١) فيه البدنُ، فأخذه علىّ بن الجهم فقال

صُحُونٌ تُسافرُ فيها العيون * وتَحْسِرُ عن بُعد أقطارها

وقال المهلب : خيرُ المجالس ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْف وكثرت فيه فائدةُ الجليس . قيل للأَوْسيَّةِ : أيُّ مَنظرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قصورٌ بِيضٌ فى حدائقَ خُضْرٍ . ونحوه قول عدِىّ بن زيد

كدُمَى العاج فى المحاريب أو كالـ * ـبَيْض فى الروض زهرُه مُستنيرُ

حدّثنا سهل بن محمد قال حدّثنـا الأصمعىّ قال : كان الأحنفُ إذا أتاه إنسان أوسع له ، فان لم يجـد موضعا تحرّكَ ليُرِيَه أنه يُوسِعُ له . وكان آخر لا يُوسِـعُ لأحد ويقول "ثَهْلانُ ذو الهَضَبات ما يَتَحَلْحَلُ"(٢) .

قال ٱبن عباس : لجليسى علىّ ثلاثٌ : أن أَرْمِيَهُ بطَرْفى إذا أقبـل ، وأن أُوسِعَ له إذا جلس، وأُصْغِىَ إليه إذا تحدّث . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلسًا لخفت أن أُقامَ عنـه لغيرى . وكان يقول : لَأن أُدعَى من بعيد فأُجيبَ أحبُّ إلىّ من أن أُقْصَى من قريب .

كان القَعْقاع بن شَوْر إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا فى ماله ، وأعانه على عدوّه ، وشفع له فى حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا . وقسم معاوية يوما آنيةَ فضةٍ ودفع إلى القعقاع حظَّه منها ، فآثر به القعقاعُ أقربَ القوم إليه فقال

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شطر بيت من قصيدة للفرزدق وقد جاء فى الأصل و فى معجم البلدان هكذا «ثهلان ذو الهضبات» بالرفع . وقال ابن برى فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه « ثهلان ذا الهضبات » بالنصب لان صدره :

* فارفع بكفك إن أردت بناءنا *

وكنتُ جليسَ قَعقاعِ بن شَوْر * ولا يَشـقَى بقعقاعٍ جليسُ
ضحوكُ السنّ إن نطقوا بخير * وعند الشرّ مِطراقٌ عبوسُ

كان يقال : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلس قُلْعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا تجلسُ متكئا ! فقال : تلك جِلْسَةُ الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أمَلُّهم : جليسي ما فَهِمَ عنّي ، وثوبي ما سترني ، ودابتي ما حملت رجلي(١) . وزاد آخر: وآمرأتي ما أحسنتْ عِشرتي .

ذكر رجل عبدَ الملك بن مروان فقال : إنه لآخِذٌ بأربع ، تارِكٌ لأربع : آخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأحسن البِشْر إذا لقِيَ ، وبأيسر المئونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة(٢) اللئيم ، ومنازعة اللَّجوج ، ومماراة السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند آنقضاء مجلسه قال : إنك جلستَ إلينا على حينِ قيامٍ منّا أفتأذن ؟ . قال الفُضَيل بن عِياض للثوريّ : دُلّني على مَنْ أجلسُ إليه ، قال : تلك حالةٌ لا تُوجد . قال مُطرِّف : لا تُطعِم طعامَكَ مَنْ لا يشتهيه ، يُريد : لا تُقبِل بحديثك على من لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن سَلْم : إذا لم تكن المحدِّثَ أو المحدَّث فانهض . ونحوه قول آبن مسعود : حَدِّث القومَ ما حدّجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عَيّاش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما رآني رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس . وقال آبن عباس : ما أحدٌ أكرم عليَّ من جليسي ، إن

(١) في النسخة الألمانية : رحلى . (٢) في العقد الفريد : لمجاوبة .

الذباب يقع عليه فيشق عليّ . ذكر الشَّعبيّ قوما فقال : ما رأيتُ مثلهم أشدّ تَناوبا[1] فى مجلس ولا أحسنَ فهمًا عن محدِّث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفـارِهَ ووطئنا الحسناءَ ولَبِسنا اللّينَ وأكلنا الطِّيِّبَ حتى أَجَمْنا[2]، ما أنا اليومَ الى شيءٍ أحوجُ منّى إلى جليس أضعُ عنّى مئُونة التحفظ فيما بيني وبينه.

روى ابن أبى ليلى عن حبيب بن أبى ثابت عن يحيى بن جَعْدة قال، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أَسيرَ فى سبيل الله أو أضعَ جَبهتى فى التراب لله أو أُجالسَ قومًا يلتقطون طَيِّبَ القول كما يُلتقَط طيِّبُ الثمر لأحببت أن أكونَ قد لحقتُ بالله. قال عامر بن عبـد قيس : ما آسى على شيء من العراق إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لى منهم الأسودُ بن كُلثوم . وقال آخر ما آسَى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السّكر[3]، وليلِ الخَرِير[4]، وحديثِ ابن أبى بَكْرة . وقال المغيرةُ : كان يجالس إبراهيمَ صيرفىٌّ ورجل متّهـمٌ برأى الخوارج، فكان يقول لنـا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ) إلا عنـد ختم القرآن فى شهر رمضان من أجل اللَّهَبِيِّينَ .

كان يقال : محادثة الرجال تُلقِحُ ألبابَها . كان بعض الملوك فى مسـير له ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقطَعُ سُرَى الليل بمثل الحديث فيه فلينفُض كل رجل منكم بنـا

(١) فى الأصول : تنابذا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه وملّه .

(٣) فى الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للثعالبى .

(٤) فى الأصول : الحزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : فى أعلى جبانة البصرة موضـع يقال له الخرير . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيما أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا(١) منه . قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بقى من لذة الدنيا تلذّه ؟ قال : محادثةُ أهل العلم ، وخبرٌ صالح يأتينى من ضَيْعتى . قال أبو مُسْهِر : ما حدّثت رجلا قط إلا حدّثنى إصغاؤه : أفَهِمَ أم ضَيَّع .

باب الثُّقَلاء

قال ابراهيم : إذا علم الثقيلُ أنه ثقيلٌ فليس بثقيل . كان يقال : مَنْ خاف أن يُثقِّل لم يثقُل ؛ قيل لأيوب : ما لكَ لا تكتبُ عن طاوُس؟ فقال : أتيته فوجدته بين ثقيلين : ليث بن أبى سليم ، وعبد الكريم بن أبى أميّة .

قال الحسن : قد ذكر الله الثقلَ فى كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان أبو هريرة إذا آستثقل رجلا قال : اللهم آغفر له وأرحنا منه . وكتب رجل على خاتمه : أَبْرمتَ فقُمْ ، فكان إذا جلس إليه ثقيلٌ ناوله إياه . قال بَخْتَيْشُوعُ للمأمون: لا تُجالس الثقلاءَ فإنا نجدُ فى الطب : مجالسةُ الثقيل حُمَّى الروح . قال بعض الشعراء

إنى أُجالسُ معشرًا * نَوْكَى أخفُّهمُ ثقيلُ
قومٌ إذا جالستَهُم * صَدِئَتْ بقربهم العقولُ
لا يُفهِمونى قولَهم * ويَدِقّ عنهم ما أقولُ
فهُمُ كثيرٌ بى وأعلم أننى بهمُ قليلُ

أخبرنا النُّوشَجَانِىّ عن عمر بن سعيد القرشىّ قال حدّثنى صَدَقة بن خالد قال : أتيت الكوفةَ فجلستُ إلى أبى حنيفة ، فقام رجل من جلسائه فقال

فما الفِيلُ تحمِلُه ميتًا * بأثقلَ من بعض جُلّاسنا

فما حملت عنه شيئا .

(١) فى القاموس : الجوش القطعة العظيمة من الليل أو من آخره ا هـ . والجوشن بزيادة النون لغة فيه .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك؟ فقال

وقائلٍ كيف أنت قلتُ له * هذا جليسى فما ترى حالى

وقال بشّار

ربّما يَثقُل الجليسُ وإن كا * ن خفيفا فى كفّة الميزانِ
ولقد قلتُ حين وتّد فى الأر * ض ثقيلٌ أربَى على ثهْلانِ
كيف لم تَحمِــلِ الأمانةَ أرضٌ * حملتْ فوقها أبا سفيانِ (١) !

وقال آخر

هل غُربةُ الدار منك مُنجيتِى * إذا ٱغتــدتْ بى قَلائصٌ ذُمُلُ
وما أظنّ الفَـلاةَ تنجينى (٢) * منــكَ ولا الفُلْكُ أيها الرجلُ
ولو ركبتُ البُرَاقَ أدركنى * منكَ على نأى دارك الثِقَــلُ
هــل لك فيما ملكتُ نافلةٌ * تأخــذُه جمــلةً وترتحــلُ

وقال أعرابىّ

كأنى عند حمزة فى مُقـامى * ألا حُيِّيتِ عنـا يا مَدِينَـا
بُلِينَا عنـــده حتى كأنا * ألا هُبِّى بصَحنِك فاصبَحِينا

وقال آخر

ثقيــلٌ يُطالِعنا من أَمَمْ * إذا سرّه رغــمُ أنفى ألَمّ
لطلعتـــه وخزةٌ فى ٱلحشا * كوخز ٱلمَشَـارِط فى ٱلمحتجَم
أقــول له إذ بدا طالعا (٣) * ولا حمَلَتْـــه إلينا قَــدَمْ
فقَدتُ خيالَكَ لا مِن عمًى * وأُذْنِى (٤) كلامَك لا من صَمَمْ

---

(١) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أبا عمران. (٢) هكذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية "تنجينى" ولعلها "منجيتى". (٣) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفى ديوان ناظمه أبى نواس لا أتى. (٤) فى العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك.

قال سُهيل بن عبد العزيز : مَنْ ثَقُـلَ عليك بنفسه وغمّك فى سؤاله فألزمه أذناً صماء وعيناً عمياء .

وكتب بعضُ الكتّاب فى فصل من كتابه : ما آمنُ نزغَ مُستميحٍ حرمته ، وطالبِ حاجةٍ رددتُه ، ومُثابِرٍ ثقيلٍ حجبتُه ، أو منبسطِ نابٍ قبضتُه ، ومُقبلٍ بعنانه علىّ لَوَيتُ عنه ، فقد فعلت هـذا بمستحقين و بتعذر الحال ، فتثبت رحمك الله ، ولا تُطِعْ كلَّ حَلّافٍ مَهِين .

وقال بعض المُحَدَثين للخليل

خرجنا نُريد غُزاةً لنـا * وفينا زِيادٌ أبو صَعْصَعهْ
فستّةُ رهطٍ به خمسـةٌ * وخمسةُ رهطٍ به أربعهْ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عدىّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعبىّ قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم : أخبرنى عن مكان من القرية لا يَخْرَبُ حتى أستقطعَ ذلك الموضعَ ، فقال له : ما بين المـاء إلى دار الإمارة ، فاختطّ لثقيف ذلك الموضعَ ، قال الهيثم بن عدىّ : فبتُّ عندهم فإذا ليلُهم بمنزلة النهار .

وقال قائل فى الدار : ليكن أوّلَ ما تَبتاعُ وآخِرَما تبيعُ .

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين آختط داره ليبنيها : هى قميصُك فان شئتَ فوسِّعه ، وإن شئت فضيِّقه . وأتاه وهو يبنى دارَه التى ببغداد بقرب الدور ، وإذا هم يُبيِّضون حيطانَها فقال : اعلم أنك تُغَطِّى الذهبَ بالفضة ، فقال جعفر : ليس فى كلّ مكانٍ يكون الذهبُ أنفعَ من الفضة ، ولكن هل ترى عيبا ؟ قال : نعم ، مخالطتُها دورَ السُّوقة .

دخل ٱبن التوءم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرةَ الذرع ، واسعةَ الصحن ، رفيعةَ السَّمك ، عظيمةَ الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مئونة لا تُطاقُ ، وعيالا لا يُحتمَلُ مثلُهم ، ولا بد لك من الخدم والسّتور والفرش على حسب ما ٱبتُليتَ به نفسُك ، وإن لم تفعل هُجّنتَ رأيك .

وقرأت فى كتاب " الآيين " أنه كان يُستقبَلُ بفراش الملك ومجلسه المشرقُ ، أو يُستقبلُ به مَهبُّ الصَّبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والآرتفاع ، وناحيةَ الدَّبور وناحيةَ المغرب يُوصَفان بالفضيلة[1] والانخفاض ، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملِك المشرقُ أو مَهبُّ الدبور ، ويُستقبلُ بصدور ٱلخلاء وما فيه من المقاعد مَهبُّ الصَّبا ، لأنه يقال : إن ٱستقبالَ الصَّبا فى موضع ٱلخلاء آمنٌ من سِحر السَّحَرة ومن ريح ٱلجِنّة .

وكان عمر يقول : على كلّ خائنٍ أمينان : ٱلمـاءُ والطينُ . ومر ببناء يُبنَى بآجُرٍّ وجِصٍّ فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عامل له ، فقال : تأبى ٱلدراهمُ إلا أن تُخرِجَ أعناقَها ، وشاطَره مالَه .

أبو ٱلحسن قال : لمـا بلغ عمرَ أن سعدا وأصحابه قد بَنَوْا بالمدَر قال : قد كنتُ أكره لكم البنيانَ بالمدر ، فأمّا إذ قد فعلتم فعرِّضوا ٱلحيطانَ ، وأطيلوا السَّمْكَ ، وقاربوا بين ٱلخشب . وقيل ليزيد بن ٱلمهلب : لم لا تَبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لأنى لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فان كنتُ أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنتُ أميرا فدارُ الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتخذَ ٱلدورُ بين المـاء والسّـوق ، وأن تكونَ ٱلدورُ شرقية والبساتينُ غربية .

قال بعض الشعراء

بنو عُمير مجدُهم دارُهم * وكلُّ قـومٍ لهم مَجْـدُ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبى محمد اليزيدى

قَوْمِى خِيارٌ غيرَ ما أنهم * صَولَتُهُم منهم على جارِهم
ليس لهم مجدٌ سوى مسجدٍ * به تَعَدَّوْا فوقَ أطوارهم
لو هُدِمَ المسجدُ لم يُعرَفُوا * يوما ولم يُسمَعْ بأخبارهم

وقال رجل من خُزاعة

فخر المسيَّبُ بالمناره * ومنارهُ برحا(١) عُماره
فإذا تفاخرتِ القبا * ئلُ من تَميم أو فَزاره
حفلتْ عليك شُيُوخُ ضَبّـ * ـةَ بالمسيَّب والمناره

مرّ رجل من الخوارج بدار تُبنَى فقال : مَنْ هذا الذى يُقيم كفيلاً ؟. وقالوا : كلُّ مال لا يَخرجُ بخروجكَ ولا يرجعُ برجوعكَ ولا ينتقلُ فى الوجوه بانتقالكَ فهو كفيلٌ .

وقالت الحكماء من الروم : أصْلحُ مواضعِ البنيان أن يكونَ على تلٍّ أو كَبْسٍ وثيقٍ ليكونَ مُطِلاًّ ، وأحقُّ ماجُعلتْ إليه أبوابُ المنازل وأفنيتُها وكَوَاؤها المشرقُ واستقبالُ الصَّبا ، فان ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم .

ومن حسن التشبيه فى البناء قولُ علىّ بن الجهم

صُحُونٌ تُسافِر فيها العيون * وتَحسِرُ عن بعدِ أقطارِها
وقُبَّةُ مُلْكٍ كأن النجو * مَ تُصْغِى إليها بأسرارها
وفَوَّارةٌ ثأرُها فى السماء * فليست تُقَصِّرُ عن ثارها
إذا أُوقدتْ نارُها بالعراق * أضاء الحجازَ سَنَا نارها
تَرُدُّ على المزن ما أنزلتْ * على الأرض من صَوْب أقطارها

(١) محلة بالكوفة تنسب الى عمارة بن عقبة بن أبى معيط . معجم البلدان .

لهـا شُرُفاتٌ كأنّ الربيـع * كساها الرياضَ بأنوارهـا

فهنّ كمُصطحباتٍ خرجن * لفصـح النصارى وإفطارها

فمِنْ بين عاقصـةٍ شعرَهـا * ومُصـلِحةٍ عَقْـدَ زُنَّارِهَـا

وقال الوليد بن كعب

بكتْ دارُ بِشْرٍ شجوَهَا أن تبدّلت * هـلالَ بن عياد بِبشر بن غالب

وما هى إلا مثلُ عِرسٍ تنقّلتْ * على رَغْمِها من هاشم فى مُحَـارِبِ

وقال آخر

ألم تَر حَوْشَـبًا أمسى يُبَنِّى * قصورا نَفعُها لبنى بُقيـلهْ

يُؤمِّل أن يُعمَّرَ عُمْـرَ نوح * وأمرُ الله يَحـدُثُ كلَّ ليله

كان مالك بن أسماء يَهْوَى جاريةً من بنى أسـد وكانت تنزل خُصًّا وكانت دارُ مالك مبنيةً بآجُرٍّ فقال

ياليتَ لى خُصًّا يُجاوِرُها * بدلًا بدارى فى بنى أسد

الخُصُّ فيه تَقَرُّ أعيُنُنَـا * خيرٌ من الآجُرِّ والكَمَـد

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش عن أبيه قال حدّثنـا إسحاق بن الفُرات قاضى مصر عن الأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يابُنَىّ إن من ضيق العيش شِراءَ الخبز من السوق، والنقلةَ من منزِلٍ إلى منزِلٍ .

بلغنى أن رجلا من الزّهاد مرّ فى زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح: واعُمَرَاه! فسمعه المأمونُ فدعا به فقال : ما قلتَ؟ قال : رأيتُ بناء الأكاسرة فقلتُ ما سمعتَ، قال المأمون : أرأيتَ لو تحوّلتُ من هذه المدينـة إلى إيوان كسرى بالمدائن هل كان لك أن تَعيبَ نزولى هناك؟ قال: لا، قال: فأراك إنما عِبتَ إسرافى

فى النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبتُ قيمةَ هذا ٱلبناء لرجل أكنتَ تعيب ذلك؟ قال : لا، قال : فلو بنَى هذا ٱلرجلُ بما كنتُ أهبُ له بناءً أكنتَ تصيحُ به كما صِحتَ بى ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قَصدتَنى لخاصّتى فى نفسى لا لعلة هى فى غيرى، ثم قال له : هذا ٱلبناءُ ضربٌ من مكايدنا نبنيه ونتخذ الجيوشَ ونُعِدُّ السلاحَ والكُرَاعَ وما بنا إلى أكثره حاجةٌ، فلا تَعُودنّ إلىّ فتمسَّكَ عقوبتى ، فإن الحفيظة ربما صرفَتْ ذا الرأى إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخص[1] فيه

قال حدّثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن هشام بن عروة عن أبى سلمة قال : أخبرتنى عائشةُ أنها سابقتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فسبقتْه، وسابقتْه فى سفر آخر فسبقها وقال : «هذه بتلك» .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفةً لمروانَ، فربما ركب حمارا قد شدّ عليه بردعةً وفى رأسه حِليةٌ فيلقَى الرجلَ فيقول : الطريقَ، قد جاء الأميرُ، وربما دعانى إلى عشائه بالليل فيقول : دع العُرَاق[2] للأمير، فأنظر فإذا هو ثريدٌ بزيت .

قال حدّثنى محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصّلت الطاحى[3] عن سعيد ابن عثمان قال، قال الشعبىّ لخياط مرّ به : عندنا حُبٌّ مكسور تخيطُه ؟ فقال الخياط : إن كان عندك خيوطٌ من ريح .

---

(١) كذا فى الأصل، ولم نجد فى القاموس ولا فى اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسهيل، والوارد فى هذا المعنى انما هو الرخصة بتاء التأنيث فلعل التاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) العُرَاق : العظم أُكل لحمه أو العظم بلحمه .

(٣) فى الأصل : الطاجى بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدّثنى بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبىّ ومعه فى البيت امرأة فقال : أيكم الشعبىُّ ؟ قال الشعبىّ : هذه . وسـئل الشعبىّ عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكَفاف، قال : فما تقول فى الذِّبَّان ؟ قال : إن اشتهيتَه فكُلْه .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمـازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذى لمـّا رأينـه أكبرنه وقطعن أيديهن، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذى قالت فيـه الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ) .

حمـاد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشـام بن حسان قال : تُوفّى البارحة، أَمَا شَعَرتَ؟ فجزع واسترجع،فلما رأى ابنُ سيرين جزعه قرأ (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَـا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا) .

مَرَّ بالشعبىّ حَمَّالٌ على ظهره دَنُّ خَلٍّ ، فلما رآه وضعَ الدنَّ وقال : ما كان اسمُ امرأةِ ابليسَ؟ فقال الشعبىّ : ذاك نكاحٌ ما شَهِدناه .

حدّثنى محمد بن عبـد العزيز عن الأصبهانىّ عن يحيى بن أبى زائدة عن الأعمش قال : عادنى إبراهيم فنظر إلى منزلى فقال : أمَا أنتَ فتُعرَفُ فى منزلك أنكَ لستَ مِن أهل القَريتينِ عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهرىّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال، قالت أم سلمة : خرج أبو بكر فى تجارة ومعه نُعَيمان وسوَيبِطُ بن حرملة، وكانا شهدا بدرا، وكان نعيمان على الزاد فقال له سويبط وكان مزّاحا : أطعمْنى، فقال : حتى يجىء أبو بكر، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمرّوا بقوم فقال لهم سويبط : أتشترون منى عبدا لى ؟ قالوا : نعم، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إنى حرّ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا علىّ عبدى،فقالوا : بل نشتريه منك

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا فى عنقه حبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيمان : إن هـذا يستهزئ بكم وإنى حرّ، قالوا : قد أُخبرنا بخبرك، وانطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهـم القلائص وأخذه ، فلما قدِموا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا (١) .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عبدالله بن عبد الوهاب الحَجَبىّ عن أبى عَوَانة عن قتادة أن عدىّ بن أرطاة تزوّج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينـك وبين الحائط ، قال : إنى رجل من أهل الشأم، قال : بعيد سحيق ، قال : إنى تزوّجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين، قال : وولدتْ غلاما ، قال : ليهْنِئك الفارسُ ،قال : وشرطتُ لهـا دارها ، قال : الشرطُ أملكُ ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيتُ ، قال : بِمَـهْ ؟ قال شريح : « حَدّث امرأة حديثين فإن أبت فاربَعْ (٢) » قال لى المحـدّث : فأربعة ، وإنمـا هو فاربع أى كُفّ وأمسكْ .

وتقدّم رجلان إلى شريح فى خصومة فأقرّ أحدُهما بمـا يدّعى الآخر عليـه وهو لا يعلم ، فقضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتقضى علىّ بغير بينة ؟ فقال : قد شهد عندى ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك .

كان ابن سيرين يُنشِد

نُبِّئْتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرقوبُها مثلُ شهر الصوم فى الطول

(١) فى القاموس فى مادة نعم أن نعيمان هو المزّاح وأنه هو الذى باع سويبطا وبعـد نحو صفحتين من هذا الكتاب ستجد ذكر نعيمان بأنه هو المزاح .

(٢) رواه الميـدانى « حدّث امرأة حديثين فان لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أى زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرره مرتين فكأنك حدثتها حديثين ، والمعنى كرر لها الحديث لأنها أضعف فهما فان لم تفهم فاجعلهما أربعا . ورواه فى اللسان كما فى الأصل وقال فى معناه أى قف واقتصر وهو من ربع يربع اذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عِرسُ ٱلفرزدق ناشزا * ولو رضيتْ رمحَ ٱسته لٱستقرتِ

وكان ٱبن سيرين يضحك حتى يسيل لُعابه .

ٱلمدائنى قال، قال عمرو بن ٱلعاص لمعاوية : إنى رأيت ٱلبارحةَ فى المنام كأن القيامة قد قامت ووُضعت ٱلموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت واقف قد ألجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال ٱلجبال ، فقال معاوية : فهل رأيتَ شيئا من دنانير مصر !

كان مَعْن بن زائدة ظَنِينا فى دينه، فبعث إلى ٱبن عيّاش المَنْتوف بألف دينار، وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار ٱشتريتُ بها دينَك، فاقبض المال وٱكتب إلىّ بالتسليم، فكتب إليه: قد قبضتُ ٱلدنانير وبِعتك بها دِينى خلا التوحيد لِما عرفتُ من زهدك فيه .

قال ٱلرشيد ليزيدَ بن مِزْيد : ما أكثرَ الخلفاءَ من ربيعة ! فقال يزيد : أجل، ولكن منابرهم ٱلجُذوع .

قال بلال بن أبى بُرْدة لٱبن أبى علقمة : إنما دعوتك لأسخر منك ، فقال له ٱبن أبى علقمة : لئن قلتَ ذاك لقد حكّمَ المسلمون رجلين سَخِرَ أحدُهما من الآخر .

كان يقال : ٱلسِّبابُ مِزاح ٱلنَّوْكَى (١) . وقال الشاعر

أخو ٱلجدّ إن جاددتَ أرضاكَ جِدُّه * وذو باطل إن شئتَ ألهاك باطلُهْ

وقال مِسْعرُ بن كِدَام لابنه

ولقد حبوتك يا كِدامُ نصيحتى * فاسمع لقول أبٍ عليك شفيقِ

أمّا المُزَاحةُ والمِراءُ فدعهما * خُلُقان لا أرضاهما لصديق

ولقد بلوتُهما فلم أَحْمَدهما * لمجاورٍ جارٍ ولا لرفيق

(١) كذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال للميدانى «المزاح سِباب النَّوكى» .

وقال الكميت

وفى الناس أقذاعٌ مَلَاهِيجُ بالخَنَا * متى يَبلُغِ الجِدُّ الحفيظةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدَثين

أرانى سَأُبدِى عند أوّل سكرة * هواى لفضل فى خفاءٍ وفى سترِ

فإن رضِيَتْ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غضِبَتْ حمّلتُ ذنبى على السكر

وقال الراعى — فى نحو هذا يصف نساء —

يُناجِينَنَا بالطَّرْف دون حديثنا * ويَقضين حاجاتٍ وهنّ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عملين ليختار أحدَهما فيوليه ، فقال : «كلاهما وتمرا» ، فقال : أعندى تمزح! لا وَليتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كثر ضحكه قلّت هيبتُه . وقال علىّ : إذا ضَحِك العالِم ضَحْكةً مجّ من العلم مَجّةً . وقال أكثم : «المُزاحَةُ تُذْهِبُ المهابةَ» .

الهيثمُ عن عوانةَ الكلبىّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم وعنده رجل كان يحسُده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدى بأبى هذا الفتى وهو سيدنا معشرَ بنى جُشَم ، وشيخنا الذى نصدرُ عن رأيه ، فاهتزّ لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه أمرنا ذات يوم وقد نورت الرياضُ أن نَخْرُجَ إلى روضة فى ظهر بيوت الحىّ فنتحدّث فيها ، فخرجنا وابتسطنا[1] لعبا ، وخرج الرجل منا بالبَكْرة الكَوْماء وبالخروف والجدى ، وقام الفتيانُ فاجتزروا واشتَوَوْا ودارت السُّقاةُ علينا ، فبينما نحن كذلك رُعِفَ أبوه فما تركنا فى الحىّ روثة حمار إلا نَشَقْناه إياها فلم يَرْقأ دمُه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجدْ فى كتب اللغة التى بين أيدينا «ابتسط» ، ولعلّه محرّف عن «انبسطنا» .

شُدّوا خُصْيَىِ الشيخ عَصْباً، ففعلنا ذلك فرقاً الدمُ، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتانا الصريخُ عن أمّه أنها قد رَعَفتْ، فبادرنا إليها، فوالله ما درنا ما نَعصِبُ منها حتى خرجتْ نفسُها، وعبد الملك يَفحَصُ برجليه ضحكا، والفتى يقول : كذب والله، فقال عبد الملك : ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم !

حدّثنى أحمـد بن عمرو قال : كان رجل من الفقهاء فى طريق مكة، فرأى وهو محرم يربوعاً فرماه بعصا كانت فى يده فقتله، فقال الجمّالُ : ألستَ مُحرِما؟ قال : بلى وما كانت بى إلى رميه حاجة إلا أن تعلمَ أن إحرامى لا يمنعنى من ضربك .

قال وكان الأعمش يقول : مِنْ تمـام الحج ضربُ الجمّال .

المدائنىّ قال : كان نُعيمانُ رجلا من الأنصار وشهد بدرا وجلده النبىّ عليه السلام فى الخمر أربعَ مرات، فمرّ نعيمانُ بمَخْرَمة بن نَوْفل وقد كُفَّ بصرهُ فقال : ألا رجل يقودنى حتى أبولَ، فأخذ بيده نعيمان، فلما [بلغ][1] مؤخرَ المسجد قال : هاهنا فبُلْ، فبال فَصِيحَ به، فقال : مَنْ قادنى ؟ قيل : نعيمان، قال : لله علىّ أن أضربه بعصاى هذه، فبلغ نُعيمانَ فأتاه فقال له : هل لك فى نعيمانَ ؟ فقال : نعم، فقال : قم، فقام معه فأتى به عثمانَ بن عفانَ وهو يصلى، فقال : دونك الرجلَ، فجمع يديه فى العصا ثم ضربه، فقال الناس : أمير المؤمنين، فقال : مَنْ قادنى؟ قالوا : نعيمان، قال : لا أعود إلى نعيمان أبدا .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال : قلت لخارجة بن زيد : هل كان الغناء يكون فى العُرُسات؟ قال : قد كان ذاك، ولا يُحضَر بمـا يُحضَر اليوم

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية وهى لازمة .

من السفه، دعانا أخوالنا بنو نُبيط فى مدعاةٍ لهم فشهد المدعاةَ حسانُ بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغنّيانِ

أنظر خليلى بباب جِلّقَ هل * تُؤنِسُ دون البَلْقاء من أحد

فبكى حسان وقد كُفّ بصرُه، وجعل عبد الرحمن يُومئُ إليهما أن زِيدا، فلا أدرى ما ذا يُعجبه مِن أن تُبكيا أباه، ثم جىء بالطعام، فقال حسان: أطعامُ يدٍ أم طعامُ يدينِ؟ فقالوا: طعامُ يد، يريدون الثريدَ فأكل، ثم أُتِى بطعام آخر فقال: أطعامُ يد أم طعام يدين؟ قالوا: طعامُ يدين، يعنون الشّواء فكفّ.

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: كان طُوَيسٌ يتغنّى فى عُرس، فدخل النعمان ابن بَشير العرسَ وطويسٌ يقول

أَجَدّ بعَمرةَ غُنيانُها * فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها[1]

وعمرة أم النعمان، فقيل له: اسكت اسكت، فقال النعمان: إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وعَمْرةُ مِنْ سَرَوَاتِ النّسا * ءِ تَنفَحُ بالمسك أردانُها

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا الحجاج بن نُصير قال حدّثنا شُعبة عن قتادة عن أبى العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس

وهُنّ يَمشِينَ بنا هَمِيسَا * إن تَصدُقِ الطيرُ نَنِلْ لَمِيسَا[2]

فقالوا: تقول الرفثَ وأنت محرم يابن عباس! فقال: إنما الرفثُ عند النساء.

قال جابر الجُعْفىّ: رأيت الشعبىّ خارجا من الكوفة فقلت له: أين؟ قالَ: أنظرُ إلى الفيل.

(١) كذا بالأصول ولسان العرب. وفى نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١: أم شأنها شاننا وهو أوجه.
(٢) كذا فى الأصل ننل باللام. وروى فى شرح القاموس للرتضى والعقد الفريد بالكاف بدل اللام.

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة قال حدّثنا شَريك عن جابر الجعفىّ عن عِكْرِمة قال : ختن آبن عباس بنيــه فأرسلنى فدعوتُ اللعّابين فلعبوا فأعطاهم أربعمائة(1) درهم .

حدّثنى شيخ لنا من أهل المدينة قال : وَلِىَ الأوقص المخزومىّ قضاءَ مكة فما رُئِىَ مثــلُه فى العَفاف والنُّبل ، فبينا هو نائم ذات ليلة فى جَناحٍ له مرّ به سكران يتغنّى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربتَ حراما ، وأيقظتَ نُوّاما ، وغنّيتَ خطأ ، خذ عنى فأصلحه له . وقال الأوقص قالت لى أمى : يا بُنىّ إنك خُلقتَ خِلقةً لا تصلُح معها لمجامعة الفِتْيانِ فى بيوت القِيَان ، إنك لا تكون مع أحد الا تخطّتْكَ إليه العيونُ ، فعليك بالدِّين فإنه يرفع الخسيسةَ ويُتِمّ النقيصةَ ، فنفعنى الله بكلامها فبلغتُ القضاءَ .

قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غنّتْكَ فلانةُ جاريتى صوتَ كذا ما أدركتَ دكّانكَ .

حدّثنى شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مرّ بى عمرُ ، وأنا وعاصمُ بن عمرَ نتغنّى غناء النَّصْبِ(2) ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : مَثَلُكما مَثَلُ حِمارَى العِبَادىّ ، قيل له : أىّ حماريك أشرّ(3)؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدّثنى أيضا عن ابن عاصم عن ابن جُرَيج قال : سألتُ عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحُداء فقال : وما بأس ، لقد حدّثنى عبيد بن عمير الليثىّ قال : كانت لداود نبىّ الله مِعْزَفةٌ يَضرِبُ بهــا إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجنّ والطير فبكى وأبكى مَنْ حوله . وقال لى غيره : ولهذا قيل : مزاميرُ داود ، كأنه أغانى داود .

(1) هكذا بالنسخة الألمانية وفى النسخة الفتوغرافيــة " أربعة درهم " ولا ندرى أسقط من الناسخ كلمة مائة أم ألف الجمع فى دراهم . (2) ضرب من أغانى العرب .

(3) كذا بالأصل ، وفى مجمع الأمثال «شرّ» وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال

وإذا المِعْدةُ جاشت * فَارْمِها بالْمَنجنيــق

بثلاثٍ من نبيذٍ * ليس بالحُــلو الرقيق

النُّوشَجانيّ قال حدّثنى محمد بن سابق قال حدّثنا مالك بن مِغْوَل عن أبى حَصين قال : شرِبَ الأسودُ فقال : لو سقيتمونى آخرَ لغنّيتُ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أسامة عن المجالد[1] عن الشعبيّ عن عمه قال : صحبتُ ٱبنَ مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يَصم يوما واحدا، [فـ][2]أهمّنى ذلك وسألتُ عنه، ولم أره صلى الضحى حتى خرج من بين أظهرنا .

قال حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن مهدىّ بن ميمون قال : كان أبو صادق لا يتطوّع من السّــنة بصوم يوم، ولا يصلى ركعةً سوى الفريضة قبلها ولا بعدها، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدّثنى الزِّيادىّ قال قال حمــاد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من الفقهاء وهو يلعب بالشِّطْرَنْج .

وحدّثنى الزِّيادِىّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن سيرين عن اللّعِب بالشِّطْرَنْج فقال : لا بأس به هو رِفقٌ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن معتمر قال ، قال أبى : تَرَون أن الشِّطْرَنْجَ وُضِعت[3] على أمر عظيم؟ .

---

(١) كذا فى الأصل بالتعريف والمعروف فى كتب التراجم «مجالد» بدون أل، ودخول أل فى مثل المنقول عن اسم الفاعل لمح الصفة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) لم نقف فى كتب اللغة على أنّ الشطرنج مما يصح تأنيثه ولعل تأنيثه هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدّثنا الأصمعيّ عن ٱبن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان قيس ابن أبي حازم في مَدْعَاةٍ فقال لصاحب المنزل : طَيِّرْ .

حدّثني شَبابة قال حدّثني القاسم بن الحَكَم العُرَنيّ قال: حدّثني سُلَيمٌ مولى الشعبيّ أن الشعبيّ كان اذا اختضَب فغَرِض[1] لاعب ٱبنتَه بالنَّرْد حتى يَعْلَقَ الخضابُ .

حدّثنا إسحاق بن رَاهْوَيْهِ[2] قال أخبرنا النَّضْرُ بن شُمَيلٍ قال حدّثنا شُعْبة عن عبد ربه قال: سمعتُ سعيدَ بن المسيب وسُئل عن اللعب بالنّرد فقال: إذا لم يكن قِماراً فلا بأس .

حدّثنا إسحاق بن راهويه[2] قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رِشْـدِين بن كُرَيب قال : رأيت عِكرِمةَ أُقيم قائمًا على اللعب بالنّرد . قال إسحاق : إن كان لَعِبُهُ على غير معنى القِمار يريد به التعليمَ والمكايدةَ فهو مكروه، ولا يبلغُ ذلك إسقاطَ شهادته .

وروى عبـد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال : رأيتُ أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعةَ عشرَ على ظهر المسجد .

حدّثني محمد بن عبيـد قال حدّثني عليّ بن عاصم عن أبي إسحاق الشَّـيْباني عن خَوّات التيميّ عن الحارث بن سُوَيد قال : أتى عبدَ الله بنَ مسعود رجلٌ فقال : يا أبا عبـد الرحمن إن لي جارا يُرْبِي وما يتورّع من شيء أصابه ، وإني أُعسِرُ فأستسلفُه ، ويدعوني فأجيبه، فقال : كُلْ فلك مَهنَؤُه وعليه وِزرُه .

كان أبو فَضَالة أسَنَّ وشَقَّت عليه الصلاةُ، فكان يقول: مُشْقِيةٌ مُنصِبَة، مُقيمَةٌ مُقْعِدة، لا تزال بصاحبها حتى يضعَ أكرَمَه ويرفعَ أخَسَّه .

---

(١) غرض : أصابه الملال .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان ثم قال : وقيل له أيضا رَاهُويَه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقاع الأسدىّ

أتانا بها صـفراءَ يزعم أنها * زَبيبٌ، فصدّقناه وهو كذوبُ
فهل هى إلا ليلةٌ غابَ نحسُها * أُصلّى لربّى بعـدها وأتوبُ

وقال آخر

مَنْ ذا يُحرِّمُ ماءَ المزن خالطه * فى جوف آنيـةٍ ماءُ العناقيدِ
إنى لأكره تشديدَ الرُّواة لنا * فيها ويُعجِبُنى قولُ ابن مسعود

وعيونُ الأخبارِ ومُتَخيَّرُ الشعر فى الشراب يقع فى كتابى المؤلف فى الأشربة، ولذلك تركت ذكرها .

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديق له فى فصل : ونحن نحمد الله إليك فإن عُقْـدَةَ الإسلام فى قلوبنا صحيحةٌ، وأَواخِيَه ثابتةٌ ، ولقد اجتهد قومٌ أن يُدْخِلوا قلوبَنا من مرض قلوبهـم، وأن يَلْبِسُوا يقينَنا بشكّهم، فمنعتْنا عِصمةُ الله منهم، وحالَ توفيقُه دونهم ، ولنا بعدُ مذهبٌ فى الدُّعابة جميلٌ ، لا يَشُوبه أذًى ولا قذًى ، يُخرِج إلى الأنس من العُبُوس، وإلى الاسترسال من القُطُوب، ويُلحِقُنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لِبْسَةِ الرياء والتصنّع .

التوسّط فى الأشياء، وما يُكره من التقصير فيها والغلوّ

باب التوسط فى الدّين

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبـد العزيز الدَّرَاوَرْدِىّ قال حدّثنى محمد بن طَحْلاَء عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ، قال النبىّ صلى الله عليـه وسلم : "اِكْلَفُوا من العمل ما تُطيقونَ فإنّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإنّ أفضلَ العمل أدومُه وإن قلّ" .

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعِىّ قال حدّثنا محمد بن على بن مُقَدَّم عن مَعْنٍ الغِفَارىّ عن المَقْبُرىّ عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا الدِّينَ يُسرٌ ولن يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فَسَدِّدُوا وقَارِبوا وأَبشِرُوا".

حدّثنى القُومَسِىُّ عن أحمد بن يونس عن زُهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الحسنُ والسَّمْتُ الصالحُ والاقتصادُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءًا من النبوّة".

حدّثنى محمد بن عُبيدٍ عن معاويةَ بن عمرو عن أبى إسحاق عن خالد الحَـذّاء عن أبى قِلَابة عن مسلم بن يَسَار أنّ رُفقةً من الأشعريين كانوا فى سفر، فلما قدِموا قالوا: يا رسولَ الله ليس أحدٌ بعد رسول الله أفضلَ من فلانٍ، يصومُ النهارَ، فإذا نزلنا قام يُصلّى حتى نرتحلَ، قال: "مَنْ كان يَمْهَنُ له أو يَكْفيه أو يَعمَلُ له"؟ قالوا: نحن، قال: "كُلُّكُمْ أفضلُ منه".

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علىّ عليـه السلام قال: خِيارُكم كلُّ مُفَتَّنٍ تَوّابٍ. وقال علىّ أيضا: خيرُ هـذه الأمةِ النَّمَطُ الأوسطُ، يَرجِعُ إليهم الغالِى ويَلحَقُ بهم التالى (١).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرّة قال، قال حذيفةُ: خيارُكم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم، ومن آخرتهم لدنياهم. وكان يقال: دِينُ الله

(١) كذا فى اللسان والعقد الفريد وفى الأصـل «البالى» وهو تحريف، ورواه فى نهج البلاغة «نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالى واليها يرجع الغالى» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد اليهم فى أمور الدين كما يستند الى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبها وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع اليهم من غلا وتجاوز اه.

بين المقصِّر والغالى . وقال المطرّف[1] لابنه : يا بُنىَّ، الحسنةُ بين السيئتين، يعنى بين الإفراط والتقصير، وخيرُ الأمور أوساطُها، وشرُّ السَّير الحَقْحقةُ[2].

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيرُكم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرةَ للدنيا ولكن خيرُكم مَن أخذَ مِنْ هذه وهذه" . وقال : "إنّ الله بعثنى بالحَنيفيَّة السهلة، ولم يبعثنى بالرَّهْبانية المبتدَعة، سُنَّتِى[3] الصلاةُ والنّوم، والإفطارُ والصوم، فمن رَغِبَ عن سنتى فليس منّى" . وفى الحديث : "إنّ هذا الدّينَ مَتينٌ فأوغِلْ فيه برِفقٍ، فإن المنبَتَّ لا أرضًا قطعَ ولا ظهرًا أبقَى" .

وكان يقال : طالبُ العلم وعاملُ البِرّ كآكل الطعام إن أخذ منه قوتا عَصَمه، وإن أسرف فى الأخذ منه بشِمه[4]، وربما كانت فيه مَنِيَّتُه، وكآخذ الأدوية التى قَصْدُها شِفاءٌ، ومجاوزةُ القدر فيها السمُّ المميتُ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال : حدّثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبى حَفْصة أنّ ابن أبى نُعْم كان يُهِلّ من السنة إلى السنة ويقول فى تلبيته : لبيك، لو كان رياء لاضمحلّ .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبى إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدركَ أصحابُنا محمدَ بن أبى نُعْمٍ لرجَموه، كان يُواصِل كذا وكذا يومًا ويُهِلُّ بالحج إذا رجع الناسُ من الحج .

وقال سلمانُ : القصدَ والدوامَ وأنت السّابقُ الجواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مَريم لَقِىَ رجلا فقال : ما تَصنع ؟ قال : أتعبَّدُ . قال : مَنْ يعود عليك؟ قال : أخى، قال : أخوك أَعبدُ منك .

---

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرّف» بدون أل . (٢) الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر . (٣) فى الأصل «فنّى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان، يقال : بَشِمَ الرجلُ وأبشمه الطعامُ .

رَوْحُ بن عُبادةَ عن ٱلحجاج بن ٱلأسود قال : مَنْ يَدُلّنى على رجل بَكّاءٍ بالليل بَسّامٍ بالنهار ؟

وروى أبو أُسامة عن حماد بن زيد عن إسحــاق بن سُويد قال ، قال مُطرِّفٌ : انظروا قوما إذا ذُكروا ذُكِرُوا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وٱنظروا قوما إذا ذُكروا ذُكِروا بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء .

باب ٱلتوسّط فى ٱلمداراة وٱلحِلم

قرأت فى كتاب للهنــد : بعضُ ٱلمقاربة حزمٌ ، وكلُّ ٱلمقــاربة عجزٌ ، كالخشبة ٱلمنصوبة فى ٱلشمس تُمــالُ فيزيدُ ظلُّها ، ويُفرَطُ فى ٱلإمالة فينقُصُ ٱلظلُّ . ومن أمثال العرب فى هذا : «لا تكن حُلْوًا فتُسْــتَرَطَ(١) ولا مُرًّا فتُلْفَظَ» وأبو زيد يقول : ولا مُرا فتُعقَى ، يقال : أعقَ ٱلشىءُ إذا ٱشتدّتْ مرارتُه(٢) . وقال الشاعر

* وإنّى لصعبُ ٱلرأس غيرُ جَمُوحِ *

وقال آخر فى صفة قوس

* فى كَفّه مُعطِيةٌ مَنُوعُ *

وقال آخر

* شِرْيَانةٌ تَمنعُ بعد اللّينِ *

وقال أبرويز لأبنه : اِجعل لأقتصادك السلطانَ على إفراطك ، فإنك إذا قدّرتَ ٱلأمورَ على ذلك وَزَنتَها بميزان ٱلحكمة وقوّمتها تقويمَ ٱلثّقاف ، ولم تجعل للنــدامة سلطانا على الحلم .

---

(١) سَرطه واسترطه : ابتلعه .

(٢) هذا يقتضى أن القاف فى قوله تعق مكسورة ، ويقال : أعق الشىءَ إذا لفظه من فيه لمرارته ، وبهذا يصح أن يكون الفعل مبنيا للمجهول ، وقد روى المثل بالوجهين كما فى اللسان .

وقال ٱلنابغة الجعدىّ

ولا خيرَ فى حِلمٍ اذا لم تكن له * بوادرُ تَحمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

وقال آخر

ولاخيرَ فى عِرْضِ آمرِئٍ لايصونه * ولا خيرَ فى حِلم آمرِئٍ ذَلَّ جانبُـه

وقال أكثم بن صيفيّ : الانقباضُ من ٱلناس مَكْسَبَةٌ للعداوة، وإفراطُ ٱلأنس مَكْسَبَةٌ لقُرَنَاءِ ٱلسُّوء .

باب ٱلتوسّط فى ٱلعقل وٱلرأى

رُوِى فى ٱلحديث أن زياد بن أبى سفيان كان كاتبا لأبى موسى ٱلأشعرىّ فعزله عمر عن ذلك، فقال له زياد : أعن عجزٍ عزلتَنى يا أميرَ المؤمنـين أم عن خيانة ؟ فقال : لا عن ذاك ولا عن هذا، ولكنّى كرهتُ أن أحمِلَ على ٱلعامّة فضلَ عقلِكَ . ويقال : إفراطُ ٱلعقل مُضرٌّ بالجَدّ . ومن ٱلأمثال ٱلمبتذَلة : استأذنَ ٱلعقلُ على الجَدِّ فقال : اذهب لا حاجة بى اليك . وقال ٱلشاعر

فَعِشْ فى جَدٍّ أَنْوَكَ حالفتْه * مقاديرٌ يُساعِدُها ٱلصوابُ

وقال آخر

إنّ ٱلمقاديرَ إذا ساعدَتْ * أَلْحَقَتِ ٱلعاجزَ بالحازمِ

وقال آخر

أرى زمنا نَوْكاهُ أسعدُ أهلِه * ولكنّه يَشقَى به كلُّ عاقلِ

وقال الحسن : تشبّه زيادٌ بعمرَ وأفرط ، وتشبّه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناسَ . وقالت الحكماء : فضــلُ ٱلأدب فى غيرِ دِين مَهْلَكَةٌ ، وفضلُ ٱلرأى إذا لم يُستعمَلْ فى رِضوان الله ومنفعةِ ٱلنـاس قائدٌ إلى الذنوب، وٱلحفظُ ٱلزاكى الواعى لغير العلم النافع مُضرٌّ بالعملِ ٱلصالحِ، والعقلُ غيرُ ٱلمورِّع عن الذنوب خازنُ الشيطان .

تنازع آثنان : أحدهما سلطانىّ والآخر سُوقِىّ ، فضربه السلطانىّ فصاح : واعُمَرَاه ! ورُفِعَ خبرُه إلى المأمون فأمر بادخاله عليه، قال: مِنْ أين أنت ؟ قال: من أهل فَامِيَةَ، قال : إن عمرَ بن آلخطاب كان يقول : مَن كان جاره نَبَطِياً وآحتاج الى ثمنه فَلْيبِعْه، فان كنتَ تطلبُ سِيرةَ عمرَ فهذا حكمه فيكم، وأمر له بألف درهم .

باب ذمّ فضل الأدب وآلقول

قيل لبعض آلحكماء : متى يكون آلأدبُ شرًّا مِن عدمه ؟ قال : إذا كَبُرَ الأدبُ ونقصَ آلعقلُ . وكانوا يكرهون أن يَزِيد مَنطِقُ الرجل على عقــله . ويقال : من لم يكن عقــلُه أغلبَ خصال آلخير عليــه كان حَتْفُه فى أغلب خصال آلخير عليه . وقال الشاعر

رأيتُ آللســانَ على أهــله * إذا ساسه آلجهلُ لَيْثاً مُغيرَا

وقال سليمان بن عبد آلملك : زيادةُ منطقٍ على عقلٍ خُدْعةٌ ، وزيادةُ عقلٍ على مَنْطِقٍ هُجْنةٌ، وأحسنُ مِن ذاكَ ما زَيَّنَ بعضُه بعضا .

قال ضِرار بن عمرو لابنته حين زوّجها : أمسِكى عليك آلفَضْلَين : فضلَ الغُلْمَةِ وفضلَ الكلام .

وقال عمر بن آلخطاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ آمرَأً أمسكَ فضلَ آلقول وقدّمَ فضلَ العـــمل .

نزل آلمنذرُ بن آلمنذر فى كَتِيبةٍ موضعًا، فقال له رجل: أبيتَ آللّعنَ إن ذُبِحَ رجلٌ هاهنا، إلى أىّ موضع يبلغُ دمُه مِن هذه الرابيةِ؟ فقال آلمنذر : آلمذبوحُ واللهِ أنتَ، ولأنظرنّ أينَ يبلغُ دمُكَ، فقال رجل ممن حضر[1]: «رُبَّ كلمةٍ تقولُ [لصاحبها][2] دَعْنِى» .

(١) الذى فى مجمع الأمثال للميدانى : أن القائل هو المنذر نفسه .
(٢) الزيادة عن مجمع الأمثال للميدانى .

قال زياد على المنبر: إن الرجلَ ليتكلّمُ بالكلمة لا يَقطعُ بها ذَنَبَ عَنْزٍ مَصُورٍ ولو بلغتْ إمامَه سَفكتْ دمَه . وقال أكثم بن صيفيّ : مَقْتَـلُ الرجلِ بين فَكّيه . وقال الأحنف : حَتْفُ الرجلِ مخبوءٌ تحت لسانه .

باب التوسّط فى الجِدَة

كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهمّ إنى أعوذ بك مِن غِنًى مُبْطِرٍ ومِن فَقرٍ مُلِبٍّ أو مُرِبٍّ[1] "، وكذلك " اللهمّ لا غِنًى يُطْغِنى ولا فقرًا يُنْسِى " .

وقال أبو المعتمر السُّلمىّ : الناسُ ثلاثةُ أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط، فالفقراءُ موتَى إلا مَنْ أغناه الله بعزّ القناعة، والأغنياءُ سُكَارَى إلا مَنْ عصمه اللهُ بتوقُّع الغِيَر، وأكثرُ الخير مع أكثر الأوساط وأكثرُ الشرِّ مع الفقراء والأغنياء لِسَخْف الفقر وبَطَر الغنى . ومن أمثال العرب فى هذا : «بينَ المُمِخَّة والعَجْفَاء» .

باب الاقتصاد فى الإنفاق والإعطاء

قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَينِ بن عبد العزيز عن إبراهيم ابن مسلم عن أبى الأحوص عن عبد الله قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ " .

وحدّثنى أيضا عن مسلم قال حدّثنا أبو قُدَامَةَ الحارثُ بن عبيد قال حدّثنا بُرْدُ بن سِنَان عن الزُّهرى قال، قال أبو الدّرداء : حُسْنُ التقدير فى المعيشة أفضـلُ مِن نصف الكسب، ولَقَط حَبًّا منثورا وقال : إن فقهَ الرجل رفقُهُ فى معيشته .

(١) من ألبّ بالمكان وأربّ به : أقام به ولزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَاوِدُوا ٱللهَ فإنه أجودُ وأمجدُ، وإنه لو شاء أن يُوَسِّعَ على الناس كلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفَعَل، فلا تُجهِدُوا أنفسكم فى ٱلتوسعة فتَهْلِكوا هُزْلًا.

قيل لمحمد بن عمران قاضى ٱلمدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله — : إنك تُنْسَبُ إلى البخل، فقال: والله إنى لا أَجمُدُ فى ٱلحق ولا أذوبُ فى ٱلباطل. وكان يقال: لا تَصُنْ كثيرًا عن حقٍّ ولا تُنفِقْ قليــلا فى باطل. ومن أمثـال العرب فى ذلك «لا وَكْسَ ولا شَطَطَ» و«إذا جَدَّ السؤالُ جَدَّ ٱلمنعُ». وقال ٱلشاعر

إلَّا أَكُنْ كلَّ ٱلجـوَاد فإنّنى * على ٱلزاد فى ٱلظَّلماء غيرُ لئيم
وإلَّا أكن كلَّ ٱلشجاع فإننى * أَرُدُّ سِنان ٱلرمح غيرَ سَــليم
وقد علِمَتْ عُلْيَـا هوازنَ أننى * فتاها وسُــفلَى عامرٍ وتَمــيم

قال معاوية: ما رأيتُ شرفا قطّ إلا وإلى جانبه حقّ مُضَيَّعٌ.

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدّثنى ٱلرِّياشيّ قال حدّثنا ٱلأصمعيّ قال حدثنا ابن عمران قاضى ٱلمدينة أن طلحة كان يقال له: [طلحة] (١) ٱلخير، وطلحة ٱلفيّاض، وطلحة ٱلطَّلَحات وأنه فدى عشرة من أُسَارى بدر وجاء يمشى بينهم، وأنه سُئل برَحِم فقــال: ما سُئلتُ بهذه ٱلرحم قبل ٱليوم، وقد بعتُ حائطا لى بتسعمائة ألف درهم وأنا فيــه بالخِيار، فإن شئتَ ٱرتجعتُه وأعطيتُكه، وإن شئتَ أعطيتُك ثمنَه.

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال أخبرنى شيخ من مَشْيَخَتنا، — وربما قال: هارون ٱلأعور — أن قتيبة بن مسلم قال: أرسلنى أبى إلى ضِرَار بن ٱلقعقاع بن مَعْبد ٱبن زُرَارة فقــال: قل له قد كان فى قومك دماء وجِراح، وقد أحبّوا أن تحضُرَ ٱلمسجدَ فيمن يَحضُر، قال: فأتيته فأبلغتُه فقال ياجارية: غَدِّينى، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة فى النسخة الألمانية.

خُشْنٍ فثردتهنّ فى مَرِيس(1) ثم بَرَقَهن(2) فأكل، قال قتيبة : فجعل شأنُه يصغُر فى عينى ونفسى، ثم مسح يده وقال : الحمدُ لله، حِنطةُ الأهواز وتمرُ الفرات وزيتُ الشام، ثم أخذ نعليه وارتدى، ثم انطلق معى وأتى المسجدَ الجامع فصلى ركعتين ثم احتبى، فما رأته حَلْقَــة إلا تقوّضت إليه، فاجتمع الطالبون والمطلوبون فأكثروا الكلام، فقال: إلى ماذا صار أمرُهم؟ قالوا: إلى كذا وكذا من إبل، قال : هى علىّ، ثم قام.

الهيثم عن ابن عباس قال: كان معدِيكرِب بن أَبْرَهة جالسا مع عبد العزيز بن مروان على سريره فأُتِى بفتيانٍ قد شربوا الخمرَ، فقال : يا أعداء الله، أتشربون الخمرَ! فقال معديكرب : أنشُدُكَ الله أن تَفضَح(3) هؤلاء ، فقال : إنّ الحق فى هؤلاء وفى غيرهم واحد، فقال معديكرب : يا غلام صُبَّ من شرابهــم فى القدح ، فصبّ له فشربه وقال : والله ما شرابُنا فى منازلنا إلا هذا ، فقال عبد العزيز : خَلّوا عنهم، فقيل له حين انصرفوا : شَرِبتَ الخمرَ! فقال: أما والله إن الله ليعلم أنّى لم أشربْها قطّ فى سِرّ ولا علانية، ولكنّى كرِهتُ أن يُفضَحَ مثل هؤلاء بمحضرى(4) .

وحدّثنى شيخ لنا قال : مدح شاعرٌ الحسنَ بن سهل، فقال له : احتَكِمْ ، وظنّ أن همّتــه قصيرةٌ ، فقال : ألف ناقة، فوَجَمَ الحسنُ ولم يُمكِنْه، وكره أن يَفتضِحَ وقال : يا هذا إنّ بلادنا ليست بلادَ إبل، ولكن ما قال امرؤ القيس

إذا ما لم يكن إبلٌ فمِعزَى * كأنّ قرونَ جِلّتِهَا العِصِىُّ(5)

قد أمرتُ لك بألف شاة، فألقَى يحيى بن خاقان، فأعطاه بكلّ شاة دينارا .

---

(1) فى هامش النسخة الفتوغرافية : «المريس تمروزيت» ، وفى القاموس أنه التمر الممروس أو اللبن .

(2) برق الطعام بزيت أو سمن : جعل فيه منه قليلا . قاموس .

(3) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ، وظاهر الكلام يتوقف على "لا" النافية .

(4) فى الأصل بمصرى وهو تحريف . (5) فى الأصل : عصىّ . والتصحيح عن الديوان والأغانى .

قال : وقدم زائر على أبى دُلَف فأمر له بألف دينار وكُسوة ثم قال — ويقال إن الشعر لعبد الله بن طاهر —

أعْجَلْتَنا فأتاك عاجِلُ بِرِّنا * قُلًّا ولو أمهلْتنا لم يَقْلِلِ
فخُذِ القليلَ وكن كأنك لم تَقُلْ * شيئا، ونحن كأننا لم نفعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفِتيان من فضل مالٍ * إنما الجودُ للمُقِلِّ المُوَاسِى

وقال دِعْبِل فى نحوه

لئن كنتَ لا تُولِى يدًا دون إمْرة * فلستَ بمُولٍ نائلًا آخرَ الدهرِ
فأىُّ إناءٍ لم يَفِضْ عند مَلئه! * وأىُّ بخيلٍ لم يُنِلْ ساعةَ الوَفْرِ!
وليس الفتى المعطى على اليسر وحدَه * ولكنه المعطى على العسر واليسر

ابن الكلبىّ قال : أخبرنى غيرُ واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة، فدُعِىَ القاسم ليَقْسِم، فلما مدّ الحبل قال له عبد الله : أقِمِ المِطْمَرَ، يعنى الحبل الذى يمدّ . فقال له عبيد الله : يا أخى، الدارُ دارك لا يُمَدُّ والله فيها اليومَ مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أراد العلمَ والسخاءَ والجمالَ فليأتِ دار العباس ، كان عبدُ الله أعلمَ الناسِ، وعبيدُ الله أسخى الناسِ، والفضلُ أجملَ الناسِ .

باع عبدُ الله بنُ عتبة أرضا بثمانين ألفا، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا المال ذُخْرًا! فقال : أنا أجعلُ هذا المالَ ذخرا لى عند الله، وأجعلُ اللهَ ذخرا لولدى، وقسمَ المالَ .

ويقال : إنّ أوّلَ ما عُرِفَ به سُؤدُدُ خالد بن عبد الله القَسرى أنه مرّ فى بعض طرق دمشقَ وهو غلام فأوطأ فرسَه صبيًا فوقف عليه، فلما رآه لا يتحرّك أمرَ غلامَه

فحمله، ثم آنتهى به إلى أوّل مجلس مرّ به فقال : إنْ حَدَثَ بهذا الغلامِ حَدَثُ الموتِ فأنا صاحبُه، أوطأتُه فرسى ولم أعلم .

قال عدىُّ بن حاتم لآبنٍ له حَدَثٍ : قُمْ بالباب فامنع مَنْ لا تعـرِفُ وأْذَنْ لمن تَعرف، فقال : لا والله، لا يكونُ أوّلُ شىءٍ ولِيتُه من أمر الدنيا مَنْعَ قومٍ من الطعام .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ضافَ بَنِى زِيادٍ العبسيّينَ ضيفٌ، فلم يَشعُرُوا إلا وقد آحتضن أُمَّهُم من خلفها ، فَرُفِع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقـال : لا يُضَارّ الليلةَ عائذُ أمّى، إنه عاذَ بحَقْوَيْها .

المدائنىّ قال : أحدثَ رجلٌ فى الصلاة خلفَ عمرَ بن الخطاب ، فلما سَلَّمَ عمرُ قال : أعزِمُ على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى، فلم يَقُم أحدٌ، فقـال جرير ابن عبـد الله : يا أميرَ المؤمنين آعزِم على نفسك وعلينا أن نتوضأَ ثم نُعيدَ الصلاةَ، فأمّا نحن فتصيرُ لنا نافلةً، وأما صاحبُنا فيَقضِى صلاتَه، فقال عمرُ : رحمك الله، إنْ كنتَ لشريفا فى الجاهلية فقيها فى الإسلام .

كان عبدُ الله بنُ جُدْعانَ التيمىّ حين كَبِر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يُعطِىَ شيئا من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادنُ منّى، فإذا دنا منه لطَمه ثم قال : اذهب فاطلبْ بلَطْمتك أو تُرضَى ، فتُرضِيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابنُ قيس الرُّقيّات — حين فخر بسادة قريش —

والذى إن أشار نحوك لَطْمًا * تبِـعَ اللَّطْمَ نائـلٌ وعطاءُ

وآبن جُدْعانَ هو القائل

إنّى وإن لم يَنَلْ مالى مَدَى خُلُقِى * وهّابُ ما ملكتْ كفّى من المـال

لا أحبِسُ المـالَ إلّا رَيْثَ أُتلفُه * ولا تُغَيِّرُنى حالٌ عن الحـال

الهيثم عن حمّاد ٱلراوية عن مشايخ طيئ قالوا : كانت عنبةُ(١) بنتُ عفيفٍ أمُّ حاتم لا تُليقُ(٢) شيئا سخاءً وجودا، فمنعها إخوتُهـا من ذلك فأبتْ، وكانت مُوسرةً فحبسوها فى بيتٍ سنةً يُطعِمُونها قُوتَها رَجاءَ أن تَكُفَّ، ثم أخرجوها بعد سنةٍ وظنّوا أنها قد أقصرت ودفعوا إليها صِرْمةً(٣)، فأتتها آمرأة من هَوازنَ فسألتْها فأعطتها الصِّرمةَ وقالت : وٱلله لقد مسّنى من الجوع ما آليتُ معه ألّا أمنعَ سائلا شيئا، وقالت

لَعَمْرِى لَقَدْ مَا عَضّنى ٱلجوعُ عَضَّةً * فآليتُ ألّا أمنـعَ الدّهرَ جائعـا
فقولا لهـذا ٱللّائمى ٱلآن أَعْفِنى * فإن أنتَ لم تفعل فَعَضَّ الأصابعا
[فمـاذا عساكم أن تقولوا لأختكم * سوى عذلكم أو عذلِ مَنْ كان مانعا](٤)
ولا(٥) ما تَرَوْنَ الدّهرَ إلا طبيعةً * فكيف بتركى يا ابن أُمِّ الطبائعا

آبن الكلبىّ عن أبيه عن رجالات طيئ قالوا : كان حاتم جوادا شاعرا، وكان حيثما نَزَلَ عُرِفَ منزلُه، وكان ظَفِراً إذا قاتل غَلَبَ، وإذا غَنِمَ أَنْهَبَ، وإذا سُئِلَ وَهَبَ، وإذا ضَرَبَ بالقِداحِ سَبَقَ، وإذا أَسَرَ أَطْلَقَ، وكان أقسمَ بالله : لا يقتُل واحدَ أُمِّه .

---

(١) كذا بالنسختين بعين مهملة ونون وباء موحدة بعدها . ويوافقه ما فى الشعر والشعراء للؤلف وعلق عليه ناشره بأنه يُروى «عتبة» و«غنية» أنظر نسخة طبعة أوربا ص ١٢٣ و ١٢٤ ، وفى الأغانى طبع بولاق ج ١٦ ص ٩٧ «عتبة» . وكذا فى شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه فى رواية الميدانى «غنية» . أنظر نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تُليق : لا تُمسك .

(٣) القطعة من الابل واختلف فى عددها من العشرة الى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغانى وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسختين . وفى الأغانى وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ، وفى هامش نسخة الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو اليقظان قال : أخذ عبيدُ الله بن زياد عروةَ بنَ أُذينةَ[1] [أخا][2] أبى بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموكّلين بى فأحسنوا اليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيدُ بن العاص إذا أتاه سائلٌ فلم يكُ عنده ما سأل قال : اكتب علىّ بمسألتك سِجِلًّا إلى أيام يُسْرى .

باع أعرابىّ ناقةً له مِنْ مالك بن أسماء، فلما صار الثمن فى يده نظر إليها فَذَرَفَتْ عيناه، ثم قال :

وقد تنزِعُ الحاجاتُ يا أمَّ مَعْمرٍ * كرائمَ مِنْ ربٍّ بِهِنّ ضَنِينِ

فقال له مالك : خُذ ناقتكَ وقد سوّغتُكَ الثمنَ . اشترى عبيدُ الله بن أبى بَكْرة جاريةً نفيسةً فطُلِبَتْ دابةٌ تُحمَلُ عليها فلم تُوجَدْ ، فجاء رجل بدابّةٍ فحملها ، فقال له عبيدُ الله : اذهب بالجارية الى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبى بكرة دارَ الصّفاق من مُقاتِل بن مِسْمَع نَسيئةً ثم اقتضاه فلزمه فى دار أبيه، فرآه عبيدُ الله فقال : مالَكَ؟ قال : حبسنى ابنُكَ . قال : بِمَ ؟ قال : بثمن دار الصّفاق، قال : يا ثابتُ أما وجدتَ لغُرَمائكَ مَحْبِسًا إلّا دارى، إدفع اليه صَكّه وأعوّضك . قيل لرجل : مالَكَ تنزل فى الأطراف؟ فقال : منازلُ الأشراف فى الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة و يتناولهم مَنْ يريدهم بالحاجة . لمّا كَبِرَ عَدِىُّ بن حاتم آذاه بردُ الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وهو محرّف عن "أُدَيّة"، وعروة بن أدية هذا هو الذى قتله عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبرى طبع أوربا المجلد الثانى من القسم الثانى ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوربا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤

(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهوا من الناسخ لأن المكنى بأبى بلال انما هو أخوه مرداس بن أُدَيّة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا فى ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لحيا فنهشت الأرضُ فخذيه فجمع قومَه فقال : يابنى ثُعَل ، إنى لستُ بخيركم إلا أن ترَوْا ذلك فقد كان أبى بمكانٍ لم يكن به أحدٌ من قومه ، بَنَى لكمُ الشرفَ ونَفَى عنكم العارَ فأصبح الطائىّ اذا فعل خيرا قال العرب : مِنْ حَىٍّ لا يُحْمَدُون على الجود ولا يُعذَرُونَ على البخل ، وقد بلغتُ من السنّ ما ترَوْنَ وآذانى بردُ الأرض فأْذَنُوا لى فى وِطَاء فوالله ما اريده فخرًا عليكم ولا احتقارًا لكم ، وسأخبركم : ما على مَنْ وضَـعَ طِنْفِسةً وقُعِدَ حوله الا أنّ الحقّ عليه أن يَبذُل فى عِرضه ويَنخدعَ فى ماله ولا يَحسُدَ شريفا ولا يحقِرَ وضيعًا ، فقال القوم : دعنا اليوم ، ثم غَدَوْا عليه فقالوا : يا أبا طَريف ضَعِ الطِّنفِسَةَ وٱلبَسِ التاجَ ، فبلغ ابنَ دَارَةَ الشاعرَ فأتاه وقال : قد مدحتُك ، فقال : أَمسِكْ عليك حتى أُنبئَكَ بمالى فتمدَحَنى على حَسَـبه ، لى ألفُ ضائنةٍ وألفا درهم وثلاثةُ أعبُدٍ،[1] وفرسى هذا حبيسٌ فى سبيل الله ، هاتِ الآنَ فقال

تَحِنُّ قَلُوصِى فى مَعَـــدٍّ وإنمـا * تُلَاقِى الربيعَ فى ديار بَنِى ثُعَـلْ
وأبقَ اللّيالِى مِنْ عدىّ بن حاتِمٍ * حُسَامًا كَلَوْنِ المِلح سُلَّ مِنَ الخِلَلْ[2]
أبوكَ جـوادٌ ما يُشَـقُّ غُبارُهُ * وأنتَ جوادٌ لستَ تُعذَرُ بالعِلَلْ
فانْ تفعلوا شرًّا فمِثلُكُمُ اتَّقِى * وإن تفعلوا خيرًا فمِثلُكُمُ فَعَـلْ

فقال : أَمسِكْ عليك ، لا يبلغُ مالى أكثرَ من هذا ، وشاطره ماله .

جاء رجل الى مَعْنٍ فاستحمله عَيْرًا فقال معنٌ : ياغلامُ أعطه عَيرًا و بغلا و بِرْذَونًا وفرسا وبعيرًا وجاريةً ، ولو عرفتُ مركوبا غيرَ هــذا لأعطيتُكَه . وكان يقال : حَدِّثْ عن البحر ولا حرجَ وعن بنى إسرائيل ولا حرجَ وعن معنٍ ولا حرجَ . قال رجل من كَلْب للحكم بن عَوَانة وهو على السِّند : إنما أنت عبدٌ ، فقال الحكم : والله لَأُعطِينّك عطيّةً

(١) فى العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ زيادة «وثلاث إماء» .
(٢) رواية العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ « كنصل السيف » .

لا يُعطيها العبدُ فأعطاه مائةَ رأس من السَّبْي. وقرأت فى بعض كتب العجم أن جاماتِ كسرى التى كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسَرق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى يَنظُر إليه، فلما رُفعت الموائدُ افتقدَ الطبّاخُ الجامَ فرجع يَطلبها، فقال له كسرى: لا تَتَعَنّ فقد أخذَها مَنْ لا يردّها ورآه مَنْ لا يُفْشِى عليه، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حَلّى سيفَه ومِنْطَقَته ذهبا، فقال له كسرى بالفارسية: يافلان هذا، يعنى السيفَ، مِنْ ذاك قال: نعم وهذا، وأشار الى مِنطَقَته. قالوا: لم يكن لخالد بن بَرْمَك أخٌ الّا بنى له دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعيشُهُمْ أبدا ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جاريةٍ هو وهبها له.

بلغ ابنَ المقفع أن جارا له يبيع دارا له لدينٍ ركبه وكان يجلس فى ظلّ داره، فقال: ما قمتُ إذًا بحرمة ظلّ داره إن باعها مُعْدِمًا وبتُّ واجدًا، فحمل اليه ثمنَ الدار وقال: لا تَبِعْ. قال أبو اليقظان: باع نَهيكُ بن مالك بن معاوية إبلَهُ وانطلق بثمنها الى مِنًى فجعل يُنْهِبُهُ، والناسُ يقولون: مجنونٌ، فقال: لستُ بمجنونٍ ولكنّى سَمْحٌ أُنْهِبُكم مالى اذا عزّ الفتحُ. قال: وأتى عبدَ الله بنَ جعفر قَهْرَمانُه بحسابه فكان فى أوّله حبلٌ بخمسين درهما، فقال عبد الله: لقد غَلتِ الحبالُ، فقال القَهْرَمانُ: إنه أبرقُ، فقال عبد الله: إن كان أبرقَ فأنا أُجيزُه، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة. كان أبو سفيان اذا نزل به جار قال له: يا هذا، إنك قد اخترتَنى جارا فجنايةُ يدِكَ علىّ دونك، وإن جَنَتْ عليك يدٌ فاحتكمْ علىّ حُكمَ الصبىّ على أهله. وقال بعض الشعراء —يُثنى على قوم بحسن الجوار—

هُمُ خلطونى بالنفوس ودافعوا * ورائى بركنٍ ذى مَناكبَ مِدْفَعِ
وقالوا تَعلَّمْ أن مالكَ إن يُصَبْ * يَعُدْكَ وإن تُحْبَسْ يَزِدْكَ ويَشْفَعِ

وروى عبد الله بن بكر السَّهْمى عن حاتم بن أبى صَغيرةَ عن حبيب بن أبى ثابت أنّ الحارثَ بنَ هشام وعِكْرِمةَ بن أبى جَهْل وعَيّاشَ بن أبى ربيعة خرجوا يوم اليرموك

حتى أُثبِتوا، فدعا الحارثُ بنُ هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه الى عكرمة فنظر اليه عيّاشٌ فقال عكرمةُ: ادفعه الى عيّاشٍ، فما وصل إلى عيّاشٍ حتى مات ولا عاد اليهم حتى ماتوا، فسُمِّى هذا حديثَ الكرام. وهذا الحديث عندى موضوع لأن أهل السِّيرة يذكرون أن عكرمةَ قُتِل يومَ أَجْنَادِينَ وعَيّاشٌ مات بمكة، والحارثُ مات بالشأم فى طاعون عَمْوَاس (١).

أعطى رجلٌ آمرأةً (٢) سألته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تَعرِفُكَ وإنما كان يُرضيها اليسيرُ، فقال: إن كانت تَرضى باليسير فانّى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تَعرِفُنِى فأنا أعرِفُ نفسى.

قال بعض الشعراء

وما خيرُ مالٍ لا يَقِى الذمَّ ربَّهُ * ونفسِ آمرئٍ فى حَقّها لا يُهِينُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِى تَتُوقُ الى أمورٍ * ويَقْصُرُ دون مَبْلَغِهِنَّ حالى (٣)

فنفسِى لا تُطاوِعُنى ببخلٍ * ومالى لا يُبَلِّغُنِى (٤) فَعَالى

وقال أيضا

ولا أقولُ نَعَمْ يومًا فَأُتبِعُهَا * مَنْعًا ولو ذَهَبَتْ بالمال والولدِ

ولا آؤْتُمِنْتُ على سِرٍّ فَبُحْتُ به * ولا مَدَدتُ الى غيرِ الجميل يَدى

وقال كعب بن سعد الغَنَوِىّ

وذى نَدَبٍ دَامِى الأَظَلِّ (٥) قَسمتُه * محافظةً بنى وبين زَمِيلِى

(١) هكذا بفتح أوّله وسكون ثانيه كما فى التاج وكما نقل هو عن الروض الأنُف للسهيلى، ثم نقل أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البَكْرىّ فى معجمه ضبطها كذلك. (٢) هو عبد الله بن جعفر كما فى العقد الفريد، ج١ ص٢١١ (٣) الذى فى ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزى «مالى». (٤) فى الأصول «ليس يبلغه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح التبريزى ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظلّ بطن الأصبع من الانسان، ومن الإبل باطن المنسم.

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تجمُّلا * لأُوثِرَ فى زادى علىَّ أَكِيلِى
وما أنا للشئ الذى ليس نافِعِى * ويَغضَبُ منه صاحبى بِقَؤُول

وقال زهير

وأبيضَ فيّاضٍ يَدَاه غمامةٌ * على مُعْتَفِيه ما تُغِبُّ نَوافِلُهْ
غَدوتُ عليه غَدوةً فوجدتُه * قُعودًا لديه بالصَّريم عَوَاذِلُهْ
فأعرضْنَ منه عن كريم مُرَزَّإٍ * جَمُوعٍ على الأمر الذى هوفَاعِلُهْ
أخِى ثِقَةٍ لا تُذْهِبُ الخمرُ(١) مالَه * ولكنه قد يُذهِبُ المالَ نائِلُهْ
تراه اذا ما جئتَه متهلِّلًا * كأنكَ تُعطِيه الذى أنتَ سَائِلُهْ

المدائنىّ قال : أضلّ فيروزُ بنُ حصين سوطَه يوما، فأعطاه رجلٌ سوطا فأمر له بألف درهم، ثم أتاه بعد حول فقال: مَن أنتَ؟ قال : صاحبُ السوط فأمر له بألف درهم، ثم أتاه بعد حول فقال : مَن أنتَ؟ قال : صاحبُ السوط، قال : أعطوه ألفَ درهم ومائةَ سوطٍ فأنقطع عنه . قال الشاعر

إنّى حَمِدْتُ بَنِى شَيْبانَ اذ خَمَدَتْ * نيرانُ قومِى فَشَبَّتْ فيهم النارُ
ومن تَكَرُّمِهِمْ فى المَحْلِ أنّهمُ * لا يَحْسَبُ الجارُ فيهم أنه جارُ

وقال آخر

نزلتُ على آل المهلّب شَاتِيًا * بعيدًا قَصِىَّ الدار فى زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بِى إلطافُهُمْ وآفتقادُهمْ * وإكرامُهُمْ حتى حَسِبتُهُمُ أهلى

وقال آخر

إذا كان لى شيئانِ يا أمَّ مالكٍ * فإنّ لجارى منهما ما تَخَيَّرا

(١) فى الأصل «لا يذهب الحمد» وهو تحريف، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة .

وقال عمرو بن الأَهْتَم

ذَرِينِى فانّ الشُّــحَّ (١) يا أمَّ هيثم * لِصالحِ أخــلاقِ الرجال سَرُوقُ
ذَرِينِى وحُطِّى (٢) فى هَــواىَ فإنّنى * على الحَسَب العالى الرّفيعِ (٣) شَفِيقُ
ومُستَمْنِحٍ بعــد الهُدُوءِ دعوتُه * وقد كان مِنْ سَارِى الشتاءِ طُرُوقُ
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحبًا * فهــذا مَبِيتٌ صالحٌ وصَــدِيقُ
أَضَفْتُ فلم أُفْحِشْ عليه ولم أقُلْ * لِأحْرِمَهُ إنّ الفِناءَ مَضِيقُ
لَعَــمْرُكَ ما ضاقت بلادٌ بأهلها * ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضِــيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِعَارِى بنى هاشم، وجَفْنةٌ لِجاره ومِقْطَرةٌ (٤) لِجاهلهم. قال بكر بن النَّطّاح

ولو خَذَلَتْ أموالُه جودَ كفّه * لَقَاسَمَ مَنْ يرجوه بعضَ حياته
ولو لم يجِــد فى العُمْر قِسمًا لزائرٍ * لَجادَ له بالشَّــطْرِ مِنْ حسناته

وقال الفرزدق

إنّ المهالبةَ الكرامَ تَحمَّــلوا * دفعَ المكاره عن ذوى المكروه
زانوا قديمَهُمُ بحســن حديثهم * وكريمَ أخــلاقٍ بحسن وجوه

كان يقال : الشّرفُ فى السَّرفِ . قال عامر بن الطُّفيل

اذا نزلَتْ بالناس يومًا مُلِمّــةٌ * تَســوقُ من الأيام داهــيةً إدَّا

(١) فى الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى، ج ٤ ص ٩٤
(٢) فى الأصل : حظِّى بالظاء المعجمة، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى، ج ٤ ص ٩٤ وتاج العروس فى مادة «حطّ» و يقال كما فى أساس البلاغة : «حطّ فى هواه وانحط فيه» أى اندفع فيه والمراد منه فى البيت مساعدته على الجود . (٣) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ٩٤ «الزاكى» . (٤) هى خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يُدْخل فيها أرجلُ المحبوسين .

دَلَفْنا لهـا حتى نُقَـــوِّمَ مَيْـلَهَا * ولم نَهْـدَ عنها بالأسنّة أو تَهْـدَا
وكم مُظْهِــرٍ بَغْضاءنا وَدَّ أننـا * اذا ماالتقينا كانأَخْفَى الذىأبدَى
مَطَاعيمُ فى اللأْوا مَطَاعِينُ فى الوغى * شمائلُنا تَنْكِي وأيمـانُنا تَنْـــدَى

وقال حاتم طيءُ

أَكُفُّ يدِى منْأن تنالَ أَكُفَّهُم * اذا ما مَدَدناها وحاجتُنا معـا (١)
وإنى لأستحْيِي رَفيقِيَ أن يَرَى * مكانَ يدِى مِنْ جانبِالزاد أقرعَا

وقال جابر بن حبان (٢)

فإن يَقْتَسِمْ مالى بَنِيَّ ونِسـوَتِي (٣) * فلن يَقْسِمُوا خُلْقِي الكريمَولا فعْلِي
وماوجدَ الأضـيافُ فيما يَنُوبهم * لهم عندعِلَّاتِ النفوس (٤) أباًمِثلِي
أُهِـينُ لهم مالى وأعْـلَمُ أنّنِى * سَأُورِثُه الأحياءَ سِـيرةَ مَنْ قَبلى

كان سعيد بنُ عمرو مُؤاخيا ليزيدَ بن المهلب ، فلما حبسَ عمرُ بن عبدالعزيز يزيدَ ومُنِـعَ من الدخول عليه ،أتاه سعيدٌ فقال : يا أميرَالمؤمنين ،لِى على يزيدَخمسون ألف درهم وقد حُلْتَ بينى و بينه ، فان رَأيت أن تأذَن لى فأَقْتَضِيَه ؟ فأذن له فدخل عليه فَسُرَّ به يَزِيدُ ، وقال : كيف وصلتَ الىّ ،فأخبره ،فقال يزيد : والله لا تخرج إلا وهى معك فأمتنع سـعيدٌ لخلف يزيدُ ليَقبِضَنّها ، فقال عَدِىّ بن الرِّقَاع

(١) كذا فى الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزى ج ٤ ص ١١٨
أ كفّ يدى عن أن ينال التماسها * أكفَّ صِحَابِي حين حاجتُنا معـا

(٢) هكذا فى الأصول «حبّان» بالباء الموحدة . والذى فى ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزى ج ٤ ص ١١٦ «حيّان» بالياء المثناة . (٣) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ، ج ٤ ص ١١٦ «و إخوتى» . (٤) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ١١٧ «عِلّات الزمان» .

لم أرَ محبوسا من الناس واحدًا * حبَا زائرا فى السجن غيرَ يزيد
سـعيدُ بنَ عمرو إذ أتاه أجازه * بخمسـين ألفا عُجِّلَتْ لسَـعيد

وقال بعضُ الشعراء

وإنّى لحَـلّالٌ بِىَ ٱلحقُّ، أتَّقِى * إذا نزلَ الأضيافُ أن أتجهَّمَا
إذا لم تَذُدْ ألبانُها عن لحُـومِها * حَلبنَا لهم منهـا بأسـيافنا دَمَا

دخل شاعر على المهدىّ فامتدحه، فأمر له بمال فلما قبضه فرّقه على مَنْ حضر وقال

لستُ بكفِّى كفَّه أبتَـغِى الغِنى * وما خِلْتُ أنّا الجودَ مِنْ كفّه يُعْدِى
فلا أنا منـه ما أفادَ ذَوُو الغِنَى * أفَدْتُ وأعْدَانِى فبدّدتُ ماعندى

أخبرنى أبو الحسن على بن هارون الهاشمىّ قال، أخبرنى وكيع قال حدّثنى أبو العَيْناء قال: كان بالبصرة لنا صديقٌ يهودىّ وكان ذا مالٍ وقد تأدَّبَ وقال الشعرَ وعرفَ شيئا من العلوم وكان له وَلَدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاةُ جمعَ مالَه وفرّقه على أهل العلم والأدب ولم يَترك لولده ميراثا فعُوتِبَ على ذلك فقال

رأيتُ مالى أبرَّ من وَلَدِى * فاليومَ لا نِحْـلةٌ ولا صَدَقَهْ
مَنْ كان منهـم لها فأبعـده اللّٰه ومَنْ كان صالحا رَزَقَهْ

وحدثنى الأخفشُ بهذا الخبرِ عن المبرّد عن الرِّياشىّ واللّٰه أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهى المجلد الأوّل ويتلوه فى أوّل المجلد الثانى
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع

(مطبعة الدار ١٩٢٣/٧١/٣٠٠٠)


Bibliotheca Alexandrina
0412593